

# ولأول مرة في تاريخ العالم

الجزء الأول

آية الله العظمي الإمام

السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

وَلِعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ

## المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين  
من الآن إلى يوم الدين.

وبعد: فهذا شيء من تاريخ الرسول الأعظم (ص) سميـناه: (ولأول مرة في تاريخ العالم) لأنـه لأول مرة في  
التاريخ وبعد فترة من الرسل ظهرت هذه الحركة الإصلاحية السلمية الشاملة، والإلهية المباركة، بقيادة الرسول  
الأعظم محمد بن عبد الله (ص) وذلك بهذا الشكل الذي لا يزال يتفاعل في النفوس، ويترك أثـره الطـيب في العالم  
حتـى اليوم وإلى أن يظهر على الدين كلـه في زمان الإمام المهـدي (عجل الله تعالى فرجـه الشـريفـ).

والله أـسـلـالـ القـبـولـ وـالـفـانـدـةـ وـهـوـ الـمـسـتـعـانـ.

قـمـ المـقـدـسـةـ

محمد الشيرازي

## الإِسْمُ وَالنَّسْبُ

أَمَا اسْمُهُ وَنَسْبُهُ:

فَهُوَ (ص): أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كَلَابٍ بْنِ مَرَةٍ  
بْنِ كَعْبٍ بْنِ لَؤَى غَالِبٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كَنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ مُذْرِكَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مُضَرَّ بْنِ نَزَارٍ  
بْنِ مَعْدَ بْنِ عَدْنَانٍ، وَعَدْنَانٌ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَإِسْمَاعِيلُ هُوَ الْذَّبِيجُ.

وَلَدُ (ص) بِمَكَّةَ عَامَ الْفَيْلِ، وَكَانَتْ وَقْعَةُ الْفَيْلِ تَقْدِيمَةً قَدِيمَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ (ص)، وَإِلَّا فَأَهْلُ الْفَيْلِ نَصَارَى  
أَهْلُ كِتَابٍ، دِينُهُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِ أَهْلِ مَكَّةَ، لَأَنَّهُمْ عَبَادُ أُوثَانٍ، غَيْرُ أَنَّ أُولَئِكَ كَانُوا يَرَأْسُهُمْ ظَالِمٌ غَاشِمٌ وَهُوَ (أَبْرَاهِيمُ)  
فَجَرَ عَلَيْهِمُ الْوَبَالُ، وَهُوَ لَاءُ كَانُوا يَرَأْسُهُمْ مُؤْمِنٌ عَادِلٌ وَهُوَ جَدُّ النَّبِيِّ (ص) فَعَمِّهُمْ عَدْلُهُ، وَنَصْرُهُمُ اللَّهُ نَصْرًا لَا  
صَنْعَ لِلْبَشَرِ فِيهِ، فَأَبَادَ جَيْشُ الْفَيْلِ الرَّهِيبَ وَحَفَظَ بَرْكَةَ نَبِيِّهِ قَرِيشًا مِنَ الْقَتْلِ، وَبَيْتَهُ مِنَ الْهَدْمِ، وَحَرَمَهُ مِنَ  
الْهَتَّكِ.

وَلَدُ (ص) يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَابِعَ شَعْرَانِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَبَعْثَ بِالنَّبُوَّةِ فِي السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِهِ، وَأُنْزِلَ  
عَلَيْهِ الْقُرْآنُ كَامِلًا فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ثُمَّ نُزِّلَ عَلَيْهِ تَدْرِيْجًا فِي مَدَّةِ ثَلَاثَ وَعَشْرِينَ سَنَةً، وَتَوَفَّى (ص) مَسْمُومًا شَهِيدًا  
فِي الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ عَامَ أَحَدِ عَشَرَ هَجْرِيَّةً.

## الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ

أَمَا جَدُّ النَّبِيِّ (ص) هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ: فَكَانَ كَبْقِيَّةً أَجَدَادُهُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ تَعَالَى وَسَيِّدُ قَرِيشٍ، وَإِلَيْهِ يُشَارُ  
بِالْبَنَانِ فِي الْفَضْلِ وَالْكَرْمِ، وَكَانَ مُوسِرًا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَ الرَّحْلَتَيْنِ لِأَهْلِ مَكَّةَ: (رَحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصَّيفِ) (١)،  
وَأَوَّلُ مَنْ أَطْعَمَ قَوْمَهُ التَّرِيدَ بِمَكَّةَ، حَتَّى قَالَ الشَّاعِرُ فِيهِ:  
عُمَرُ الْعَلَى هَشْمُ التَّرِيدَ لِقَوْمِهِ قَوْمُ بِمَكَّةَ مَسْتَنِتِينَ عَاجِفِيَّ.

وَأَمَا جَدَّهُ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ: فَهُوَ الَّذِي نَذَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَنَ آتَاهُ اللَّهُ عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ يَمْنَعُونَهُ، لِيَنْحرِنَ أَحْدَهُمْ عَنْ  
الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا تَوَافَى بُنُوهُ عَشْرَةَ وَعَرَفَ أَنَّهُمْ يَمْنَعُونَهُ، جَمَعُهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ بِنَذْرِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْوَفَاءِ، فَأَطَاعُوهُ  
وَقَالُوا: كَيْفَ نَصْنَعُ؟

قَالَ: لِيَأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ قَدْحًا ثُمَّ يَكْتُبُ فِيهِ اسْمَهُ ثُمَّ أَئْتُونِي، فَفَعَلُوا.

فَقَالَ لِصَاحِبِ الْقَدَاحِ: اضْرِبْ عَلَى بَنِي هَوْلَاءَ بِقَدَاحِهِمْ هَذِهِ، وَأَخْبِرْهُ بِنَذْرِهِ، فَأَعْطَاهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قَدْحَهُ الَّذِي  
فِيهِ اسْمُهُ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ أَحَبَّ وَلَدَهُ إِلَيْهِ، فَكَانَ يَرَى أَنَّ السَّهْمَ إِذَا أَخْطَأَ فَقَدْ أَشَوَى، فَلَمَّا أَخْذَ

١ - قَرِيشٌ: ٢.

صاحب القداح ليضرب بها قام عبد المطلب يدعو الله تعالى، ثم ضرب صاحب القداح فخرج على عبد الله، فأخذ بيده وأخذ الشفرة، فقامت إليه قريش من أنديتها فمنعوه من ذلك.  
وقال له المغيرة بن عمرو بن مخزوم - وكان عبد الله ابن أخت القوم -: والله لا تذبحه حتى تذر فيه أبداً، فإن كان فداه بأموالنا فديناه.

ثم عرضوا عليه أن يضرره في أبله السوائم عشرة عشرة، فوافق عبد المطلب عليه وقام يدعو الله تعالى، ثم قربوا عبد الله وقربوا عشراً من الإبل، وعبد المطلب يدعو الله، فضرروا فخرج القدح على عبد الله، فلم يزدوا يزيدون عشراً والقدح يخرج على عبد الله، إلى أن بلغوا مائة من الإبل، وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الإبل، ثم أعادوا الثانية فخرج على الإبل، ثم أعادوا الثالثة فخرج على الإبل، فنحرت وترك لا يُصدّ عنها إنسان ولا يمنع، فجرت الدية في العرب مائة من الإبل، وأفقرها رسول الله (ص) في الإسلام.

وروى عن النبي (ص) أنه قال: (أنا ابن الذبيحين) (٢) يعني: جده إسماعيل (ع)، وأباه عبد الله (ع). وقد كان عبد المطلب فعل ذلك لإبطال عادة كانت في الجاهلية، وهي قتل الأولاد بسبب النذر أو غيره، كما كان إبراهيم (ع) فعل ذلك من قبل لهذه الغاية أيضاً.

أما عبد الله أبو رسول الله (ص) فهو: ابن عبد المطلب صاحب النذر المذكور، وكان عبد الله أحسن أولاد عبد المطلب وأعفهم، وكان أبوه يحبه كثيراً.  
توفي عبد الله والنبي (ص) حمل في بطن أمه.

وكان جميع ما خلفه عبد الله - على قول - خمسة أجمال، وجارية حبشية اسمها: بركة، وكنيتها: أم أيمن، وهي حاضنته، وكان عبد الله (ع) مؤمناً موحداً.

وأمها (ص): آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وكانت مؤمنة بالله تعالى.  
ولد مختوناً مسروراً، فأعجب به عبد المطلب جده، وحظى عنده، وقال: ليكونن لهذا شأن.

## ارهاسات المولد الشريف

ولما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله (ص) ارتفع إيوان كسرى وانشقَّ من وسطه، وسقط منه أربع عشرة شرفة، وخدمت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك مدة ألف عام، وغاصت بحيرة ساوية، وفاض وادي سماوة.  
ولعل في سقوط الأربع عشرة شرفة إشارة إلى أنه يملك منهم ملوك وملكات بعد الشرفات، ثم ينتهي حكمهم وتنهار الإمبراطورية الفارسية، وكان كذلك حيث تم بعدها على أيدي المسلمين فتح إيران، وبذلك سقطت الإمبراطورية الفارسية.

كما ان في إخماد نار فارس إشارة إلى انتهاء دين فارس، وهذا حال بحيرة ساوية وهي بحيرة في فارس.  
وأما فيضان وادي سماوة: فسماوة من بلاد العرب، وفيه إشارة إلى فيضان دين الإسلام إلى كل العالم.  
ولما ولد (ص) قالت أمه: والله لما وضعتم حملي على الأرض اتكاً بيديه على الأرض ورفع رأسه إلى السماء وأدار ببصره إلى الآفاق، وهو يتغوفه بالتوحيد، ثم سطع منه نور أضاء كل شيء حتى رأيت منها قصور

٢ - بحار الأنوار: ج ١٢ ص ١٣٢ ب ٦ ح ١٧، و: ج ٣٦ ص ٤٧ ب ٣ ح ٧.

الشام، وإذا بهاتف يهتف بي قائلًا: ولدت خير الناس فسمّيه محمدًا.  
ثم أرسلت أمه إلى جده عبد المطلب وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء إليها فقالت له: ولد لك مولود له  
أمر عجيب، ثم أخرجته له، فنظر إليه وأخذه ودخل به الكعبة ودعا الله تعالى ثم خرج فدفعه إليها وسمّاه محمدًا.

## أيام الرضاع

وأرضعته (ص) ثوبية عتيقة أبي لهب، أعتقها حين بشرته بولادته (ص).  
وقيل: انه روى أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنه يخفف عني كل أسبوع  
يوماً واحداً وأمصن من بين إصبعي هاتين ماء - وأشار برأس إصبعه - وان ذلك اليوم هو يوم اعتقني ثوبية  
عندما بشرتني بولادة النبي (ص) وبإرضاعها له.  
وأرضعت ثوبية أيضاً مع رسول الله (ص) - بلبن ابنتها مسروحة - حمزة عم رسول الله، وأبا سلمة بن عبد  
الأسد المخزومي، ثم أرضعته (ص) حليمة السعدية، والظاهر انهن كنّ مؤمنات بدين إبراهيم (ع) فلم يكن  
مشركات.

## فقدان الأم

لم يستكمل النبي (ص) سبع سنين إلا فقد أمه، وذلك حين انصرافها من زيارة أخواله بني النجار، وكانت  
خرجت به معها، ومعه حاضنته أم أيمن، فقدمت به أم أيمن إلى مكة بعد موتها، فكفه جده عبد المطلب، ورقَّ  
عليه لمعرفته بأمره وإيمانه به رقة لم يرقصها على أحد من أولاده، فكان لا يفارقها، وما كان يجلس على فراشه  
إجلالاً له إلا رسول الله (ص).

وقدم مكة قوم من بني مدرج من القافة، فلما نظروا إليه قالوا لجده: احتفظ به، فلم نجد قدماً أشبه بالقدم  
الذي في المقام من قدمه، فقال عبد المطلب لأبي طالب وهو يوصيه به: اسمع ما يقول هؤلاء واحتفظ به.

## فقد الجد

وتوفي جده عبد المطلب (ع) في السنة الثامنة من مولده (ص)، وأوصى به إلى أبي طالب (ع).  
وكان عبد المطلب من سادات قريش، مؤمناً بالله تعالى - وكذا كان أبو طالب - محافظاً على العهود، يتخلق  
بمكارم الأخلاق، يحب المساكين، ويقوم بالحجيج، ويطعم حتى الوحوش والطير في رؤوس الجبال، ويطعم في  
أزمان الفحش، ويقمع الظالمين.

## في كفالة أبي طالب

ثم قام أبو طالب بکفالة النبي (ص) من سنة ثمان من مولده إلى السنة العاشرة من النبوة ثلاثة وأربعين سنة يحوطه ويقوم بأمره ويدبّ عنه ويلطف به.

ونقل عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبو طالب أقطع الوادي وأجدب العيال، فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس ضحى تجلت عنه سحابة قتماء حوله أغيمة، فأخذ أبو طالب فالتحق ظهره بالكعبة، ولاذ بإصبعه الغلام وما في السماء فزعة، فاقبل السحاب من ههنا وهنها وأغدق وأخدودق، وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي، وفي ذلك يقول أبو طالب: وأبيض يستسقى العام بوجهه\*\*\* ثم اليتامى عصمة للأرامل و(الثمال) بكسر المثلثة: الملجا والغياث.

## في طريق الشام

ولما بلغ رسول الله (ص) اثنى عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب (ع) حتى بلغ (بصرى) فرأه بحيراً الراهب - واسمه جرجيس - فعرفه بصفته، فقال وهو آخذ بيده: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال: وما علمك بذلك؟

فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة أقبلت عليه غمامه تظله، ولم يبق حجر ولا شجر إلا وخر ساجداً، ولا تسجد إلا لنبي، وإنني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وإننا نجده في كتابنا، وسأل أبا طالب أن يرده خوفاً عليه من اليهود.

ثم خرج (ص) مرة أخرى، ومعه ميسرة غلام خديجة في تجارة لها، حتى بلغ سوق بصرى وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، فنزل تحت ظل شجرة، فقال نسطور الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملkin يظلنه من الشمس، فلما رجعوا إلى مكة ساعة الظهيرة وخديجة في علية لها، رأت رسول الله (ص) وهو على بعيره وملكان يظلنه.

## الزواج المبارك

تزوج رسول الله (ص) وعمره خمس وعشرون عاماً بالسيدة خديجة، وكان لها - على ما قيل - حين تزوجها من العمرأربعون سنة، فولدت لرسول الله (ص) بنين وبنت، وكل أولاده (ص) من خديجة، ماعدا إبراهيم، فإنه من (مارية القبطية)، فالذكور من ولده: القاسم - وبه كان يكتئي - وهو أكبر ولده (ص).

والقاسم هذا كان يدعى بالظاهر، وولد له عبد الله وكان يدعى بالطيب.

وأما إبراهيم فولد له بالمدينة وعاش عامين غير شهرين ومات قبل موته (ص).

وأما بناته منها، فأربعة:

زينب: تزوجها أبو العاص بن الربيع، وكانت خديجة خالته، وولدت له علياً وأماماً، أما علي فمات مراهقاً، وأما أماماً فتزوجها علي (ع) بعد فاطمة، وماتت زينب في حياة أبيها رسول الله (ص)، وذلك لسبب إخافة هبار

لها وإسقاطها جنinya.

ورقية: وتزوجها عثمان، فولدت له ابناً مات وله من العمر أربع سنين.

وأم كلثوم: وتزوجها عثمان بعد موت رقية، وماتت عنده أيضاً كما ماتت رقية قبلها عنده.

وذهب بعض إلى أن بعضهن كنَّ متبنيات للنبي (ص).

وفاطمة (عليها السلام): تزوجها علي بن أبي طالب (ع)، فولدت له الحسن والحسين (عليهما السلام) وزينب وأم كلثوم وابناً مات شهيداً اسمه المحسن، وهي (عليها السلام) وحدها التي بقيت بعد أبيها رسول الله (ص) لكن لم يطل بقائها بعده حتى لحقت به (ص) سريعاً، وذلك على أثر الضرب المبرح الذي كسر به ضلعها وأسقطت منه جنinya محسناً.

كانت خديجة أول امرأة آمنت برسول الله (ص) وأول امرأة صلت مع رسول الله (ص) وواسته بنفسها ومالها حتى أنفقت كل مالها في سبيل الله، ودخلت الشعب معه، وكانت هي أول امرأة تزوجها، وأول امرأة ماتت من نسانه، ولم ينكح عليها في حياتها غيرها، وأمره جبرائيل أن يقرأ عليها السلام من ربها، كما أمره أن يعطي فدكاً إلى فاطمة (عليها السلام) بدل ما أنفقته أمها خديجة (عليها السلام) في سبيل الله من أموالها.

## مع حلف الفضول

حضر رسول الله (ص) (حلف الفضول) واشترك فيه.

ذكر المؤرخون: انه اجتمع رؤساء مكة في دار عبد الله بن جدعان، وكان أكرم حلف سمع به في العرب وأشرفه، وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب.

وكان سببه: أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل - وكان ذا قدر بمكة وشرف - فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي، الأحلاف: عبد الله، ومخزوماً، وجحاماً، وسهماً، وعدياً، فأبوا أن يعيشو على العاص بن وائل، فعلا جبل أبي قبيس - وقريش في أندائهم حول الكعبة - فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعاً صوته، فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا مترك، فاجتمع هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار ابن جدعان، فصنع لهم طعاماً وتحالقو في ذي القعدة في شهر حرام قياماً، فتعاهدوا وتعاقدوا بالله ليكوننَّ يداً واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤذى إليه حقه ما بلَّ بحر صوفة - كناية عن انه دائمًا وأبداً - فسميت قريش ذلك الحلف (الفضول).

وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر، ثم مشوا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه مال الزبيدي وسلموا إياه.

وقال الزبير بن عبد المطلب في ذلك:

إن الفضول تحالفوا وتعاقدوا \*\*\* إلا يقيم ببطن مكة ظالم

أمر عليه توافقوا وتعاقدوا \*\*\* فالجار والمعتر فيهم سالم

ثم ان رسول الله (ص) حين أرسله الله تعالى قال وهو يشير إلى حلف الفضول: (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت).

## تجديد بناء الكعبة

ولما بنت قريش الكعبة ورفعت سموكها وتأتي لها ما أرادت في بنائها من الخشب الذي قيل انه ابتعاه من السفينة التي رمى بها البحر إلى ساحله وكان قد بعث بها ملك الروم من الفلزم من بلاد مصر إلى الحبشة ليبني بها هناك كنيسة، وانتهوا إلى موضع الحجر تنازعوا أيهم يضعه، فاتفقوا على أن يرتصوا بأول من يطلع عليهم من باب بني شيبة، فكان أول من ظهر لأبصارهم النبي (ص) من ذلك الباب، وكانوا يعرفونه بـ(الصادق الأمين) لوقاره، وهديه، وصدق لهجته، واجتنابه الأذناس، فحكموه فيما تنازعوا فيه، وانقادوا لقضائه، فبسط (ص) ما كان عليه من رداء، وأخذ (ص) الحجر فوضعه في وسطه، ثم قال لهم: ليأخذ كل واحد منكم بجنبة من جنبات هذا الرداء.

ففعلوا ورفعوه من الأرض وأندوه من موضعه، فأخذ (ص) الحجر ووضعه مكانه، وقريش كلها حضور، فكان ذلك مما ظهر من فعله وقضاياها وأحكامه، فقال قليل من حضر من قريش تعجبًا من فعلهم وانقيادهم إلى أصغرهم سنًا: واعجبًا لقوم أهل شرف ورياسة وشيخوخ وكهول عمدوا إلى أصغرهم سنًا وأقلهم مالًا فجعلوه رأساً حاكماً! أما انه ليقوتنهم سبقاً، وليرقمن بينهم حظوظاً وجدوداً، وليركونن له بعد هذا اليوم شأنًا ونبأ عظيمًا.

كما ان رسول الله (ص) كان ينقل معهم الحجارة عند تجديد بناء الكعبة.

## الجاهلية وعبادة الأصنام

كان الجاهليون يعبدون الأصنام في الجاهلية، فلما بعث رسول الله (ص) أبطلها وأتى عليها.  
قال أبو رجاء: كنا نعبد الحجر في الجاهلية، فإذا وجدنا حمراً هو أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه، فإذا لم نجد حمراً جمعنا حثية من تراب، ثم جئنا بقمن فحلبناها عليه، ثم طفنا به.  
وروى الدارمي عن مجاهد قال: حدثني مولاي: أن أهله بعثوا معه بقدح فيه زيد ولين إلى آهتهم، قال: فمنعني مخافتها أن أكل الزيد، قال: ف جاء كلب فأكل الزيد وشرب اللبن ثم بال على الصنم وهو أسف ونائلة.  
وقال بعض المؤرخين: كان الرجل في الجاهلية إذا سافر حمل معه أربعة أحجار: ثلاثة لقدره، والرابع يعبده.  
وروي: أن رجلاً أتى النبي (ص) فقال: يا رسول الله، إننا كنا أهل جاهلية وعبادة أوثان، فكنا نقتل الأولاد، فكانت عندي بنت لي، فدعوتها يوماً فأتبعتنى، فمررت حتى أتيت بنراً من أهلي غير بعيد، فأخذت بيدها فردت بها في البئر، وكان آخر عهدي بها تقول: يا أباها يا أباها، فبكى رسول الله (ص) حتى وقف دمع عينيه.  
فقال رجل: أحزنت رسول الله؟

قال له: كفْ فإنه يسأل عما أمه. ثم قال: أعد على حديثك، فأعاده، فبكى (ص) حتى وقف الدمع من عينيه على لحيته، ثم قال له: إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا، فاستائف عملك.  
ولما فتح رسول الله (ص) مكة وجد حول البيت ثلاثة وستين صنماً، فجعل يطعن بسبيبة قوسه في

وجوهها وعيونها ويقول: (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) <sup>(٣)</sup> جاءَ (الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعْدِيُ) <sup>(٤)</sup> وهي تساقط على رؤوسها، ورفع عليةً <sup>(ع)</sup> على كتفه فأسقط ما تبقى من الأصنام التي كانت منصوبة فوق الكعبة.

## من خرافات الجاهلية

وكان من عادة الجاهليين جعل بعض الحيوانات محرمة عليهم مثل: (البحيرة): وهي التي يمنع درها فلا يحلبها أحد من الناس. (السانبة): وهي التي يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها. (الوصيلة): وهي الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل ثم تثنى بعد بانشى، وكانتوا يسيبونها إن وصلت إداحها بالآخر ليس بينهما ذكر. (الحامي): فعل الإبل يضرب الضرب المعدود، فإذا ضربه دعوه وأغفوه من الحمل فلا يحمل عليه، وسموه الحامي.

فلما بعث الله رسوله محمداً <sup>(ص)</sup> أنزل تعالى: (ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَانِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) <sup>(٥)</sup>. وأنزل سبحانه: (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكْرُنَا وَمَحْرُمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا....) <sup>(٦)</sup>. و قوله تعالى: (فَلَمَّا رَأَيْتُمُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمُ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً....) <sup>(٧)</sup>.

## قريش وسكان الحرم

قال المؤرخون: كانت قريش قد ابتدعت للحمس (أي: سكان الحرم) رأياً رأوه وأرادوه، فقالوا: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاة البيت وقاطنوا مكة وساكنوها، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلنا، ولا تعرف له مثل ما تعرف لنا، فلا تعظمو شيئاً من الحل مثل ما تعظمون الحرم، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم، وقالوا: قد عظموا من الحل مثل ما عظمو من الحرم. فتركتوا الوقف على عرفة والإفاضة منها، وهم يعرفون ويقررون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم <sup>(ع)</sup>، ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا نحن أهل الحرم، وليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا ننظم غيره.

ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم، وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك.

ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم حتى قالوا: لا ينبغي للحمس أن يقطوا الأقط و لا يسلوا السمن وهم

<sup>٣</sup> - الإسراء: ٨١.

<sup>٤</sup> - سباء: ٤٩.

<sup>٥</sup> - المائدۃ: ١٠٣.

<sup>٦</sup> - الأنعام: ١٣٩.

<sup>٧</sup> - يونس: ٥٩.

حرم، ولا يدخلوا بيته من شعر ولا يستظلوا إن استظلوا إلا في بيوت الأدم ما كانوا حرمأ.  
ثم رفعوا في ذلك فقالوا: لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاؤه من الحل إلى الحرم إذا جاؤا حجاجاً  
أو عماراً، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس، فإن لم يجدوا شيئاً طافوا بالبيت عراة،  
فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب الحمس وطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاها إذا  
فرغ من طوافه ولم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا أحد غيره، وكانت العرب تسمى تلك الثياب (اللقي) فحملوا على  
ذلك العرب فدانت به، أما الرجال فيطوفون عراة، وأما النساء فتضع المرأة ثيابها كلها إلا درعاً مفرجاً ثم  
تطوف فيه، وأحياناً عارية.

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمداً (ص) فأنزل الله: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ) (٨) يعني قريشاً  
والعرب، وأنزل تعالى فيما حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ  
مَسْجِدٍ) (٩) إلى قوله تعالى: (فَلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيَّابَاتِ مِنَ الرَّزْقِ...) (١٠) وذلك على  
ما ذكره بعض المفسرين.

## الحدث بأمر الرسول (ص)

كانت الأخبار من اليهود، والرهبان من النصارى، والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله (ص) قبل  
مبعثه بما يقارب زمانه.

فأما الأخبار من اليهود والرهبان من النصارى: فعمّا وجدوا في كتبهم صفتهم وصفة زمانه وما كان من عهد  
أنبيائهم إليهم فيه.

وأما الكهان من العرب: فلما كانوا يتلقونه من الجن والشياطين حيث كانت تسترق السمع، وكان الكاهن  
والكافر لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره، ولكن لا تلقى العرب بذلك فيه بالا، حتى بعثه الله تعالى ووقدت  
تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها.

فما تقارب زمان رسول الله (ص) وحضر مبعثه حجب الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي  
كانت تقع لاستراق السمع فيها، فرموا بالنجوم، فعرفت الجن أن ذلك لما حدث من أمر الله، وذلك لئلا يتتبّع  
بالوحى، ول يكون ذلك أظهر للحجّة، وأقطع للشبهة.

روي عن رجل من بنى لهب يقال له لهيب قال: حضرت مع رسول الله (ص) فذكرت عنه الكاهنة، فقلت:  
بابي وأمي، نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم،  
وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك - وكان شيئاً كبيراً - وكان من أعلم كهاننا فقلنا: يا خطر  
هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها؟ فإنما قد فزعنا لها وخشيّنا سوء عاقبتها.

فقال: انتوني بسحر، أخبركم الخبر، بخير أم ضرر، أو لأمن أو حذر.

قال: فانصرفنا عنه يومنا، فلما كان من غد في وجه السحر أتيناه، فإذا هو قائم على قدميه شاحص في

٨ - البقرة: ١٩٩.

٩ - الأعراف: ٣١.

١٠ - الأعراف: ٣٢.

السماء بعينيه، فناديناه: يا خطر، فأوْمأ إلينا أن أمسكوا، فانقض نجم عظيم من السماء، وصرخ الكاهن رافعا صوته: أصابه اصابه، خامره عقابه، عاجله عذابه، أحرقه شهابه، زايله جوابه، ياوشه ما حاله، عاوده خباله، تقطعت حاله، وغيرت أحواله، ثم أمسك طويلاً وذكر أشعاراً.

فقلنا له: يا خطر ومن هو؟

قال: والحياة والعيش، إنه لمن قريش، ما في حلمه طيش، ولا في خلقه هيش، يكون في جيش أي جيش، من آل قحطان وآل أبيش.

فقلنا له: بين من أي قريش هو؟

قال: والبيت ذي الدعائم، والركن والأجاتم، إنه لمن نجل هاشم، ومن عشر أكارم، يبعث بالملامح، وقتل كل ظالم.

ثم قال: هذا هو البيان، أخبرني به رئيس الجان، ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخبر، ثم سكت وأغمى عليه فما أفق إلا بعد ثلاثة فقال: لا إله إلا الله.

وعن عاصم بن عمرو بن قتادة، عن شيخ منبني قريظة قال: قال لي: هل تدرى عم كان اسلام ثعلبة بن شعية، وأسید بن شعية، وأسد بن عبید إخوة بنی قريظة، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا سادتهم في الإسلام؟ قال: قلت: لا.

قال: إن رجلاً من اليهود من أهل الشام يقال له الهيبان، قدم علينا قبل الإسلام بستين فحل بين أظهرنا، لا والله ما رأينا رجلاً فقط لا يصل إلى الخمس أفضل منه، فأقام عندنا فكنا إذا قحط المطر علينا قلنا له: اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا.

فيقول: لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة.

فنقول له: كم؟

فيقول: صاعاً من تمر ومدين من شعير.

قال: فنخرجها، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقى الله لنا، فهو والله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ونسقى، وقد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثالث.

قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميت قال: يا عشر اليهود ما ترونـه آخر جنبي من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟

قال: فقلنا: أنت أعلم.

قال: فإني قدمت هذه البلدة أتوقع خروج النبي قد أظل زمانه، هذه البلدة مهاجره، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، قد أظلمكم زمانه فلا تسبقون إليه يا عشر اليهود، فلا يمكنكم ذلك منه.

فلما بعث رسول الله (ص) وحاصر بنـي قريظة قال هؤلاء الفتية، وهم: ثعلبة بن شعـية، وأسـيد بن شـعـية، وأسد بن عـبـيد، إخـوة بنـي قـريـظـة، وـكانـوا شـبابـاً أحـدـاثـاً: يا بنـي قـريـظـة والله إـنـه لـلنـبـي الـذـي عـهـد إـلـيـكـم فـيـهـ اـبـنـهـ الـهـيـبـانـ.

قالـوا: بـلىـ واللهـ، إـنـه لـهـوـ بـصـفـتـهـ، فـنـزـلـوـا فـأـسـلـمـوـا وـأـحـرـزـوـا دـمـاءـهـمـ وـأـهـلـيـهـمـ.

## فصل

# في المبعث الشريف

## المبعث الشريف

ولما بلغ رسول الله (ص) أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وكافية للناس أجمعين. وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبيٍّ بعثه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنصر على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤذوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم، فأذوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه، يقول الله تعالى لنبيه محمد (ص): (وَإِذَا أَخْذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَّا أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةً ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ) (١١).

وقيل: انه أول ما بدأ به رسول الله (ص) من الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلوة فكان يخلو بغار حراء فيتعبد فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة(ع) فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق في السابع والعشرين من شهر رجب الحرام، وهو (ص) في غار حراء فجاءه الملك فقال له: أقرأ! قال: وما أقرأ؟

قال: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُرَأً بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلْقٍ، أَفَرَا وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَ، عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (١٢) فرجع بها رسول الله (ص) يرجف فواده، حتى دخل على خديجة(ع)، فقال: زملوني زملوني، فرملاوه حتى ذهب عنه الروع.

## لقاء في الشام

عن عبد الله بن عباس: ان أبا سفيان بن حرب أخبره قائلاً: ان هرقل أرسل إليه في ركب من قريش كانوا

١١ - آل عمران: ٨١.

١٢ - القلم: ١ - ٥.

تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله (ص) قد أظهر الإسلام وهاجر إلى المدينة وكفار قريش تجده.

فأتوه وهم بالياء، فدعاهم في مجلسه وحوله عظاماء الروم، ثم دعا بترجمانه فقال: أَيْكُمْ أَقْرَبُ نسباً

بِهَذَا الرَّجُلَ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

قال أبو سفيان: قلت: أنا أقربهم نسباً.

قال: أدنوه مني وقربوا أصحابه واجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا

الرجل، فَإِنْ كَذَّبْنِي فَكَذَّبْتُهُ.

قال أبو سفيان: فوالله لولا الحياة من أن يأثر على كذباً لكتبت عليه، ثم كان أول ما سأله عنه أن قال:

كيف نسبكم فيه؟

فقلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟

قلت: لا.

قال: فهل كان من آباءه من ملك؟

فقلت: لا.

قال: فأشرافهم اتبعوه أم ضعوافهم؟

قلت: بل ضعوافهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم يمكنني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة.

قال: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه.

قال: بماذا يأمركم؟

قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلة والصدق والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له: سألك عن نسبة فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وَسَأْلَتْكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ هَذَا الْقَوْلُ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا. فَقَالَتْ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلُ قَبْلَهُ لَقْلَتْ: رَجُلٌ يَتَسَوَّلُ بِقَوْلٍ قَبْلَهُ.

وَسَأْلَتْكَ: هَلْ كَانَ فِي آبَانِهِ مِنْ مَلْكٍ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا، قَالَتْ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَانِهِ مِنْ مَلْكٍ قَاتَ رَجُلٌ يَطْبَلُ مَلْكًا.

وَسَأْلَتْكَ: هَلْ تَتَهْمُونَهُ بِالْكَذْبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذْرُ الْكَذْبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ.

وَسَأْلَتْكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعَافُهُمْ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ ضَعَافَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ اتَّبَاعُ الرَّسُولِ.

وَسَأْلَتْكَ: أَيْزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتَمَ.

وَسَأْلَتْكَ: أَيْرَتَهُ أَحَدُهُمْ سُخْطَةً لَدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ يَخْلُطُ بِشَاشَةِ الْقُلُوبِ.

وَسَأْلَتْكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرْتَ: أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرَّسُولُ لَا يَغْدُرُونَ.

وَسَأْلَتْكَ: بِمَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ: أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ بِأَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرُكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنِ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَفْافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسِيمَكَ مَوْضِعَ قَدْمَيِّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتَ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارَجَ فِلَمْ أَكْنَ أَظْنَانَهُ فِيهِمْ، فَلَوْ أَعْلَمَ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجْشَمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتَ عَنْهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدْمَيْهِ.

ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) الَّذِي بَعَثَ بِهِ مَعَ دَحِيَّةَ الْكَلْبِيِّ إِلَيْهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ فَإِذَا فِيهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هَرقلِ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدَىِ، أَمَا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدُعَائِيَّةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلَمْتُكَ سَلَمًا، أَسْلَمْتُكَ يَوْتَكَ اللَّهَ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تُولِّيَتْ فِيْنِ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرْيَسِيَّنِ، (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةِ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ لَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تُوَلِّوْا فَقُولُوا اشْهُدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (١٣).

قَالَ أَبُو سَفِيَّانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عَنْهُ الصَّبَبُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ، وَأَخْرَجَنَا.

فَقَلَتْ لِأَصْحَابِيِّ حِينَ أَخْرَجَنَا: لَقَدْ عَظِمَ أَمْرُ أَبْنَى أَبْنَى كَبِشَةَ، أَنَّهُ لِيَخَافَهُ مَلْكُ بَنِي الْأَصْفَرِ.

## امتحان واختبار

وَقَيْلٌ: أَنَّهُ كَانَ أَبْنَى النَّاظُورَ صَاحِبَ إِيلِيَا وَهَرقلَ سُقْفَ عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يَحْدِثُ: أَنَّ هَرقلَ حِينَ قَدَمَ إِيلِيَا أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْنَتِكَ.

قَالَ أَبْنَى النَّاظُورِ: وَكَانَ هَرقلُ يَنْظُرُ فِي النَّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النَّجُومِ أَنَّ مَلْكَ الْخَتَانِ قَدْ ظَهَرَ، فَمَنْ يَخْتَنِنَ مِنْ هَذِهِ الْأَمَّةِ؟

فَقَالُوا: لَيْسَ يَخْتَنِنَ إِلَّا يَهُودًا، فَلَا يَهُونُكَ شَأْنُهُمْ، وَاَكْتَبْ إِلَى مَدَائِنِ مَلْكَكَ فَلَيَقْتُلُوْا مِنْ فِيهِمْ مِنْ يَهُودًا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَيَءُ إِلَى هَرقلَ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلْكُ خَسَانٍ يَخْبُرُهُ عَنْ خَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هَرقلُ وَسَأَلَهُ عَنِ الْأَرَبِّ: أَهُمْ يَخْتَنِنُونَ؟

قال: هم يختتنون.

قال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر، ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي، وأنهنبي، فلأنه هرقل لعظماء الروم في دسمرة له بحص، ثم أمر بابوها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معاشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملکكم فتتبعوا هذا النبي؟

فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأليس من الإيمان قال: رذوهـمـ علىـ، وقال: إني قلتـ مقالـتـيـ آنـفـاـ أـخـتـبـرـ بـهـاـ شـدـتـكـمـ عـلـىـ دـيـنـكـمـ، فـقـدـ رـأـيـتـ، فـسـجـدـوـاـ لـهـ وـرـضـوـاـ عـنـهـ، فـكـانـ ذـلـكـ آخرـ شـأـنـ هـرـقـلـ.

## أول المؤمنين

وكان أول من آمن بالرسول (ص) من الرجال علي (ع)، ومن النساء زوجته خديجة (ع).

وعن أبي ذر أنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي (ع): (أنت أول من آمن بي، وأول من يصافحي يوم القيمة، وأنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل... ) (١٤).

وفي نهج البلاغة: (ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة) (١٥).

ثم زيد، وكان غلاماً لخديجة، فوهبته لرسول الله (ص) لما تزوجها، وقدم أبوه وعمه في فدائه فسألـاـ عنـ النبيـ (ص)ـ فـقـيلـ:ـ هـوـ فـيـ المـسـجـدـ،ـ فـخـلـاـ عـلـيـهـ فـقـالـاـ:ـ يـابـنـ عـبـدـ الـمـطـبـ يـابـنـ هـاشـمـ يـابـنـ سـيـدـ قـوـمـهـ،ـ أـنـتـ أـهـلـ حـرـمـ اللـهـ وـجـيـرـانـهـ،ـ تـفـكـوـنـ العـانـيـ وـتـعـمـعـونـ الـأـسـيـرـ،ـ جـنـنـاكـ فـيـ اـبـنـاـ عـبـدـكـ فـامـنـ عـلـيـنـاـ وـأـحـسـنـ إـلـيـنـاـ فـيـ فـدـائـهـ.

قال: من هو؟

قالـاـ:ـ زـيـدـ بـنـ حـارـثـةـ.

قالـ رسولـ اللهـ (ص)ـ:ـ فـهـلاـ غـيرـ ذـلـكـ؟

قالـاـ:ـ مـاـ هـوـ؟

قالـ:ـ اـدـعـوـهـ فـأـخـيـرـهـ،ـ فـإـنـ اـخـتـارـكـمـ فـهـوـ لـكـ،ـ وـإـنـ اـخـتـارـنـيـ فـوـالـلـهـ مـاـ أـنـاـ بـالـذـيـ اـخـتـارـ عـلـىـ مـنـ اـخـتـارـنـيـ أـحـدـاـ.

قالـاـ:ـ قـدـ زـدـتـنـاـ عـلـىـ النـصـفـ.

فـدـعـاهـ فـقـالـ (ص)ـ:ـ أـتـعـرـفـ هـوـلـاءـ؟

قالـ:ـ نـعـمـ.

قالـ:ـ مـنـ هـذـاـ؟

قالـ:ـ هـذـاـ أـبـيـ،ـ وـهـذـاـ عـمـيـ.

قالـ:ـ أـنـاـ مـنـ قـدـ عـلـمـتـ وـرـأـيـتـ صـحـبـتـيـ،ـ فـاـخـتـرـنـيـ أـوـ اـخـتـرـهـمـاـ.

١٤ - بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٣٥ ب ٤٩ ح ١٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣ ص ٢٢٨ ب ٢٣٨

١٥ - نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

قال: ما أنا بالذى أختار عليك أحداً، أنت مني بمكان الأب والعم.  
 قالا: ويحك يا زيد! أنت تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وعلى أهل بيتك؟  
 قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذى أختار عليه أحداً أبداً.  
 فلما رأى رسول الله (ص) ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: أشهدكم أن زيداً ابني.  
 فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما فانصرفا، ودعى زيد بن محمد، حتى جاء الله بالإسلام فنزلت  
 (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْهُمْ) (١٦) فدعى يومئذ زيد بن حارثة.  
 ثم دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدثت به قريش.

## إبلاغ الرسالة

ثم ان الله سبحانه أمر رسوله (ص) أن يصدع بما جاءه منه، وأن ينادي الناس بأمره ويدعوا إليه، فأنزل سبحانه: (فَاصْدِعْ بِمَا تُؤْمِنُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (١٧). ثم قال تعالى: (وَأَذْرِ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ عَصَوْكَ فَقْلُ إِنَّى بِرَءَ مِمَّا تَعْمَلُونَ) (١٨).  
 فعن سالم عن علي (ع) قال: أمر رسول الله (ص) خديجة وهو بمكة فاتخذت له طعاماً، ثم قال لي: ادع لي  
 بني عبد المطلب، فدعوت أربعين رجلاً.

فقال لي (ص): هلم طعامك، فأتيتهم بثريد إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها، فأكلوا منها جميعاً حتى أمسكوا.  
 ثم قال (ص): اسقهم، فسقيتهم باناء هو ربي أحدهم، فشربوا منه جميعاً حتى صدرموا.  
 فقال أبو لهب: لقد سحركم محمد، فتفرقوا ولم يدعهم.  
 فلبيتوا أياماً ثم صنع لهم طعاماً مثله ثم أمرني فجمعتهم فطعموا ثم قال لهم:  
 (أَنَ الرَّانِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَاللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَنِي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً، وَاللهُ لَتَمُوتُنَ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتَبْعَثُنَ كَمَا تَسْتَيقِظُونَ، وَلَتَحْسِبُنَ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَإِنَّهَا الجَنَّةُ أَبْدًا، وَالنَّارُ أَبْدًا).

ثم قال (ص): يا بني عبد المطلب! ابني والله ما أعلم أحداً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جنتم به، قد  
 جنتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأياكم يوازنوني على هذا الأمر، على أن يكون  
 أخي ووصيي وخليفي فيكم؟  
 قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، فقلت: واني لأحدثهم سناً: يا نبى الله أكون وزيرك، فأخذ (ص) برقبتي ثم  
 قال: ان هذا أخي ووصيي وخليفي فيكم، فاسمعوا له وأطاعوا.

قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتتطيع(١٩).

وعن ابن عباس: لما أنزل الله تعالى: (وَأَذْرِ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) (٢٠) أتى النبي (ص) الصفا فصعده، ثم

١٦ - الأحزاب: ٥

١٧ - الحجر: ٩٤

١٨ - الشعراء: ٢١٤ - ٢١٥

١٩ - راجع شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ١٣ ص ٢١٠ - ٢١١ ط دار إحياء التراث العربي.

٢٠ - الشعراء: ٢١٤

نادى: يا صباهاه! فاجتمع الناس إليه - بين رجل يأتي إليه وبين رجل يبعث رسوله - فقال رسول الله (ص): يا بنى عبد المطلب، يا بنى فهر، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتي؟ قالوا: نعم.

قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد  
فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟ فأنزل الله تعالى فيه: (تَبَّأْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (٢١).

## موقف أبي طالب (ع)

مضى رسول الله (ص) على أمر الله مظهراً لأمره لا يرده عنه شيء، فلما رأت قريش أنَّ رسول الله (ص) لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه، ورأوا أنَّ عمه أبا طالب (ع) قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب وفيهم:

عتبة وشيبة ابنا ربعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأبو سفيان بن حرب بن أمية واسمه صخر، وأبو البختري واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي، والأسود بن عبد المطلب بن أسد بن العزى بن قصي، وأبو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، ونبيه ومنبه ابنا الحاجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، وال العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، وغيرهم.

فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباعنا، فاما أن تكفه عنا وإنما أن تخلي بينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه (٢٢) فنكفيكه.

فقال لهم أبو طالب قولاً رفيفاً، وردَّ عليهم ردًا جميلاً، ثم بعث إلى رسول الله (ص)، فلما دخل عليه رسول الله (ص) قال له: يا ابن أخي هو لاءٌ مشيخة قومك وسراتهم، وقد سألك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك.

قال: يا عم أفلأ تدعوه إلى ما هو خير لهم؟  
قال: وإلى ما تدعوه؟

قال: أدعوه إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويمكون بها العجم؟

قال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك لنعطيكها وعشرون أمثالها؟

قال: تقولون: (لا إله إلا الله).

فنفروا وقالوا: سلنا غيرها

قال: لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألكم غيرها، فقاموا من عنده غضباً، وولوا على أدبارهم نفوراً

وهنا التفت أبو طالب (ع) إلى رسول الله (ص) وقال: يا ابن أخي ادع كما أمرت، ثم أنشأ:

٢١ - المسد: ١.

٢٢ - سبق أن أبا طالب (ع) كان مؤمناً بالله تعالى.

وَاللَّهُ لَنْ يَصْلُو إِلَيْكَ بِجُمُعِهِمْ حَتَّىٰ أَوْسَدَ فِي التَّرَابِ دَفِينَا  
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةً وَابْشِرْ وَقِرْ بِذَاكَ مِنْكَ عَيْنَا  
وَدَعْوَتِنِي وَعَلِمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكَنْتَ ثُمَّ أَمِينَا  
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٌ مِنْ خَيْرِ أَدِيَانِ الْبَرِّيَّةِ دِينَا

## منطق الجاهليين

فَلَمَّا نَادَى رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِالإِسْلَامِ وَصَدَعْ بِمَا أَمْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، اسْتَجَابَ لِهِ الْأَحْدَاثُ مِنَ الرِّجَالِ،  
وَالْأَسْعَفَةُ مِنَ النَّاسِ، حَتَّىٰ كَثُرَ مَنْ آمَنَ بِهِ، فَعَظَمْ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ الْأَغْرِاضِ وَالْأَطْمَاعِ مِنْ قَوْمِهِ، وَرَأَوْا أَنَّ  
مَصَالِحَهُمُ الشَّخْصِيَّةُ الْمُعْتَمَدَةُ عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ مَهْدَدَةً بِالْخَطَرِ، فَنَاكُرُوهُ وَأَجْمَعُوا عَلَى خَلَافَهُ وَعِدَاؤُهُ، وَأَكْبَرُوا  
عَلَى مَنَابِذَتِهِ وَإِذْانَهُ، فَحَدَبَ أَبُو طَالِبٍ (ع) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَمَنْعَهُ وَقَامَ دُونَهُ، لَأَنَّهُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى إِيمَانِهِ  
بِاللَّهِ وَرَسُولِ (ص) كَانَ شَرِيفًا فِي قَوْمِهِ، مَطَاعِمًا فِي قُرَيْشٍ، مَطَاعِمًا فِي أَهْلِ مَكَّةَ، فَلَمْ يَتَجَاسِرُوا مَعَهُ مَكَاشِفَةً  
الرَّسُولِ (ص) بِشَيْءٍ مِنَ الْأَذْنِ.

أَمَا أَصْحَابَهُ:

فَمَنْ كَانَتْ لَهُ عَشِيرَةٌ تَحْمِيهِ امْتَنَعَ بِعَشِيرَتِهِ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ عَشِيرَةٌ، فَقَدْ تَصَدَّوْا لَهُ بِالْأَذْنِ وَالْعَذَابِ، فَلَقِي  
أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ (ص) مِنَ الْعَذَابِ أَمْرًا عَظِيمًا.

## عَمَّارُ وَأَبُوهُ

وَكَانَ مِنْ عَذِيبَوْهُ: عَمَّارُ بْنُ يَاسِرَ وَأَمَّهُ وَأَبِيهِ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَقُولُ: صَبِرُوا يَا آلَ يَاسِرِ  
فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةَ، فَمَاتَ يَاسِرُ أَبُو عَمَّارٍ تَحْتَ التَّعْذِيبِ الْقَاسِيِّ، وَكَذَلِكَ مَاتَتْ سَمِيَّةُ أُمُّ عَمَّارٍ عَلَى أَثْرِ حَرْبَةٍ  
طَعَنَهَا فِي قَلْبِهِ أَبُو جَهْلٍ، وَبَقِيَ عَمَّارٌ فِي أَيْدِي أَسْيَادِهِ وَأَخْذُونَهُ أَشَدَّ التَّعْذِيبِ، إِلَى أَنْ قَالُوا لَهُ: لَا نَتَرَكُكَ  
حَتَّىٰ تَكُفُّرَ بِمُحَمَّدٍ وَإِلَهِهِ، فَلَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ مَكْرَهًا، فَتَرَكُوهُ، فَأَتَى النَّبِيُّ (ص) مَعْتَذِرًا بِاِكِيَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِلَّا  
مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِإِيمَانِ..) (٢٣) فَقَالَ لَهُ (ص): لَا بَأْسَ عَلَيْكَ يَا عَمَّارَ إِنْ عَادُوا فَعْدًا.

## مع بلال

وَكَذَلِكَ كَانَ بَلالُ، فَإِنَّ أَسْيَادَهُ كَانُوا يَأْخُذُونَهُ إِلَى التَّعْذِيبِ خَارِجَ مَكَّةَ، فَيَطْرُحُونَهُ عَلَى الرَّمْضَاءِ ثُمَّ يَلْقَوْنَ عَلَى  
بَطْنِهِ الصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ الْمُحَمَّةِ بِالشَّمْسِ، ثُمَّ يَأْخُذُونَهُ وَيَلْبِسُونَهُ فِي ذَلِكَ الْحَرَّ الشَّدِيدِ درَعَ مِنْ حَدِيدٍ، وَيَضْعُونَ  
فِي عَنْقِهِ حَبَّلًا وَيَسْلُمُونَهُ إِلَى الصَّبِيَّانِ يَطْوِفُونَ بِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ لَا يَبْالِي بِمَا يَلْقَى فِي ذَاتِ  
اللَّهِ، وَكَانَ كُلُّمَا اشْتَدَّ بِهِ الْعَذَابِ يَقُولُ: أَحَدٌ، أَحَدٌ.

## الهجرة إلى الحبشة

فَلَمَّا اشتدَّ الْبَلَاءُ عَلَيْهِمْ أَذْنَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) لَهُمْ فِي الْهِجْرَةِ الْأُولَى إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ وَقَالَ: إِنَّ بَهَا مَلْكًا لَا يَظْلِمُ النَّاسَ، وَهِيَ أَرْضٌ صَدَقَ، فَلَوْ خَرَجْتُ إِلَيْهَا حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرْجًا وَمَخْرَجًا مَا أَنْتُمْ فِيهِ.  
فَهَاجَرَ إِلَيْهَا جَمَاعَةً يَبْلُغُ عَدْدُهُمْ أَحَدَ عَشْرَ رَجُلًا وَأَرْبَعَ نِسَوةً، فَخَرَجُوا مُتَسَالِمِينَ سَرًا فَوْقَ اللَّهِ لَهُمْ سَاعَةً  
وَصَوْلَهُمْ إِلَى السَّاحِلِ سَفِينَتَيْنِ لِلتَّجَارِ فَحَمَلُوهُمْ فِيهَا إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ، وَكَانَ خَرْجُهُمْ فِي رَجَبٍ مِنَ السَّنَةِ  
الْخَامِسَةِ مِنَ الْمَبْعَثِ الشَّرِيفِ، فَأَقَامُوا بِالْحَبْشَةِ شَعْبَانَ وَرَمَضَانَ، وَخَرَجَتْ قَرِيشٌ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى جَاءُوا بِالْبَرِّ  
فَلَمْ يَدْرِكُوهُمْ أَحَدًا.

ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ فِي شَوَّالٍ لَمَّا بَلَغُوهُمْ أَنَّ قَرِيشًا صَافَوْهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَكَفَوْا عَنْهِ.  
وَلَكِنْ لَمَّا وَافَوْهُمْ وَرَأُوا الْأَمْرَ عَلَى خَلَافِ مَا بَلَغُوهُمْ، حَيْثُ تَعَرَّضُ كَثِيرُهُمْ لِذَلِكَ الْمُشَرِّكِينَ وَاضْطَهَادِهِمْ  
الْقَاسِيِّ وَبِنَحْوِ أَشَدِّ مِنَ الْمَرَةِ الْأُولَى، اسْتَأْذَنُوا الرَّسُولَ (ص) ثَانِيَةً بِالْهِجْرَةِ، فَأَذْنَ لَهُمْ فِي الْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبْشَةِ  
مَرَةً ثَانِيَةً فَخَرَجُوا، فَكَانَ خَرْجُهُمُ الثَّانِي أَشَقُّ عَلَيْهِمْ وَأَصَعُّ، وَكَانَ عَدَّةً مِنْ خَرْجِهِمْ فِي هَذِهِ الْمَرَةِ ثَلَاثَةً وَثَمَانِينَ  
رَجُلًا وَثَمَانِيَّةً عَشْرَةً اَمْرَأَةً قَرْشِيَّةً وَغَيْرَ قَرْشِيَّةً، يَرَأْسُهُمْ جَعْفُرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع).  
فَأَكْرَمَ النَّجَاشِيَّ وَفَادَتْهُمْ وَآمَنُوا بِالرَّسُولِ (ص).

## من بركات الهجرة

وَلَمَّا رَأَتْ قَرِيشٌ اطْمَئْنَانَ الْمُهَاجِرِينَ فِي أَرْضِ الْمَهْجُورِ، وَحَسْنَ صَحَّبَةِ النَّجَاشِيِّ لَهُمْ، اجْتَمَعُوا فِي دَارِ النَّدْوَةِ  
وَقَالُوا: إِنَّ لَنَا فِي الَّذِينَ عَنِ الْنَّجَاشِيِّ شَارِأً، فَاجْمَعُوا مَا لَأَنَا وَاهْدُوهُ إِلَى النَّجَاشِيِّ لِعَلِيهِ يَدْفَعُ إِلَيْكُمْ مِنْ عَنْهُ،  
وَلِيَنْتَدِبُ فِي ذَلِكَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ رَأْيِكُمْ، فَبَعْثُوا عُمَرَ بْنَ الْعَاصِ وَعُمَرَةَ بْنَ الْوَلِيدِ مَعَ الْهَدِيَّةِ فَرَكِبَ الْبَرِّ.  
فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى النَّجَاشِيِّ سَجَدَا لَهُ وَسَلَّمَا عَلَيْهِ وَقَالَا: قَوْمُنَا لَكَ نَاصِحُونَ، وَإِنَّهُمْ بَعْثُونَا إِلَيْكَ لِنَحْذِرُكَ هُؤُلَاءِ  
الَّذِينَ قَفَمُوا عَلَيْكَ، لَأَنَّهُمْ قَوْمٌ رَجُلٌ كَذَابٌ خَرَجَ فِينَا يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَمْ يَتَّبِعْهُ إِلَّا السَّفَهَاءُ، فَضَيَّقُتَا عَلَيْهِمْ  
وَالْجَنَاحَاهُمْ إِلَى شِعْبٍ بِأَرْضِنَا لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ، فَقَتَلُوهُمُ الْجُوعُ وَالْعَطْشُ، فَلَمَّا اشْتَدَ عَلَيْهِمْ  
الْأَمْرُ بَعَثَ إِلَيْكَ أَبْنَى عَمِّهِ لِيَفْسُدَ عَلَيْكَ دِينَكَ وَمَالَكَ، فَأَهْذَرُوهُمْ وَادْفَعُوهُمْ إِلَيْنَا لِنَكْفِيَنَّهُمْ، وَآيَةً ذَلِكَ أَنَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا  
عَلَيْكَ لَا يَسْجُدُونَ لَكَ وَلَا يَحْيُونَكَ بِالْتَّحْيَةِ التِّي كُنْتَ تَحْيَاهَا، رَغْبَةً عَنِ دِينِكَ.

فَلَمَّا دَعَاهُمُ النَّجَاشِيَّ وَحَضَرُوا صَاحِ جَعْفُرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِالْبَابِ: يَسْأَلُونَ عَلَيْكَ حَزْبَ اللَّهِ.  
فَقَالَ النَّجَاشِيَّ: مَرَوَا هَذَا الصَّانِحَ فَلَيُعَلِّمَ كَلَامَهُ، فَفَعَلَ.

فَقَالَ: نَعَمْ فَلَيَدْخُلُوا بِأَمْانِ اللَّهِ وَذَمَّتِهِ.  
فَدَخَلُوا وَلَمْ يَسْجُدُوا لَهُ.

قَالَ: مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَسْجُدُوا لِي؟

قَالُوا: نَسْجَدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ وَمَلَكَ، وَإِنَّمَا كَانَتْ تَلَكَ التَّحْيَةُ لَنَا وَنَحْنُ نَعْبُدُ الْأَوْثَانَ، فَبَعَثَ اللَّهُ فِينَا نَبِيًّا صَادِقًا،

وأمرنا بالتحية التي رضيها وهي (السلام) تحية أهل الجنة.

عرف النجاشي أن ذلك حق، وأنه في التوراة والإنجيل.

فقال: أيكم الهاتف يستأذن؟

قال جعفر: أنا.

قال: فتكلّم.

قال: إنك ملك لا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم، وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي، فمر هذين الرجلين فليتكلّم أحدهما فتسمع كلامنا وحوارنا.

قال عمرو بن العاص لجعفر: تكلّم.

فقال جعفر للنجاشي: سله أعيده نحن أم أحرار؟ فإن كنا عبيداً قد أبتنا من موالينا فاردنا إليهم.

قال عمرو: بل أحرار كرام.

فقال: هل أرقنا دماً بغير حق فيقتصر منا؟

قال: لا، ولا قطرة.

قال: فهل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاها؟

قال عمرو: ولا قيراط.

قال النجاشي: فما تطلبون منهم؟

قال: كنا وهم على دين واحد، على دين آبائنا، فتركوا ذلك واتبعوا غيره.

فقال النجاشي لجعفر: ما هذا الذي كنتم عليه والذي اتبعتموه؟ وأصدقني.

قال جعفر: أما الذي كنا عليه فتركتناه فهو دين الشيطان، كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة، وأما الذي تحولنا إليه فهو دين الله الإسلام، جاءنا به من الله رسول، وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافق له.

فقال النجاشي: تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك.

ثم أمر بضرب الناقوس، فاجتمع إليه كل قسيس وراهب، فقال: أنشدكم بالله الذي أنزل الإنجيل على عيسى، هل تجدون بين عيسى وبين القيامةنبياً مرسلًا؟

قالوا: اللهم نعم، قد يشرنا به عيسى وقال: من آمن به فقد آمن بي، ومن كفر به فقد كفر بي.

فقال النجاشي لجعفر: ماذا يقول لكم هذا الرجل؟ وماذا يأمركم به وماذا ينهاكم عنه؟

قال: يقرأ علينا كتاب الله، ويأمرنا بالمعروف، وينهانا عن المنكر، ويأمرنا بحسن الجوار، وصلة الرحم، وبر اليتيم، ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له.

فقال: أقرأ ما يقرأ عليكم.

فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم، ففاضت عين النجاشي وأصحابه من الدمع.

فقال: زدنا من هذا الحديث الطيب.

فقرأ عليهم سورة الكهف.

فأراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال: إنهم يسبون عيسى وأمه.

فقرأ عليهم جعفر سورة مريم (ع).

فَلَمَّا أتَى عَلَى ذِكْرِ عِيسَى وَأَمَّهُ رَفِعَ النَّجَاشِيْ نَفَاثَةً مِنْ سَوَاكِهِ قَدْرَ مَا يَقْدِي الْعَيْنِ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زَادَ الْمُسِيْحَ عَلَى مَا يَقُولُ هُؤُلَاءِ نَقْدًا.

ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى جَعْفَرٍ وَمِنْ مَعِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سَيْوَمُ (٢٤) بِأَرْضِيِّ، مِنْ سَبَّكِمْ غَرْمَ، فَلَا هُوَادَةُ الْيَوْمِ عَلَى حَزْبِ ابْرَاهِيمَ، مَا أَحَبَّ أَنْ لِي دَبَّرًا (٢٥) مِنْ ذَهَبٍ وَأَنِّي أَذِيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: رَدُوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةٌ لِي فِيهَا، فَوَاللَّهِ مَا أَخْذَ اللَّهُ مِنْيَ الرَّشْوَةَ حِينَ رَدَ عَلَى مَلْكِي فَأَخْذَ الرَّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطْعَنَ النَّاسَ فِي فَاطِيْعَهُمْ فِيهِ.

فَخَرْجًا مَقْبُوحِينَ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَهُمْ.

وَفِي النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ - حَسْبُ بَعْضِ التَّفَاسِيرِ - نَزَّلَتْ: (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْ الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيْضُ مِنَ الدَّمْعِ) (٢٦).

## اسلام النجاشي

ثُمَّ اسْلَمَ النَّجَاشِيَّ اسْلَمَ سَرَاً وَآمَنَ بِالنَّبِيِّ (ص) خَفِيَّةً وَقَالَ: لَوْ قَدِرْتُ أَنْ آتَى النَّبِيِّ لِأَتْتِهِ، فَكَاتَبَهُ النَّبِيُّ (ص)

فِي أَنْ يَزُوْجَهُ أَمْ حَبِيبَةَ بَنْتَ أَبِي سَفِيَّانَ، وَكَانَتْ مِنْ هَاجِرَ إِلَى الْحَبْشَةَ مَعَ زَوْجِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشَ، فَتَنَصَّرَ هَنَاكَ وَمَاتَ، فَزُوْجَهُ إِيَّاهَا، وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ أَرْبَعَمَائَةَ دِينَارٍ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّ تَزْوِيجَهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِ مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِهِ وَيَحْمِلُهُمْ فَعْلَةً، وَحَمَلُهُمْ فِي سَفِينَتَيْنِ مَعَ عُمَرَ بْنَ أَمِيَّةَ، وَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) حِينَ افْتَحَ خَيْرَ.

وَلَمَّا مَاتَ النَّجَاشِيُّ نَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَخَرَجَ إِلَى الْمَصَلَى فَكَبَرَ خَمْسَ تَكْبِيرَاتٍ ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ: اسْتَغْفِرُوكُمْ لِأَخِيكُمْ.

قِيلَ: وَكَانَ مَوْتُ النَّجَاشِيِّ فِي رَجَبِ سَنَةِ تَسْعَ هَجَرِيَّةَ، وَلَمَّا صَلَّى عَلَيْهِ رَفِعَ إِلَيْهِ سَرِيرَهُ بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ حَتَّى رَأَاهُ بِالْمَدِينَةِ، وَتَكَلَّمَ الْمَنَافِقُونَ وَقَالُوا: يَصْلِي عَلَى عَلْجِ مَاتَ بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ.

## اسلام حمزة

ثُمَّ اسْلَمَ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ وَكَانَ سَبَبُ اسْلَامِهِ أَنْ أَبْجَهَ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ (ص) فَأَذَاهُ وَشَتَّمَهُ وَنَالَ مِنْهُ بَعْضُ مَا يَكْرَهُ مِنَ الْعَيْبِ لِدِينِهِ وَالتَّضَعِيفِ لِأَمْرِهِ، فَلَمْ يَكُلِّمْ رَسُولَ اللَّهِ (ص)، وَمَوْلَةُ لَعْبَدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ فِي مَسْكِنِ لَهَا تَسْمِعُ ذَلِكَ.

ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ عَامِدًا إِلَى نَادِي قَرِيشَ عَنْدَ الْكَعْبَةِ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فَلَمْ يَلِبِّثْ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ أَنْ أَقْبَلَ مَتْوَشِحًا قَوْسَهُ رَاجِعًا مِنْ قَنْصٍ لَهُ، وَكَانَ صَاحِبُ قَنْصٍ يَرْمِيهِ وَيَخْرُجُ لَهُ، وَكَانَ إِذَا رَجَعَ مِنْ قَنْصِهِ لَمْ يَصُلِّ إِلَى أَهْلِهِ حَتَّى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَكَانَ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمْرِ عَلَى نَادِي قَرِيشَ إِلَّا وَقَفَ وَسَلَمَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُمْ، وَكَانَ أَعْزَ

٢٤ - السيوم: الأمون.

٢٥ - الدبر بلسان الحبشة: الجبل.

٢٦ - المائدة: ٨٣.

فتى في قريش وأشدّه شكيمة.

فَلَمَا مَرَّ بِالْمُوْلَةِ - وَقَدْ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِلَى بَيْتِهِ - قَالَتْ: يَا أَبَا عَمَارَةَ، لَوْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ ابْنُ أَخِيكَ مُحَمَّدَ أَنَّهَا مِنْ أَبْنَى الْحَكْمَ بْنَ هَشَامَ، وَجَدَهُ هُنَا جَالِسًا فَأَذَاهُ وَشَتَمَهُ وَسَبَّهُ وَبَلَغَ مِنْهُ مَا يَكْرَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَكُلْهُ.

فَاحْتَمَلَ حَمْزَةُ الْغَضْبَ لِمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، فَخَرَجَ يَسْعَى لِمَا يَقْفَى لِأَحَدٍ، مَعْدَّاً لِأَبِيهِ جَهْلَ إِذَا لَقِيَهُ أَنْ يَوْقَعَ بِهِ، فَلَقِيَهُ جَالِسًا فِي الْقَوْمِ، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ، حَتَّى إِذَا قَامَ عَلَى رَأْسِهِ رَفَعَ الْقَوْسَ فَضَرَبَهُ بِهَا فَشَجَّهَ شَجَّةً مُنْكَرَةً، ثُمَّ قَالَ: أَتَشَتَّمُهُ وَتَسْبُّهُ؟ فَأَنَا عَلَى دِينِهِ، أَقُولُ مَا يَقُولُ، فَرَدَ عَلَيَّ إِنْ أَسْطَعْتُ.

فَقَامَتْ رِجَالٌ مِنْ بَنِي مَخْرُومٍ إِلَى حَمْزَةَ لِيُنَصِّرُوهُ أَبَا جَهْلٍ.

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: دُعُوا أَبَا عَمَارَةَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَبَبْتُ أَبِيهِ سَبَّا قَبِيحاً.

وَتَمَ حَمْزَةُ عَلَى إِسْلَامِهِ وَعَلَى مَا تَابَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ص)، فَعَرَفَتْ قَرِيشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَدْ عَزَّ وَامْتَنَعَ، وَأَنَّ حَمْزَةَ سِيمَنَعَهُ، فَكَفُوا عَنِ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنْالُونَ مِنْهُ.

## أبو طالب وموافقه المشرفة

فَلَمَّا رَأَتْ قَرِيشٌ أَنَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) يَتَزايدُ وَيَقْوُى، مَشَوَا إِلَى أَبِيهِ طَالِبٍ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّ لَكَ سَنَا وَشَرْفًا وَمَنْزَلَةً، وَإِنَا قَدْ اسْتَهْنَيْنَاكَ مِنْ أَبْنَى أَخِيكَ، فَلَمْ تَنْهَهْ عَنْهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَاتَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتَمِ أَبَانَا وَتَسْفِيهِ أَحَلَّمَا وَعَيْبَ الْهَتَّا، حَتَّى تَكْفُهُ عَنَّا أَوْ نَنْزَلُهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ.

فَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَقَالَ: يَا أَبْنَى أَخِي إِنَّ قَوْمَكَ جَاعُونِي وَقَالُوا لِي كَذَّا وَكَذَّا فَمَا تَقُولُ؟

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص): يَا عُمَّا وَاللَّهُ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسْارِي عَلَى أَنْ أَتَرَكَ هَذَا الْأَمْرَ مَا تَرَكْتَهُ حَتَّى يَظْهُرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلُكَ فِيهِ.

ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فَبَكَى، ثُمَّ قَامَ. فَلَمَّا وَلَى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: أَقْبَلَ يَابْنُ أَخِي. فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فَقَالَ لَهُ: قَلْ يَا أَبْنَى أَخِي مَا أَحَبَّتِ، فَوَاللَّهِ لَا أَسْلِمُكَ لَشَيْءٍ أَبْدَأَ.

## مكيدة قريش

ثُمَّ إِنْ قَرِيشًا حِينَ عَرَفُوا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ (ع) قَدْ أَبْيَ خَذْلَانَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) وَإِسْلَامَهُ لَهُ، وَاجْمَاعَهُ لِفَرَاقِهِمْ فِي ذَلِكَ وَعَدَوَتِهِمْ، مَشَوَا إِلَيْهِ بِعَمَارَةِ بْنِ الْوَلِيدِ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ، هَذَا عَمَارَةُ بْنِ الْوَلِيدِ أَنْهَدَ فَتِيَ قَرِيشٍ وَأَجْمَلَهُ، فَخَذَهُ فَلَكَ عَقْلَهُ وَنَصْرَهُ وَاتَّخَذَهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ، وَأَسْلَمَ إِلَيْنَا أَبْنَى أَخِيكَ هَذَا الَّذِي قَدْ خَالَفَ دِينَكَ وَدِينَ آبَانِكَ وَوَرَقَ جَمَاعَةَ قَوْمَكَ وَسَقَهُ أَحَلَّمَهُمْ فَنَقْتَلَهُ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ كَرْجَلٌ.

فَأَجَابَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَاتِلًا: وَاللَّهِ لَبَئِسَ مَا تَسْوِمُونِي، تَعْطُونِي أَبْنَكَ اغْذِيَّهُ لَكُمْ، وَأَعْطِيَكُمْ أَبْنِي تَقْتُلُونَهُ! هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُونُ أَبْدَأَ.

فَقَالَ الْمَطْعَمُ بْنُ عَدَيِّ بْنُ نُوفَّلٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ: وَاللَّهِ يَا أَبَا طَالِبٍ لَقَدْ أَنْصَفَ قَوْمَكَ، وَجَهُوكُمْ عَلَى التَّخْلُصِ مَا

تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً؟  
قال: والله ما أنصفتموني، ولكنك قد أجمعـت خذلـاني ومظاهرـة القوم علىـيـ، فاصـنـعـ ما بـداـ لكـ، فـتـنـابـذـ القـوـمـ  
وبـادـىـ بـعـضـهـمـ بـعـضاـ.

قال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم ويعلم من خذلة من بنـيـ عبدـ منـافـ ومن عـادـهـ من قـبـائلـ قـرـيـشـ وـيـذـكـرـ  
ما سـأـلـوهـ وـمـاـ تـبـاعـدـ مـنـ أـمـرـهـ أـبـيـاتـاـ أولـهاـ: (أـلـاـ قـلـ لـعـمـرـ وـالـولـيدـ وـمـطـعـمـ أـلـاـ لـيـتـ حـظـيـ مـنـ حـيـاطـتـكـمـ بـكـ).

## قریش یتأمرُون

ثم إن قريشاً تأمروا بينهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله (ص) الذين أسلموا معه، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنع الله رسوله منهم بعـمه أبي طالب (ع)، وقد قام أبو طالب (ع) حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بنـيـ هـاشـمـ وـبـنـيـ عـبدـ المـطـلـبـ فـدعـاهـمـ إـلـىـ ماـ هوـ عـلـيـهـ مـنـ مـنـعـ رسـولـهـ (صـ)ـ وـالـقـيـامـ دـوـنـهـ، فـاجـتـمـعـواـ إـلـيـهـ وـقـامـواـ مـعـهـ، إـلـاـ مـاـ كـانـ مـنـ أـبـيـ لـهـبـ وـوـلـدـهـ فـإـنـهـمـ ظـاهـرـواـ قـرـيـشـاـ عـلـىـ قـوـمـهـ.

ثم إنهم أجمعـواـ عـلـىـ أـنـ يـقـتـلـواـ رسـولـهـ (صـ)ـ عـلـاتـيةـ، فـبـلـغـ ذـلـكـ أـبـاـطـالـبـ، فـجـمـعـ بـنـيـ هـاشـمـ وـبـنـيـ عـبدـ المـطـلـبـ  
فـأـخـلـوـاـ رسـولـهـ (صـ)ـ شـعـبـهـ وـمـنـعـهـ مـنـ أـرـادـ قـتـلـهـ.

## الصحيفة المشؤومة

فـلـمـ رـأـتـ قـرـيـشـ ذـلـكـ اـجـتـمـعـواـ وـأـنـتـمـوـاـ أـنـ يـكـتـبـواـ كـتـابـاـ عـلـىـ بـنـيـ هـاشـمـ وـبـنـيـ عـبدـ المـطـلـبـ أـلـاـ يـنـكـحـوـاـ إـلـيـهـمـ، وـلـاـ  
يـنـكـحـهـمـ، وـلـاـ يـبـيـعـهـمـ شـيـئـاـ، وـلـاـ يـبـتـاعـهـمـ، وـلـاـ يـقـبـلـهـمـ مـنـهـمـ صـلـحـاـ أـبـداـ، وـلـاـ تـأـخـذـهـمـ بـهـمـ رـأـفـةـ حـتـىـ  
يـسـلـمـوـاـ رسـولـهـ (صـ)ـ لـلـقـتـلـ.

وـكـتـبـهـ فـيـ صـحـيـفةـ بـخـطـ أحـدـهـمـ، فـأـصـبـبـتـ يـدـ الكـاتـبـ بـعـدـهـاـ بـالـشـلـلـ، وـعـلـقـوـاـ الصـحـيـفةـ فـيـ جـوـفـ الـكـعـبـةـ.  
فـانـحـازـ بـنـوـ هـاشـمـ وـبـنـوـ المـطـلـبـ، مـسـلـمـهـمـ وـكـافـرـهـمـ، إـلـىـ أـبـيـ طـالـبـ فـدـخـلـوـاـ مـعـهـ شـعـبـهـ، فـأـقـامـوـاـ عـلـىـ ذـلـكـ ثـلـاثـ  
سـنـينـ حـتـىـ جـهـدـوـ وـكـانـ لـاـ يـصـلـ إـلـيـهـ شـيـءـ إـلـاـ سـرـأـ، وـقـطـعـتـ قـرـيـشـ عـنـهـمـ الـأـسـوـاقـ حـتـىـ كـانـ يـسـمـعـ أـصـوـاتـ  
نـسـانـهـمـ وـأـبـنـانـهـمـ يـتـضـاغـونـ مـنـ وـرـاءـ الشـعـبـ مـنـ الجـوـعـ، وـاشـتـدـواـ عـلـىـ مـنـ أـسـلـمـ مـنـ لـمـ يـدـخـلـ الشـعـبـ، وـعـظـمـتـ  
الـفـتـنـةـ وـزـلـزـلـوـاـ زـلـزـلـاـ شـدـيدـاـ.

وـكـانـ أـبـوـ طـالـبـ (عـ)ـ إـذـ أـخـذـ النـاسـ مـضـاجـعـهـمـ أـمـرـ رسـولـهـ (صـ)ـ فـاضـطـجـعـ فـرـاشـهـ حـتـىـ يـرـىـ ذـلـكـ مـنـ أـرـادـ  
اغـتـيـالـهـ، إـذـ نـامـ النـاسـ أـمـرـ عـلـيـاـ (عـ)ـ أـوـ أـحـدـ بـنـيـهـ أـوـ إـخـوـتـهـ أـوـ بـنـيـ عـمـهـ فـاضـطـجـعـ عـلـىـ فـرـاشـ رسـولـهـ (صـ)ـ،  
وـأـمـرـهـ أـنـ يـأـتـيـ بـعـضـ فـرـشـهـمـ، وـفـيـ ذـلـكـ أـنـشـأـ أـبـوـ طـالـبـ قـصـيـدـتـهـ الـلـامـيـةـ الـمـشـهـورـةـ، وـالـتـيـ قـالـ فـيـهـاـ:  
(ولـمـ رـأـيـتـ القـوـمـ لـاـ وـدـ فـيـهـمـ وـقـدـ قـطـعـوـاـ كـلـ العـرـىـ وـالـوـسـائـلـ)  
إـلـىـ آخـرـ الـفـصـيـدـةـ.

## نقض الصحيفة

ثم بعد ذلك تألف قوم من قريش على نقض تلك الصحيفة، كان أحسنهم فيها عناء هشام بن عمرو بن الحرش، فإنه مشى إلى زهير بن أمية بن المغيرة وكلمه في ذلك، وكان زهير هذا شديد الغيرة على النبي (ص) وال المسلمين، وكانت أمه عاتكة بنت عبدالمطلب، فأجابه زهير إلى نقض الصحيفة.

ثم مشى هشام إلى المطعم بن عدي فذكره أر罕 بن هاشم وبني المطلب ابني عبدمناف فأجابه إلى ذلك.

ثم مشى إلى أبي البختري بن هشام فقال له مثل ما قال للمطعم بن عدي.

ثم مشى إلى زمعة بن الأسود فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم. فقال: وهل معي على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟

قال: نعم، ثم سمي له القوم.

واتعدوا خطم الجحون ليلاً بأعلى مكة، فاجتمعوا وتعاهدوا على القيام في نقض الصحيفة، وقال زهير: أنا أبدأكم فأكون أول من يتكلّم.

فأصبحوا غداً على أندائهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة، فطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة: أنا كل الطعام ونبيث الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يباعون منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

فقال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد -: كذبت والله لاتشق.

قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتب.

فقال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به.

قال المطعم بن عدي: صدقت وكذب من قال غير ذلك، نبرا إلى الله منها ومما كتب فيها. وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك.

قال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، وشروع فيه بغير هذا المكان.

هذا كله وأبوطالب (ع) يستعد للجميء إلى المسجد، وكان قد أخبره رسول الله (ص): بأن الله قد سلط الأرضة على صحيفتهم فأكلتها إلا ما كان من اسم الله تعالى، فلما أخبر النبي (ص) عمه أبوطالب بذلك، قال أبوطالب: لا والثواب ما كذبتي.

فانطلق يمشي بعصابة من بني عبدالمطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش، فتكلم وقال: إنه قد حدث أمر لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح، فأتوا بصحيفتكم.

وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها.

فأتوا متعجّبين لا يشكّون أن رسول الله (ص) مدفوع إليهم.

قالوا: قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا، فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد قد جعلتموه خطراً لهلكة قومكم.

قال أبوطالب: لأعطيكم أمراً لكم فيه نصف، إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبني: أن الله بريء من هذه الصحيفة التي في أيديكم ومحاك كل غدركم وقطيعتكم إلا ما كان من اسم الله تعالى فيها، فإن كان ما قال حقاً، فهو الله لأنسلمه إليكم حتى نموت عن آخرنا، وإن كان الذي يقول باطلًا دفعناه إليكم فقتلتموه أو استحببتموه.

قالوا: قد رضينا.

فتحوا الصحيفة فوجدوها كما أخبر، لكنهم أصرّوا في غيّهم وعنادهم وقالوا: هذا سحر من صاحبكم.  
فتكلم عند ذلك النفر الذين تعاقدوا، ومزقت الصحيفة، فلما مزقت وبطل ما فيها أنشأ أبوطالب في ما كان من  
أمر أولئك القوم الذين قاموا في نقضها يمدحهم قائلاً:  
اللّه أَلَا هُلْ أَتَى بِهِ بَرٌ يَرِى صَنْعَ رَبِّنَا\*\* عَلَى نَأِيهِمْ وَاللّهُ بِالنَّاسِ أَرَوَدَ  
إِلَى آخر الأبيات.  
وخرج بنو هاشم من شعبهم وخلطوا الناس، وذلك بعد عشرة أعوام من المبعث الشريف.

## عام الحزن

ولما خرج بنو هاشم من الشعب لم يمض عليهم من الزمان إلا ستة أشهر حتى توفي أبوطالب (ع)، ثم  
توفيت خديجة بعده بثلاثة أيام على قول، فسمى رسول الله (ص) ذلك العام: عام الحزن.

## اشتداد أذى قريش

وبموت أبي طالب (ع) اشتَدَ البلاء على رسول الله (ص) من قومه، وتجرّوا عليه، وكاشفوه بالآذى الشديد،  
وأرادوا قتله، إلا أن الله منعهم منه، وجّعواه غصصاً كثيرة:  
فمنها: ما رواه بعضهم وقال: حضرتهم وقد اجتمعوا في الحجر يذكرون رسول الله (ص) فقالوا: ما رأينا  
مثل ما صبرنا عليه، سفه أحلامنا وشتم آباءنا وفرق جماعتنا، فبينماهم كذلك إذ أقبل رسول الله (ص) فاستلم  
الركن، فلما مرّ بهم غمزوه، فعرفت ذلك في وجه رسول الله (ص) ثم مضى، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها،  
فعرفت ذلك في وجه رسول الله (ص) ثم مرّ بهم الثالثة، فلما كان من الغد اجتمعوا كذلك إذ طلع، فقالوا: قوموا  
إليه وثبتة رجل واحد وهكذا فعلوا.

## مع ابن أبي معيط

ومنها: انه قال بعضهم: سألت بعض الصحابة عن أذى قريش للنبي (ص) بعد وفاة عمّه أبي طالب (ع)  
وقلت له: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله (ص).  
قال: بينما النبي (ص) يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فخنقه خنقاً شديداً.

## البنت الوفية

ومنها: ما عن عبدالله بن مسعود قال: كان رسول الله (ص) يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في

مجالسهم، إذ قال قائل منهم: لا تنتظرون إلى هذا المرانى، أىكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلامها فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه.

فأبىث أشقاهم، فلما سجد (ص) وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك، وأنا قائم أنظر، ولو كان لي منه طرحته عن ظهر رسول الله (ص).

فانطلق منطلق إلى فاطمة ، فاقبّلت تسعى، وثبت النبي (ص) ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تؤبّتهم.

فما قضى رسول الله (ص) صلاته رفع صوته شاكياً إلى الله ما نزل به وهو يقول: اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد.

قال عبد الله: فوالله لقد رأيتم صرعاً يوم بدر قد غيّرتهم الشمس في يوم حار، ثم سحبوا إلى قليب بدر فالقوا فيه.

## نماذج من أذى قريش

ومنها: انهم كانوا يحضّون سفهائهم لإلقاء التراب على وجهه ورأسه(ص).

ومنها: انهم كانوا يطرحون الفرث والدم والشكوك على بابه (ص).

ومنها: ان أمية بن خلف تجاسر على النبي (ص) في وجهه، فاحمر وجه رسول الله (ص) ولم يقل له شيئاً.

## مع البنّت الحنون

ومنها: انه قال بعضهم: لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله (ص) التراب دخل رسول الله (ص) بيته والتراب على رأسه، فقمت إليه فاطمة فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله (ص) يقول لها: لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك.

قال: ويقول بين ذلك: ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب.

## في ظل الكعبة

ومنها: ما روي عن خباب قال: أتيت النبي (ص) وهو متوسّد بردة وهو في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: يا رسول الله لا تدعوا الله؟

ففُقد (ص) وهو محمر وجهه فقال: لقد كان فيمن كان قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد مادون عظامه، ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الذنب على غنمته.

## مع جماعة الأحلاف

ومنها: ما عن عبد الله بن عباس انه قال: اجتمع جماعة من أحلاف الكفار عند غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابتعوا إلى محمد فكلموه وخاصصوه حتى تغذروا فيه، فبعثوا إليه من يقول له: ان أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فاتهم.

فجاءهم رسول الله (ص) وهو حريص عليهم، يحب رشدهم ويعز عليهم عنتهم، حتى جلس إليهم.

قالوا: يا محمد إننا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنما والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد سببت الآباء، وعبد الدين، وشتلت الآلهة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي من قبيح إلا قد جنته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جنت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تطلب به الشرف فيما فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكتك، وإن كان الذي يأتيك رئياً - وكانوا يسمون التابع من الجن: رئياً - تراه قد غالب عليك بذلك أموالنا في طلب الطلب لك حتى تبرنك عنه أو نذر فيك، وإن كنت ت يريد امرأة زوجناك أجمل بنت في العرب.

قال لهم رسول الله (ص): ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله تعالى بعثي إليكم رسولاً وأنزل على كتاباً وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربِّي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مثني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا: يا محمد، فإن كنت غير قادر على إثبات ما عرضناه عليك فإنه قد علمت أنه ليس من الناس أحد أصدق بلداً ولا أقل ماء ولا أشد عيشاً منا، فاسئل ربَّك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيق علينا، وليسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاً كأنها الشام والعراق، ولبيعث من مضى من آبائنا، ول يكن فيمن يبعث لنا: قصي بن كلاب فإنه كان شيخ صدق فسألَه عما تقول أحق هو أم باطل؟ فإن صدقوك وصنعت ما سألك صدقناك، وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك رسولاً كما تقول.

قال لهم رسول الله (ص): ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثي به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه على فأصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا: فإذا لم تفعل هذا فخذ لنفسك، سل ربَّك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، واما لا، فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغطي بها عما نراك تتبعي، فإنك تقوم في الأسواق تلتسم المعاش كما نلتسم، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربِّك إن كنت رسولاً كما تزعم.

قال لهم رسول الله (ص): ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربَّه، ولكن الله بعثي بشيراً ونذيراً فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا: فأسقط السماء علينا كسفاً كما زعمت أنَّ ربَّك إن شاء فعل.

قال: فقال رسول الله (ص): ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فعل.

قالوا: يا محمد، فما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألاك عنه ونطلب منك ما نطلب، فيتقدّم إليك فيعلمك بما ترافقنا به ويخبرك بما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به، إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا، رجل باليمامة يقال له: الرحمن، وإن الله لا يؤمن بالرحمن أبداً، فقد أذعننا إليك يا محمد، وإن الله لاتتركك وما بلغت منا حتى نهلك أو تهلكنا.

فقام رسول الله (ص) من عندهم وانصرف إلى أهله حزيناً أسفًا عليهم.

فما قام عنهم رسول الله (ص) وانصرف، قال أبو جهل: يا معاشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آهتنا، وإنني أعاده الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عن ذلك أو امنعوني، فلتتصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. قالوا: والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد.

فما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله (ص) ينتظره، وغداً رسول الله (ص) كما كان يغدو، وكان رسول الله (ص) بمكة قبلته إلى الشام، فكان إذا صلي، صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام.

فقام رسول الله (ص) يصلي وقد غدت قريش في أندائهم فجلسوا فيها ينظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله (ص) احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزاً متلقعاً لونه مرعوباً قد يبسّت يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده.

فقامت إليه رجال قريش وقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟

قال: قمتُ إليه لافعل ما قلت لكم البارحة، فلما دنت عرض لي دونه فحل من الإبل والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل فقط، فهو بي أن يأكلني.

وروي أن رسول الله (ص) قال: ذاك جبرائيل، ظهر له بهذه الصورة، ولو دنا لأخذه.

فلما قال ذلك لهم أبو جهل قام النضر بن الحارث بن كلدة فقال:

يا معاشر قريش! والله لقد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمدَ فيكم غلاماً حدثاً أرضاكِم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدعيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، قد رأينا السحر نفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة تخالجهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجذه، وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون بما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه. يا معاشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم.

## الحرب الثقافية ضد القرآن

وكان النضر هذا من قريش، وممن كان يؤذى رسول الله (ص) وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة

وتعلّم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفندiar، فكان إذا جلس رسول الله (ص) مجلساً فذكّر فيه بالله، وحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نعمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، وقال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه، فهلم فاتاً أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفندiar، ثم يقول: بماذا كان أحسن حديثاً متى؟ قالوا: وهو الذي قال: سأنزل مثل ما أنزل الله.

## وفد المشركين إلى أهبار المدينة

ثم انهم بعثوا النصر بن الحارث وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أهبار اليهود بالمدينة وقلوا لهم: سلام عن محمد، وصفا لهم صفتة وأخبراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من الأنبياء.

فخرجا حتى قدموا المدينة، فسألوا أهبار اليهود عن رسول الله (ص) ووصفوا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله وقلالا لهم: إنكم أهل التوراة قد جنناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا.

فقالت لهم أهبار اليهود: سلوه عن ثلات نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهونبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيك:

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجب.

وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض وغاربها ما كان نباء.

وسلوه عن الروح ما هي؟

إذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنهنبي، وإن لم يفعل فالرجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النصر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط بن عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف حتى قدموا مكة على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جنناكم بفضل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أهبار اليهود أن نسألهم عن أشياء أمرتنا بها، فإن أخبركم بها فهونبي، وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيك.

فجاءوا رسول الله (ص) فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كان لهم قصة عجب، وعن رجل كان طوافاً قد بلغ مشارق الأرض وغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟

فقال لهم رسول الله (ص): أخبركم بما سألتم عنه غالباً.

فجاء جبريل من الله بسورة الكهف، وفيها ما سأله عنه: من أمر الفتية، والرجل الطواف، والروح.

## مع رؤوس الشرك

روي أن أبا سفيان بن حرب، وأبا جهل بن هشام، والأخنس بن شريح الثقي حليف بني زهرة، خرجوا ليلة ليستمعوا القرآن من رسول الله (ص) وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فتلاؤموا وقال بعضهم

لبعض: لاتعودوا فلو رأكم بعض سفهانكم لاو قعم في قلبه شيئاً، ثم انصرفوا.  
حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا.  
حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد على أن لانعود، ثم تعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.  
فما أصبح الأخنس بن شرير أخذ عصاً ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد.  
قال: يا أبا ثعلبة لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها.

قال الأخنس: وأنا كذلك، والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟  
قال: ماذَا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعمنا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان. قالوا: مثا نبِيٌّ يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك مثل هذه؟ والله لا تؤمن به أبداً ولا نصدقه، فقام عنه الأخنس وتركه.

## تخطيط الوليد ضد القرآن

ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم، فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكتنِّ بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً.  
قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقول به.  
قال: بل أنتم قولوا وأسمع.  
قالوا: نقول كاهن.  
قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكاهن، فما بزممة الكاهن ولا سجهة.  
قالوا: فنقول مجنون.  
قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.  
قالوا: فنقول شاعر.  
قال: ما هو بشاعر، لقد عرَفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر.  
قالوا: نقول ساحر.  
قال: وما هو بساحر، لقد رأينا السحرة وسحرهم، فما هو ببنفثه ولا عقده.  
قالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس؟  
قال: والله إن لقوله حلاوة، وان عليه لطلاوة، وان اعلاه لمثير، وان أسفله لمعدق، وانه ليعلو وما يعلى

عليه، وما أنت بقائلين من قولكم ذلك شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر جاء بقول هو سحر، يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وعشيرته.

فتفرقوا عنه بذلك وجعلوا يجلسون بسبيل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره، فأنزل الله سبحانه في الوليد بن المغيرة قوله تعالى: (ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً) (٢٧) إلى قوله تعالى: (سَأَصْلِيْهِ سَقَرَ) (٢٨).

## الوليد برواية أخرى

وعن ابن عباس: ان الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله (ص) فقال: اقرأ علىَّ. فقرأ عليه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ  
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (٢٩) إلى آخر الآية.

قال: أعد. فأعاد عليه.

قال: والله إنَّ له لحلوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمعدق، وما يقول هذا بشر.

بلغ ذلك أبا جهل فاتاه فقال: يا عم، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً.

قال: ولم؟

قال: أتيت محمداً ل تعرض مما قبله.

قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالاً.

قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له.

قال: ماذا أقول؟ ثم قال: انه سحر، فنزلت فيه الآيات.

## مع العتبة بن ربيعة

عن جابر بن عبد الله قال: اجتمع قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا، وشتَّت أمرنا، وعبَّ ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه.

قالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد.

فاتاه عتبة فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله (ص).

قال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله.

قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فإنهم لم يظهروا كلاماً، وإن كنت تزعم أن خير منهم فتكلم حتى  
نسمع قولك، ثم أردد قائلًا:

إِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا شَخْصاً قَطُّ أَشَمَّ عَلَى قَوْمِهِ مِنْكَ، فَرَقْتَ جَمَاعَتَنَا، وَشَتَّتَ أَمْرَنَا، وَعَبَّتْ دِينَنَا، وَفَضَحَّتْنَا فِي  
الْعَرَبِ، لَقَدْ طَارَ فِيهِمْ: إِنْ فِي قَرِيشٍ سَاحِراً، وَإِنْ فِي قَرِيشٍ كَاهِنًا، وَاللَّهُ مَا نَنْتَظِرُ إِلَّا مِثْلُ صِحَّةِ الْحَبَلِ أَنْ يَقُولَ

٢٧ - المدثر: ١١.

٢٨ - المدثر: ٢٦.

٢٩ - النحل: ٩٠.

بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفاني. أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنی قريش، وإن كان إنما بك الباعة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوّجك عشرًا.

فقال رسول الله (ص): فرغت؟

قال: نعم.

فقال رسول الله (ص): (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حُمَّ، تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (٣٠) حتى بلغ (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذِرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَّثَمُودٍ) (٣١) وحينئذ أمسك عتبة على فيه (ص) وناشده بالرحم، ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم.

فقال أبو جهل: يا معاشر قريش، والله لاترى عتبة إلا قد صبا إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذلك إلا من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه.

فانطلقوا إليه فقال أبو جهل: يا عتبة، ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد، وأعجبك طعامه، فإن كان لك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما نغريك عن طعام محمد.

فضض غضبة وأقسم: أن لا يكلم محمداً أبداً وقال: والله إني من أكثر قريش مالاً، ولكنني أتيته وقصصت عليه القصة، فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذِرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَّثَمُودٍ) (٣٢) فأمسكت بفيه وناشده الرحيم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخشيت أن ينزل بكم العذاب.

وفي رواية: ثم مضى رسول الله (ص) فيها يقرؤها عليه، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله (ص) إلى السجدة منها فسجد ثم قال (ص): قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.  
فأيما جلس إليهم قالوا: ما ورائك يا أبا الوليد؟

قال: ورأي إني سمعت قول الله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة، يا معاشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتهم بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزكم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه.

قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

## مع المستهزئين

كان هناك جماعة يستهزؤون برسول الله (ص)، فأنزل الله فيهم آيات يذمّهم بها، ويحدّرهم فيها عاقبة أمرهم، ويتوعدّهم العذاب والنار.

٣٠ - فصلت: ١ - ٢ .

٣١ - فصلت: ١٣ .

٣٢ - فصلت: ١٣ .

منهم: عمه أبو لهب، وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب.

سماها الله حمالة الحطب لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله (ص) حيث يمر، فأنزل الله تعالى فيهما: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، تَبَّأْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّأْ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلُى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، وَأَمْرَأُهُ حَمَالَةُ الْحَطَبِ، فِي جَيْدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) (٣٢).

وقد كانت تمشي بالنعيمة، وتتنقل الحديث، وتلقى العداوة بين الناس، وتوقد ناراً كما توقد النار بالحطب.  
ثم ان أم جميل حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله (ص) وهو جالس في المسجد عند الكعبة، وفي يدها فهر من حجارة، فلما وقفت عليه أخذ الله ببصرها عن رسول الله (ص) فلم تره، لكنها قالت: قد بلغني انه يهجوني، والله لو وجدته لضررت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم أنشأت تقول:  
(مذمماً عصينا) (وأمره أبينا) (ودينه قلينا).

ثم انصرفت.

قال (ص): ما رأيتي، لقد أخذ الله ببصرها عنّي.

وقد كانت قريش تسمى رسول الله (ص) مذمماً، يسبونه به، وكان رسول الله (ص) يقول: ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش؟ يسبون ويهجون مذمماً، وأنا محمد.

## ويل لكل همزة

ومنهم: أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، كان إذا رأى النبي (ص) همزه ولمزه، فأنزل الله فيه:  
(وَيْلٌ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لَمْزَةٍ) (٣٤) إلى آخر السورة.

و(الهمزة): الذي يشتتم الرجل علانية ويكسر عينه عليه ويغمز به، وجمعه همزات.  
و(اللمزة): الذي يعيّب الناس سراً ويؤذن لهم.

## الكافر بآيات الله

ومنهم: العاص بن وائل السهemi، فعن الخباب بن الأرت صاحب رسول الله (ص) انه قال: كنت قيناً بمكة، فعملت لل العاص بن وائل السهemi، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد (ص).  
فقلت: لا أكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يحييك.

قال: إذا أماتني الله ثم بعثنيولي مال وولد، فأنزل الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأَوْتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا) (٣٥) إلى قوله تعالى: (وَيَأْتِنَا فَرْدًا) (٣٦).

.٣٣ - المسد: ١ - ٥

.٣٤ - الهمزة: ١.

.٣٥ - مريم: ٧٧.

.٣٦ - مريم: ٨٠.

## الإنسان الطاغي

ومنهم: أبو جهل فإنه سأله قومه يوماً وقال: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟  
فقيل: نعم.

فقال: واللات والعزى لدن رأيته يفعل ذلك لأنّ رقبته ولأعفرن وجهه في التراب.  
قال الراوي: فأتى رسول الله (ص) وهو يصلّي، فزعم ليطا على رقبته، فما فجّنّهم منه إلا و هو ينكح على عقبيه ويتنقي بيديه.

قالوا: ما لك يا أبا الحكم؟

قال: إنّ بيّني وبيّنه لخندقا من نار وهو لاً وأجنحة.

قال رسول الله (ص): (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً)، فأنزل الله فيه: (كلاً إنَّ الإِنْسَانَ لِيَطْغِي، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى) (٣٧).

## الأفّاكُ الْأَثِيمُ

ومنهم: النصر بن الحارث، فإنه كان إذا جلس رسول الله (ص) مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى، وتلا فيه القرآن، وحضر قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه النصر بن الحارث في مجلسه إذا قام فحدثهم عن رستم وإسفنديار وملوك فارس ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلاً أسطير الأولين أكتبها.  
فأنزل الله فيه: (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَبْهَا فَهِيَ ثُمُلٌ عَلَيْهِ بُكْرَةٌ وَأَصْبَلًا، فَلَأَنْزَلَهُ اللَّهُ الَّذِي يَعْلَمُ السَّرَّ) (٣٨).

ونزل فيه: (إِذَا تَنْتَلَى عَلَيْهِ آيَاتِنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) (٣٩)

ونزل فيه: (وَيَلْ لِكُلَّ أَفَّاكِ أَثِيمٍ، يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تَنْتَلَى عَلَيْهِ) (٤٠) إلى قوله (فَبَشِّرْهُ بِعِذَابِ الْيَمِ) (٤١).

## حصب جهنم

ومنهم: ابن الزبوري، وذلك ان رسّول الله (ص) جلس يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسّول الله (ص)، فعرض له النضر بن الحارث، فكلمه رسّول الله (ص) حتى أفهمه، ثم تلا عليه: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ

٣٧ - العلق: ٦ - ٧.

٣٨ - الفرقان: ٥ - ٦.

٣٩ - القلم: ١٥.

٤٠ - الجاثية: ٧ - ٨.

٤١ - لقمان: ٧.

لها واردون) (٤٢).

ثم قام رسول الله (ص) وأقبل عبد الله بن الزبوري السهمي حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبوري: والله ما قام النصر بن الحارث لأن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم محمد أننا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم.

فقال عبد الله بن الزبوري: أما والله لو وجدته لخصمه، فسألوا مهداً أكل ما يعبدون من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود يعبدون عزيراً، والنصارى يعبدون عيسى بن مريم.

فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قوله، ورأوا أنه قد احتاج وخاصم.

فذكر ذلك لرسول الله (ص)، فقال رسول الله (ص): كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم الشياطين بعبادته، فأنزل الله عليه: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقُتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) (٤٣).

ونزل في ماذكر من أمر عيسى بن مريم (ع) وأنه يعبد من دون الله: (وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَتَّلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) (٤٤) أي يصيرون فرحاً لزعمهم بأنَّ الرسول (ص) قد انقطع به.

ثم ذكر عيسى فقال: (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) (٤٥) إلى قوله: (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) (٤٦).

وفي رواية: ان رسول الله (ص) قال له: ما أجهلك بلسان قومك، (ما) لما لا يعقل، أي: فلا يشمل الملائكة عزيراً والمسيح (عليهم السلام).

## عظيم القرىتين

ومنهم: الوليد بن المغيرة فإنه قال: أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقيقي سيد ثقيف؟ فنحن عظيماء مكة والطائف القرىتين.  
فأنزل الله تعالى في ذلك: (وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ، أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) (٤٧).

## الظالم وخليله

ومنهم: عقبة بن أبي معيط، وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمع، كانوا متصافيين حسناً ما بينهما، فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله (ص) وسمع منه. فبلغ ذلك أبياً، فأتى عقبة فقال له: ألم يبلغني عنك أنك

٤٢ - الأنبياء: ٩٨.

٤٣ - الأنبياء: ١٠١.

٤٤ - الزخرف: ٥٧.

٤٥ - الزخرف: ٥٩.

٤٦ - الزخرف: ٦١.

٤٧ - الزخرف: ٣١.

جالست محمدًا وسمعت منه؟ ثم قال: وجهي من وجهك حرام أن أكلمك - واستفظ من اليمين - إن انت جالست محمدًا وسمعت منه، أو لم تأته فتتجاسر عليه في وجهه. فعل ذلك عقبة، فأنزل الله فيهما: (وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَخْذَتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) (٤٨) إلى قوله: (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِإِنْسَانٍ خَدُولاً) (٤٩).

## صاحب المثل

ومنهم: أبي بن خلف، فإنه مشى إلى رسول الله (ص) بعزم بال قد أرفت فقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرى؟ ثم فته في يده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله (ص).  
قال رسول الله (ص): أنا أقول ذلك، فأنزل الله فيه: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَتَسِيَّ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلَيْهِمْ) (٥٠).

## لا للحل الوسط

ومنهم: الأسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأبي بن خلف، والعاص بن وائل السهمي، وكانوا ذوي أسنان في قومهم، فاعتبروا رسول الله (ص) وهو يطوف بالكة فقالوا: يا محمد، هل فتنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد، فنشرتك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه. فأنزل الله فيه: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) (٥١).

## طعام الأثيم

ومنهم: أبو جهل بن هشام حيث قال يوماً: يا معاشر قريش هل تدرؤن ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟  
قالوا: لا.

٤٨ - الفرقان: ٢٧.

٤٩ - الفرقان: ٢٩.

٥٠ - يس: ٧٨ - ٧٩.

٥١ - الكافرون: ٦ - ١.

قال: عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها ترقما، فأنزل الله فيه: (إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقْوَمِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ، كَالْمُهَلِّ يَغْلِي فِي الْبَطْوَنِ، كَغْلِي الْحَمَيمِ) <sup>(٥٢)</sup> أي ليس كما يقول.

## مع الملا من قريش

ومنهم: الملا من قريش، فإنهم كانوا يستهزئون برسول الله (ص) إذا جلس في المسجد، وجلس إليه المستضعفون من أصحابه: خباب، وعمار، وأبو فكيهه، ويسار مولى صفوان بن أمية، وصهيب، وأشياهم من المسلمين.

وكان بعضهم يقول لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترون، أهؤلاء من الله عليهم بالهدى من بيننا؟ لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصّهم الله به؟  
وكانتوا كلما مرروا على رسول الله (ص) وجدوا عنده خباباً وصهيباً وبلا. قالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء عن قومك؟

فأنزل الله تعالى فيهم: (وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَكَيْ وَلَا شَفِيعٌ) <sup>(٥٣)</sup> إلى قوله: (وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ) <sup>(٥٤)</sup>.

وفي روایة قالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء عن قومك؟ أهؤلاء من الله عليهم بالهدى من بيننا، فنحن نصير تبعاً لهؤلاء؟ اطردتهم، فذاك أحرى إن طردتهم أن تتبعك، فنزل: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَادِ وَالْعَشِيرِ) <sup>(٥٥)</sup>.

## اتهامات واهية

ومنهم: جماعة من قريش فانهم لما رأوا رسول الله (ص) يمرّ أحياناً عند العروة على مبيعة غلام نصراني اسمه: (جبر) وكان عبداً لبني الحضرمي، فيعرض عليه الاسلام، ويدعوه إلى الله، كانوا ينتهزونه فرصة لكيل التهم على رسول الله (ص) فكانوا يقولون: والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا (جبر) النصراني غلامبني الحضرمي.

فأنزل الله في ذلك: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلَّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمَيُ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبَيٌّ مُبِينٌ) <sup>(٥٦)</sup> يلحدون أي: يميلون، فإن الإلحاد الميل.

٥٢ - الدخان: ٤٣ - ٤٦

٥٣ - الأتعام: ٥٨

٥٤ - الأتعام: ٥١

٥٥ - الأتعام: ٥٢

٥٦ - النحل: ١٠٣

## الشماتة بالرسول (ص)

ومنهم: العاص بن وائل السهمي، فانه كان إذا ذكر رسول الله (ص) قال: دعوه فانما هو رجل أبتر لا عقب له، لو قد مات لانقطع ذكره واسترثتم منه. فأنزل الله في ذلك: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصُلُّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ، إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتُرُ )<sup>٥٧</sup>.

و(الكواثر) الخير الكثير، والمراد من الكواثر: فاطمة الزهراء (ع) بنت رسول الله (ص)، حيث كان منها نسل رسول الله (ص) إلى يوم القيمة، كما جاء في بعض الروايات.

وعن أنس قال: سمعت رسول الله (ص) وقد قيل له: يا رسول الله ما الكواثر الذي أعطاك الله؟  
قال: نهر كما بين صناعه إلى أيلة، آتته كعدد نجوم السماء.  
ولا ماتع من ان يكون المراد كل ذلك.

## مع ركانة

ومنهم: ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف وكان أشد قريش، قيل: انه التقى برسول الله (ص) في بعض شعاب مكة، فقال له رسول الله (ص): يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك إليه؟  
قال: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعك.

فقال له رسول الله (ص): أفرأيت إن صرعتك تعلم أن ما أقول حق؟  
قال: فهلم حتى أصارعك.

فقام اليه ركانة يصارعه، فلما بطش به رسول الله (ص) أضجه لا يملك من نفسه.

ثم قال: عد يا محمد. فأعاد، فصرعه. فقال: والله يا محمد إن هذا للعجب، أتصرعن؟

قال رسول الله (ص): وأعجب من ذلك إن شئت أريكه إن اتفقت الله واتبعت أمري.

قال: وما هو؟

قال: أدعوك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني.  
قال: ادعها.

فدعاه، فاقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله (ص). فقال لها: ارجعي إلى مكانك. فرجعت إلى مكانتها.  
فلما رأى ركانة ذلك ذهب إلى قومه فقال: يا بني عبد مناف، ساحروا بصاحبكم أهل الأرض، فوالله ما رأيت  
أسحر منه قط. ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع.

## اصطحاب الملائكة

ومنهم: زمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، والأسود بن عبد يغوث، وأبي بن خلف، والعاص بن وائل، فانهم كانوا كلما عرض رسول الله (ص) الإسلام على قومه وكلمهم فبلغ إليهم، قالوا له: لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك؟ فأنزل الله في ذلك: (وقالوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ) (٥٨) إلى قوله تعالى: (ما يُلْبِسُونَ) (٥٩).

## مع الهمازين

ومنهم: الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبو جهل بن هشام، فإنهم كانوا كلما مرّ رسول الله (ص) بهم غمزوه واستهزءوا به، فأنزل الله عليه في أمرهم: (وَلَقَدِ اسْتَهْزَئَ بِرَسُولِنَا مِنْ قَبْلِكَ فُحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِفُونَ) (٦٠).

## أشد من يوم أحد

ومنهم: ابن عبد ياليل بن عبد كلاب، فإنه روى عن إحدى نساء النبي (ص) أنها قالت: قلت للنبي (ص): هل أتى عليك يوم أشد عليك من يوم أحد؟ فقال (ص): لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلاب فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت على وجهي وأنا مهموم، فلم أرنى إلا وأنا بقرن الشعالب، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتنى فإذا فيها جبرائيل فنادنى فقال: إن الله سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم على وقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعثني إليك لتأمرني بما شئت، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين. فقلت: أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئاً.

## رؤوس المستهزئين

لقد عذب الله طائفه من كذب رسول الله (ص) بأنواع من العذاب كالمستهزئين الذين قال الله فيهم: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) فعذب كل واحد منهم بعذاب معروف.

.٥٨ - الأنعام: ٨.

.٥٩ - الأنعام: ٩.

.٦٠ - الأنعام: ١٠.

كعيبة بن أبي لهب. فإن أبا لهب لما عادى النبي (ص) أمر ابنيه أن يطلقوا ابنتي النبي (ص) رقية وأم كلثوم<sup>٦١</sup>، وقال عتبة لرسول الله (ص): كفرت بدينك وفارقتك، لا تحبني ولا أحبك، ثم سلط عليه بالآذى وشق قميصه.

ثم إن عتبة خرج بعد ذلك في نفر من قريش حتى نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء، ليلاً، فطاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل عتبة يقول: يا ويل أخي، هو والله أكري، فعدا عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فنبحه.

## وفد قساوسة الحبشة

ومن الواقع المذكورة: انه قدم على رسول الله (ص) وهو بمكة عشرة رجالاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد الحرام، فجلسوا إليه فكلموه وسائلوه، ورجال من قريش في أندائهم حول الكعبة.

فلما فرغوا من مسألة رسول الله (ص) عما أرادوا، دعاهم رسول الله (ص) وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوا وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره.

فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش وقال لهم: خيبكم الله من رب، بعثكم من ورائهم من اهل دينكم ترتدون لهم وتأتونهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ربك أحمق منك؟

فأجابوه: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نألف أنفسنا خيراً.  
فنزل فيهم قوله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) (٦٢) إلى قوله سبحانه: (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تُبَتَّغِي الْجَاهِلِينَ) (٦٣).

## مع شاعر الجاهلية: الأعشى بن قيس

واسم الأعشى ميمون قيل: إنه خرج إلى رسول الله (ص) يريد الإسلام، فقال مدح رسول الله (ص) في قصيدة منها:

وآليت لا أرى لها من كللة\*\*\* ولا من حفى حتى تلقي محمداً  
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم\*\*\* تراحي وتلقى من فواضله ندى  
نبي يرى ما لا يرون وذكره\*\*\* أغمار لعمري في البلاد وأنجدا  
له صدقات ما تغب ونائل\*\*\* وليس عطاء اليوم مانعه غداً

٦١ - على بعض الروايات.

٦٢ - القصص: ٥٢.

٦٣ - القصص: ٥٥.

فَلَمَّا كَانَ بِمَكَةَ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا اعْتَرَضَهُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ جَاءَ يَرِيدُ  
رَسُولَ اللَّهِ (ص) لِيُسْلِمَ.

فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَصِيرَ أَنَّهُ يَحْرُمُ الزِّنَةِ.

فَقَالَ الْأَعْشَى: وَاللَّهِ إِنْ ذَلِكَ لِأَمْرِ مَالِيِّ فِيهِ مِنْ أَرْبَ.

فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَصِيرَ فَإِنَّهُ يَحْرُمُ الْخَمْرَ.

فَقَالَ الْأَعْشَى: إِنَّمَا هَذِهِ فُوَالِّهُ أَنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا لِعَلَالَاتٍ، وَلَكِنِي مُنْصَرِفٌ لَا تَرُوِيَ مِنْهَا عَامِي هَذَا، ثُمَّ آتَيْهُ  
فَأَسْلَمَ، فَأَنْصَرَفَ فَمَا تَرَوْتَ مِنْ عَامِهِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَدُعْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص).

## رَحْلَةُ إِلَى الطَّائِفَ

وَلَمَّا اشْتَدَ الْبَلَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ أَبِيهِ طَالِبِ (ع) - كَمَا تَقْدِمُ - وَعَانَى مِنْ  
سُفَهَاءَ قَوْمِهِ مَا عَانَاهُ حِيثُّ قَدْ تَجَرَّأُوا عَلَيْهِ وَكَافَرُوهُ بِالْأَذْنِيَّ مَا لَمْ يَكَافِفُوهُ بِهِ مِنْ قَبْلِهِ، خَرَجَ (ص) إِلَى  
الْطَّائِفَ، وَرَجَأَ أَنْ يَزُورُوهُ وَيُنَصَّرُوهُ عَلَى قَوْمِهِ، وَيَمْنَعُوهُ مِنْهُمْ.

فَلَمَّا وَصَلَهَا اجْتَمَعَ (ص) بِهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَلَمْ يَرْ فِيهِمْ مَنْ يَجِبُهُ أَوْ يَؤْوِيهِ وَيُنَصَّرُهُ، وَنَالَوْهُ  
مَعَ ذَلِكَ بِأشَدِ الْأَذْنِيَّ وَنَالُوْهُ مَنْهُ مَا لَمْ يَنْلِ قَوْمَهُ.

وَكَانَ مَعَهُ (ص) زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مُولَّاً، فَأَقْامَ بَيْنَهُمْ فِي الطَّائِفِ عَشْرَةَ أَيَّامٍ لَا يَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ إِلَّا جَاءَهُ  
وَكَلَمَهُ.

فَقَالُوا: أَخْرَجْتَ مِنْ بَلَادِنَا، وَأَغْرَيْتَ بِهِ سُفَهَاءَهُمْ، فَأَخْذَ هُؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ يَرْجُمُونَ عَرَافِيَّهُ (ص) بِالْحَجَرَةِ حَتَّى  
اخْتَضَبَتْ نَعْلَاهُ بِالدَّمَاءِ، وَكَانَ إِذَا أَذْلَقَهُ الْحَجَرَةُ قَدَّ إِلَى الْأَرْضِ فَيَأْخُذُونَهُ بِعَضْدِيهِ وَيَقِيمُونَهُ، فَإِذَا مَشَ رَجُمُوهُ  
وَهُمْ يَضْحَكُونَ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَقِيَّهُ بِنَفْسِهِ، حَتَّى لَقَدْ شَجَّ فِي رَأْسِهِ شَجَاجًا، وَمَا زَالُوا بِهِ حَتَّى الْجَاؤُهُ إِلَى حَاطِنَ  
لَابْنِي رَبِيعَةَ: عَتَّبَةَ وَشَيْبَةَ، فَعَمَدَ إِلَى الظُّلُلِ وَانْصَرَفَ عَنْهُ السُّفَهَاءُ، فَأَخْذَ (ص) يَنْاجِي رَبَّهُ وَيَدْعُوهُ بِالْدَّعَاءِ  
الْمَأْتُورِ:

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُوكُ إِلَيْكَ ضُعْفَ قُوَّتِي، وَقُلَّةَ حَيَاتِي، وَهُوَنِي عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَرَبُّ  
الْمُسْتَضْعِفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكْلِي؟ إِلَى عَدُوِّي بَعِيدٌ يَتَجَهَّنِي، أَوْ إِلَى عَدُوِّ مَلْكِتِهِ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَى  
غَضْبِ فَلَا أَبَالِي، غَيْرَ أَنْ عَافَيْتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشَرَّقَ لَهُ الظَّلَامَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ  
الْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضْبَكَ، أَوْ يَحْلُّ عَلَيَّ سُخْطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ).

فَلَمَّا رَأَاهُ ابْنُ رَبِيعَةَ وَرَأَيَا مَا لَقِيَ (ص) مِنْ ثَقِيفَ تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحْمَهُمَا، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مَعَ غَلَامَهُمَا عَدَّاسَ  
النَّصَرَانِيَّ قَطْفًا مِنْ عَنْبَرٍ، فَلَمَّا وَضَعَ (ص) يَدَهُ فِي الْقَطْفِ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ أَكَلَ.

ثُمَّ نَظَرَ عَدَّاسَ إِلَى وَجْهِهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبَلْدَةِ.

فَقَالَ لَهُ (ص): مَنْ أَيِّ الْبَلَادَ أَنْتَ، وَمَا دِينُكَ؟

قَالَ: نَصَرَانِي مِنْ أَهْلِ نِينُوِيِّ.

قَالَ: مَنْ قَرِيَّةُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يَوْنُسَ بْنُ مَتَّى؟

قال عداس: وما يدريك؟

قال: ذاك أخي، وهونبي مثلي.

فأكب عداس على يديه ورأسه يقبلهما.

فقال ابن ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟

قال: يا سيدني ما في الأرض خير من هذا، فقد أخبرني ما لا يعلمه إلا النبي.

قالا: ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

ثم إن إبني ربيعة نهرا رسول الله (ص) من ان يستظل بظل بستانهما غيظاً وحنقاً منها عليه، فخرج رسول الله (ص) من الطائف متوجهاً إلى مكة.

## في منزل نخلة

ولما نزل رسول الله (ص) بنخلة في مرجعه من الطائف قام يصلّي في جوف الليل، فصرف الله إليه نفراً من الجن فاستمعوا قراءته، وكانوا من أهل نصيبين.

ف لما فرغ (ص) من الصلاة ولوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا به وأجابوا إلى ما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى: (وَإِذْ صَرَقْنَا إِلَيْكُنَّ نَفَرَا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) (٦٤).

وأقام رسول الله (ص) بنخلة أيام، فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ يعني قريشاً.

قال: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر دينه.

ثم انتهى (ص) إلى مكة، فأرسل - على قول - رجلاً من خزاعة إلى المطعم بن عدي ليقول له: أدخل في جوارك؟

قال: نعم. ودعا بنبيه وقومه فقال: البسووا السلاح وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمداً.

فدخل رسول الله (ص) ومعه زيد بن حارثة، حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدي على راحلته فنادى: يا معاشر قريش، إني قد أجرت محمداً، فلا يهيجه منكم أحد. فانتهى رسول الله (ص) إلى الركن فاستلمه، وصلّى ركتين، وانصرف إلى بيته والمطعم بن عدي وولده مدقون به بالسلاح حتى دخل (ص) بيته.

## العودة إلى مكة

وفي مكة عاد رسول الله (ص) إلى تبليغ رسالات ربّه كما كان عليه من قبل، فكان (ص) يقف بالموسم على القبائل ويتبع الناس في منازلهم بعكاّظ ومجنة وذي المجاز.

وكان (ص) لا يسمع بقادم من العرب له اسم وشرف إلا كان يأتيه ويعرض عليهم الإسلام وخلفه أبو لهب فيقول: لا تطیعوه فإنه كذاب، ثم يرميه بالحجارة.

لكن ذلك لم يكن صادراً رسول الله (ص) عن مهمته ولا كافأ له عن ابلاغ رسالته وإنما كان مجدًا في مواصلة طريقه حتى أسلم جماعة كان منهم: (الطفيل بن عمرو الدوسي) فإنه أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فأسلم بعض قومه، فأقام الطفيلي في بلاده إلى أن هاجر بعد عام الخندق هو وجماعة ما بين السبعين والثمانين بيّنًا من قومه إلى المدينة فوافوا رسول الله (ص) بخبير.

ثم إن الطفيلي كان عند رسول الله (ص) بالمدينة حتى قبض الله رسوله (ص)، فخرج بعدها مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيلي فُقتل هو باليماماة، وجرح ابنه جراحه شديدة، ثم استبسلي فيها ثم قُتل عام اليرموك.

# فصل

## في معراجه (ص)

### رحلة إلى السماء

ومن القضايا التي اتفقت لرسول الله (ص) في مكة: قضية (المعراج) وذلك على ما نطق به القرآن الكريم، فقد أسرى به (ص) ليلاً بجسده الشريف وفي حال اليقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو: بيت المقدس، راكباً على مركب أعد له جبرائيل بأمر من الله تعالى يقال له: البراق.

وذلك بصحبة جبرائيل حيث نزل به بطيبة في طريقه إلى المسجد الأقصى فصل فيها رسول الله (ص) فقال له جبرائيل: هذه طيبة واليها مهاجرتك، ثم نزل به بطور سيناء، فصل فيها فقال له جبرائيل: هذه طور سيناء حيث كلام الله موسى تكليماً، ثم نزل به بعد ذلك ببيت لحم فصل فيها فقال له جبرائيل: هذه بيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم - على رواية -، ثم انتهى به إلى بيت المقدس فنزل هناك، وربط رسول الله (ص) البراق بالحلقة.

ثم التقى (ص) بالأنبياء (عليهم السلام) حيث رآهم قد اجتمعوا إليه هناك، وأقيمت الصلاة، فأنزل جبرائيل وأقام وقال فيهما: حي على خير العمل<sup>٦٥</sup>، ثم أخذ بعذر رسول الله (ص) وقدمه للصلاحة، فصل (ص) بالأنبياء (عليهم السلام) إماماً.

ثم سرى به في تلك الليلة من بيت المقدس إلى مسجد الكوفة حيث صلى هناك أيضاً.

ثم عرج منه بصحبة جبرائيل إلى السموات، فرأى مكتوباً على باب كل سماء، وعلى كل حجاب من حجب النور، وعلى كل ركن من أركان العرش: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلَيْهِ الْبَشَرُونَ) <sup>٦٦</sup>.

فلمَّا بلغ إلى سماء الدنيا استفتح له جبرائيل، ففتح لها، فرأى هناك آدم (ع) أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عليه السلام، وأقرَّ بنبوته (ص) وولاية علي بن أبي طالب (ع) <sup>٦٧</sup>.

ثم عرج به إلى السماء الثانية، فرأى فيها يحيى بن زكرياً وعيسى بن مريم فسلم عليهما، فرداً عليه، السلام

<sup>٦٥</sup> - راجع بحار الأنوار: ١٠ / ١٦٢ ب ١٢ ح ١٣ ط بيروت.

<sup>٦٦</sup> - راجع بحار الأنوار: ١١ / ١٦٥ ب ٣ ح ٩ ط بيروت.

<sup>٦٧</sup> - كنز الفوائد: ٢ / ١٣٩ ط قم، ١٤١٠ هـ وفيه: (عن النبي (ص)): (ليلة أسرى بي إلى السماء أوحى الله عز وجل إلى أن سل من أرسل من قبلك من رسالنا على ما بعثوا؟ فقلت لهم: على ما بعثتم؟ فقالوا: على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب والأئمة منكم).

ورحبا به وأقر بنبوته (ص) وولاية علي بن أبي طالب (ع).

ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف الصديق (ع)، فسلم عليه فرحب به وأقر بنبوته (ص) وولاية علي بن أبي طالب (ع).

ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس (ع)، فسلم عليه فرحب به وأقر بنبوته (ص) وولاية علي بن أبي طالب (ع).

ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فلقي فيها هارون بن عمران (ع) فسلم عليه فرحب به، وأقر بنبوته (ص) وولاية علي بن أبي طالب (ع).

ثم عرج به إلى السماء السادسة، فلقي فيها موسى (ع)، فسلم عليه فرحب به وأقر بنبوته وولاية علي بن أبي طالب (ع).

ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقي فيها إبراهيم (ع)، فسلم عليه فرحب به وأقر بنبوته (ص) وولاية علي بن أبي طالب (ع).

ثم رفع (ص) إلى البيت المعمور، فحضرت الصلاة، فأذن جبرائيل وأقام، ثم صلّى (ص) بالنبيين والملائكة إماماً.

ثم رفع إلى سدرة المنتهى وفيها نودي: استوص بعلي (ع) خيرا فإنه سيد المسلمين، وإمام المتقيين، وقائد الغر الم嫉لين يوم القيمة.

ثم رفع إلى حجب النور وخلّى عنه جبرائيل.

فقال له (ص): تخليني على هذه الحالة؟

فقال: امضه فوالله لقد وطنت مكاناً ما وطنه أحد قبلك.

ثم رفع (ص) إلى حجاب الجلال، فدنا من ربّه دنوّاً معنوياً، لأن الله ليس بجسم وليس له مكان، فناجاه ربّه، فكان مما ناجاه به: (بك وبعلّي وبالأنمة من ولده أرحم عبادي وإمامي، وبالقائم منكم أعلم أرضي...) (٦٨).

ثم - على رواية - فرض عليه (ص) وعلى أمته خمسين صلاة، فرجع حتى مرّ على إبراهيم (ع)، فلم يقل له شيء فمرّ حتى أتى موسى (ع). فقال: بما أمرت؟  
قال (ص): بخمسين صلاة.

قال: إنّ أمّتك لا يطيقون ذلك، ارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف لأمّتك.

فالتفت إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، وأشار أنّ نعم إن شئت. فرجع يسأل ربّه التخفيف على أمّته، ولم يزل يتردّد بين موسى وبين ربّه تعالى حتّى جعلها خمس صلوات.  
ثم ناداه مناد وهو يقول: فهذه الخمس بخمسين.

هذا، ولا يخفى أن النبي (ص) إنما لم يسأل ربّه التخفيف، لأنّه (ص) كان لا يقترح على ربّه عزوجل ولا يراجعه في شيء يأمره به، فلما سأله موسى (ع) ذلك وصار شفيعاً لأمّته إليه، لم يرد شفاعته، فرجع وسائل ربّه التخفيف.

وفيه أيضاً: اظهار لفضل موسى (ع) فقد دعا له أبو عبدالله (ع) وقال: (جزى الله موسى عن هذه الأمة

٦٨ - راجع أمالى الصدق: ٤٥٠ ح ٤ المجلس ٩٢ وفيه: (بك وبعلّي وبالأنمة من ولده. وبالقائم).

خيراً.

وفيه أيضاً: اظهار لفضله (ص) وتقربه عند الله عزوجل.

## المشركون وأنباء الرحلة

فَلَمَا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فِي قَوْمِهِ أَخْبَرَهُمْ بِمَعْرَاجِهِ وَبِمَا أَرَاهُ اللَّهُ مِنْ آيَاتِهِ الْكَبْرِيَّ وَأَذْيَدَهُمْ بِأَنَّهُ اتَّى بَيْتَ الْمَقْدَسِ وَرَجَعَ مِنْ لَيلَتِهِ، وَانْ آيَةُ ذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِعِيرَ لَأْبِي سَفِينَانَ عَلَى مَاءِ لَبْنَيْ فَلَانَ وَقَدْ اضْلَلُوا جَمَالًا لَهُمْ أَحْمَرًا، وَقَدْ هُمْ الْقَوْمُ فِي طَلْبِهِ.

فَاشْتَدَ تَكْذِيبُ الْقَوْمِ لَهُ وَأَذَاهُمْ، وَمَرَّ بِهِ أَبُو جَهْلٍ فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِيُّ: هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ؟

قَالَ (ص): نَعَمْ.

قَالَ: وَمَا هُوَ؟

قَالَ: أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةِ.

قَالَ: إِلَى أَيْنَ؟

قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ.

قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهَارِنَا؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: إِنْ دَعَوْتَ قَوْمَكَ اتَّهَدْتَهُمْ بِمَا حَدَثْتَنِي بِهِ؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: يَا مَعْشِرَ بَنِي كَعْبَ بْنَ لَوْيَيْ. فَانْقَضَتِ الْيَهُودَةِ الْمَجَالِسُ وَجَاءُوكُمْ حَتَّى جَلَسُوكُمْ إِلَيْهِمَا. فَقَالَ: حَدَّثْتَ قَوْمَكَ بِمَا حَدَثْتَنِي.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةِ.

قَالُوكُمْ: إِلَى أَيْنَ؟

قَالَ: إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ.

قَالُوكُمْ: ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهَارِنَا؟

قَالَ: نَعَمْ.

فَمَنْ بَيْنَ مَصْعَقَيْ، وَمَنْ بَيْنَ وَاضْعَفَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مُتَعْجِبًا. فَقَالَ الْمَطْعَمُ بْنُ عَدَيْ: كُلْ أَمْرَكَ قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ تَمَامًا غَيْرَ قَوْلَكَ هَذَا، أَتَا أَشْهَدُ أَنَّكَ كَاذِبٌ. نَحْنُ نَضْرِبُ أَكْبَادَ الْإِبْلِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ مَصْعَدًا شَهْرًا وَمَنْهَرًا شَهْرًا، تَزَعَّمُ أَنَّكَ أَتَيْتَهُ فِي لَيْلَةٍ! وَاللَّاتُ وَالْعَزَّى لَا أَصْدِقُكَ.

فَقَالُوكُمْ: يَا مُحَمَّدَ، صَفْ لَنَا بَيْتَ الْمَقْدَسِ كَيْفَ بَنَاؤُهُ وَكَيْفَ هَيْئَتُهُ وَكَيْفَ قَرَبَهُ مِنَ الْجَبَلِ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ سَافَرَ إِلَيْهِ.

فَذَهَبَ (ص) يَنْعَتُ لَهُمْ: بَنَاؤُهُ كَذَا وَهَيْئَتُهُ كَذَا وَقَرَبَهُ مِنَ الْجَبَلِ كَذَا، فَمَا زَالَ يَنْعَتُ لَهُمْ.

فقالوا: كم للمسجد من باب؟

فجاء جبرئيل فقال: يا رسول الله انظر هنا، فنظر إلى بيت المقدس وقد اكتشف له فأخذ (ص) يعده لهم أبوابها بباباً بباباً.

فقال القوم: أما النعمت فوالله لقد أصاب.

ثم قالوا له: أخبرنا عن عيرنا وعن قدمها، فأخبرهم عنها في مسراه ورجوعه، وأخبرهم عن وقت قدومها، وعن البعير الذي يقدمها. وكان الأمر كما قال. فرموه بالسحر ولم يؤمن منهم إلا قليل، وهو قول الله تبارك وتعالى: (وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالثُّدُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) (٦٩).

## لا للبس والخيبة

لقد مر أن رسول الله (ص) أقام بمكة ثلاثة سنين من أول نبوته يبلغ رسالات ربه إلى خاصة، ثم أجهز بها في الرابعة، وأخذ يبلغ رسالة ربه إلى الناس كافة وفي كل مكان، وبكل الطرق وذلك مدة عشر سنين، حتى إنه كان في السنين الأخيرة ليسأل عن القبائل ويأتي في المواسم منازلها قبيلة قبيلة ويقول: يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، تملكون بها العرب، وتدينون بها العجم، وتكونون ملوكاً فإذا متم كنتم ملوكاً في الجنة. وأبو لهب وجماعته وراءه يقولون: لا تطيعوه فإنه كذاب. فيردون على رسول الله (ص) أقبح رد ويوذونه ويقولون: أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك.

فكان من أتاهم رسول الله (ص) وبلغهم رسالات ربه فلم يقبلوها: بنو عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة، وفزانة وغسان ومرة وحنيفة وسليم وعبس وبنو نصر وبني الباء وكندة وكلب والحارث بن كعب وعذرة والحضارمة وغيرهم فلم يستجب منهم أحد.

## الالتقاء بوقد اليمامة

وذات مرة أقبل رسول الله (ص) ومعه علي (ع) إلى مجلس من مجالس العرب، فدعاهم إلى دينه فقال أحدهم واسمه مفروق: وإلى م تدعوه يا أخي قريش؟

فقال رسول الله (ص): (فَلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَنْقِتُوا أُولَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقِ تَحْنُنْ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَاهُمْ وَلَا تَنْرِبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَنْتَلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاحِكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَعْفَلُونَ) (٧٠).

قال مفروق: ما هذا من كلام أهل الأرض ولو كان من كلامهم عرفناه ثم قال: وإلى م تدعوه أيضاً يا أخي قريش؟

فتلا رسول الله (ص): (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

٦٩ - يونس: ١٠١.

٧٠ - الأنعام: ١٥١.

**يَعِظُكُمْ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١١).**

**قال مفروق: دعوت والله يا أخي قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك.**

وكانه أراد أن يشرك في الكلام هانى بن قبيصة فقال: وهذا هانى بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا.

**قال هانى: قد سمعت مقالتك يا أخي قريش، وإنني أرى أن تركنا ديننا واتبعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لوهن في الرأي وقلة نظر في العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً، ولكن ترجع وترجع وتنظر وتنظر.**

وكانه أحب أن يشرك في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا.

**قال المثنى: قد سمعت مقالتك يا أخي قريش، والجواب هو جواب هانى بن قبيصة في تركنا ديننا واتبعنا إياك في مجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، وإنما نزلنا بين صريان اليمامة والسماءة.**

**قال رسول الله (ص): ما هذان الصريان؟**

**قال: أنهار كسرى ومياه العرب، فاما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وأما ما كان من مياه العرب فذنبه مغفور وعذرها مقبول، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى، لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً وإنني أرى أن هذا الأمر مما تكرهه الملوك، فان أحببت أن نزويك وتنصرك مما يلي مياه العرب فعلنا.**

**قال رسول الله (ص): ما أسلتم في الرد إذ أفصحت بالصدق، فإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله ارضهم وديارهم، أتس拜ون الله وتقدسونه؟**  
**قال النعمان بن شريك: اللهم لك ذا.**

**فتلا رسول الله (ص): (يا أيها النبي إنما أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً)**  
**ثم نهض النبي فأخذ بيدي علي (ع) ينهضه وقال: إنها أخلاق في الجاهلية ما أشرفها، بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم.**

## مع رهط من الخزرج

وفي السنة الحادية عشرة منبعثة النبوة الشريفة خرج رسول الله (ص) على ما دأب عليه إلى الموسم فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل مرة، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، فلما لقيهم رسول الله (ص) قال: من أنتم؟

قالوا: نفر من الخزرج.

قال: فمن موالي اليهود؟

قالوا: نعم.

قال: أفلأ تجلسون أكلمكم؟

قالوا: بلى. فجلسوا معه، فبلغهم رسالات الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.  
وكان مما صنع الله به في الإسلام أن يهوداً كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبغه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فما كلام رسول الله (ص) أولئك النفر ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله أنه النبي الذي توعدكم به اليهود، فلا يسبقكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام.

وقالوا: إننا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم، فعسى الله أن يجمعهم بك، فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك. وكان هؤلاء ستة نفر من الخزرج.

فقال لهم النبي (ص): أتمنون ظهري حتى أبلغ رسالة ربِّي؟

قالوا: يا رسول الله إنما كانت بعث عام الهول يوم من أيامنا اقتتنا به، فان تقدم ونحن كذا لا يكون عليك اجتماع، فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا لعل الله يصلح ذات بيننا وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه، فعسى الله أن يجمعهم عليك، فإن جمعهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك، وموعدك الموسم العام القابل، وانصرفوا إلى المدينة.

فأقاموا المدينة إلى قومهم ذكرى رسول الله (ص)، ودعوهم إلى الإسلام حتى فشا فيهم، فلم تبق دار من دور الانتصار إلا وفيها ذكر من رسول الله (ص).

## العقبة الأولى وبيعتها

ولما كان العام المقبل أي: في سنة اثنين عشرة من البعثة النبوية وافى الموسم من الانتصار اثنا عشر رجلاً، وكان من بينهم: أسعد بن زرار، وعبادة بن الصامت، فلقو رسول الله (ص) عند العقبة الأولى، فباعوه على القرار التالي:-

قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله (ص) على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق ولا نزن، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي بيتهان نفتريه من بيد أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف.

قال لنا رسول الله (ص): إن وفيتكم الجنة، وإن غشيت من ذلك شيئاً فامركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء عفا وغفر. ثم انصرفوا.

وبعث (ص) معهم مصعب بن عمير يصلي بهم، ويفقههم، ويعلمهم القرآن، وكان بينهم بالمدينة يسمى بالمقري، فأسلم على يديه جمْعُ كثير، حتى لم يبق دار في المدينة إلا وفيها رجال ونساء مسلمون إلا ما شذ وندر.

## العقبة الثانية وبيعتها

ثم رجع مصعب إلى مكة في العام المقبل ووافى في الموسم ذلك العام، أي بسنة ثلاثة عشرة منبعثة النبوية خلق كثير من الأنصار من المسلمين والمشركين، وزعيم القوم البراء بن معروف، فلما كانت ليلة العقبة وقد مضى الثلث الأول من الليل تسلل إلى رسول الله (ص) منهم ثلاثة وسبعون رجلاً وأمراتان: نسيبة بنت كعب إحدى نساءبني مازن بن النجار، وأسماء ابنة عمرو ابن عدي أم منيع إحدى نساءبني سلمة.

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله (ص)، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبدالمطلب، وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس فقال: يا معاشر الخزرج! - وكانت العرب يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج، خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث علمتم، وقد معناه من قومنا، وهو في عز من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز اليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافقون له بما دعوتموه إليه ومانعوه من خالقه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخانلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وببلده.

فقالوا له: سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

فتكلم رسول الله (ص) وقال: أبايعكم على الإسلام.

قال له بعضهم: نريد ان تعرفنا يا رسول الله ما لله علينا، وما لك علينا؟ وما لنا على الله؟

قال (ص): أما ما لله عليكم: فان تعبدوه ولا تشرکوا به شيئاً، وأما مالي عليكم: فتنصروني مثل ما تنصرون ابناءكم ونساءكم، وان تصبروا على عض السيوف وان يقتل خياركم.

قالوا: فإذا فعلنا ذلك ما لنا على الله؟

قال: اما في الدنيا فالظهور على من عادكم، وفي الآخرة رضوانه والجنة.

فأخذ البراء بن معروف بيده (ص) ثم قال: نعم والذي يبعثك بالحق، لنمنعك مما نمنع منه أزرنا، فباعينا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة، ورشاها كابرأ عن كابر.

فاعترض القوم - والبراء يكلم رسول الله (ص) - أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبلاً، ونحن قاطعواها، فهل عسى إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله (ص)، ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أحارب من حاربتم وأسلام من سالمتم. وفى حدث آخر قال: المحىي محياكم والممات مماتكم.

ثم قال رسول الله (ص): أخرجوا لي منكم اثني عشر نقيباً حتى يكونوا كفلاً على قومهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً: تسعه من الخزرج، وثلاثة من الأوس.

فقال لهم رسول الله (ص): ارجعوا إلى رجالكم.

قال الراوي: فرجعنا إلى مضاجعنا فمنا عليها حتى أصبحنا، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا: يا معاشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تسترجونه من بين أظهرنا، وتباعونه على حربنا، وانه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تشب الحرب بيننا وبينهم منكم.

قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه.  
قال: وصدقوا، لم يعلموا. وبعضاً ينظر إلى بعض.

## إبليس وبيعة العقبة

وفي حديث آخر: انه لما اجتمع الانصار في العقبة الثانية وباعيوا رسول الله (ص) على أن يمنعوه مما يمنعون أنفسهم، ويمنعوا أهله مما يمنعون أهاليهم وأولادهم، وأخرجوا إليه منهم اثني عشر نقباً ليكونوا شهداء عليهم بذلك، صاح إبليس: يا معاشر قريش والعرب! هذا محمدٌ والصباة من أهل يثرب على جمرة العقبة يباعونه على حربكم، فأسمع أهل مني، وهاجت قريش، فأقبلوا بالسلاح.

وسمع رسول الله (ص) النداء فقال للأنصار: تفرقوا.

فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسياافنا فعننا.

قال رسول الله (ص): لم أومر بذلك، ولم يأذن الله لي في محاربتهم.

قالوا: فتخرج معنا؟

قال: انتظر أمر الله.

فجاءت قريش على بكرة أبيها قد أخذوا السلاح، وخرج حمزة وعلي (ع) ومعهما السيف فوققا على العقبة.  
فلما نظرت قريش اليهما قالوا: ما هذا الذي اجتمعتم له؟  
فقال حمزة: ما اجتمعنا وما ه هنا أحد، والله لا يجوز هذه العقبة أحد إلا ضربته بيسيفي هذا، فرجعوا إلى مكة  
وقالوا: لا نأمن ان يفسد أمرنا ويدخل واحد من مشايخ قريش في دين محمد.

## بيعة العقبة على لسان جابر

وعن جابر: ان النبي (ص) لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسام وبذى المجاز ومجنة  
وعكاظ وفي منازلهم من مني ويقول: (من يزويني ومن ينصرني حتى أبلغ رساله ربى وله الجنة) فلا يجد أحداً  
ينصره ولا يؤويه، حتى أن الرجل ليRTL من مصر واليمن إلى ذوي رحمة ف يأتيه قومه فيقولون له: احذر غلام  
قريش لا يفتنك.

وكان (ص) يمشي بين رجالهم يعرض عليهم رسالات الله، وهم يشيرون إليه بالأصابع.

قال الراوي: انه كان كذلك حتى بعثنا الله من يثرب فأتيه الرجل منا فيؤمن به يقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله  
فيسلمون بسلامه، وحتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، وبعثنا الله  
إليه فانتمرنا فيما بيننا وأجمعنا على نصرته (ص) فرحلنا ونحن أكثر من سبعين نفراً حتى قدمنا عليه (ص) في  
الموسم، فواعدناه بيعة العقبة، فقال له عمه العباس: يا ابن أخي، ما أدرى ما هؤلاء القوم الذين جائعوك، إنني  
ذو معرفة بأهل يثرب.

فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين، فلما نظر العباس في وجوهنا قال: هؤلاء القوم لا نعرفهم، هؤلاء أحداث.

فقلنا: يا رسول الله، على ما نبأيك؟

قال (ص): (على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم، وتمعنوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة).

فقلنا نبأيك (ص)، فأخذ بيده أسعد بن زرارة - وهو أصغرنا - وقال: رويداً يا أهل يثرب، إنما لم نضرب إليه أكباد المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وإن تعذبكم السيف، فإنما أنتم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإنما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فزروه فهو عذركم عند الله.

فقالوا: يا ابن زرارة امط عنا يدك، فوالله لا نترك هذه البيعة ولا نستقيلها.

فقلنا إليه (ص) رجلاً رجلاً فأخذ علينا البيعة يعطينا بذلك الجنة. ثم انصرفوا إلى المدينة.

## اسلام عمرو بن الجموح

فلما قدم الانتصار إلى المدينة، اظهروا الاسلام بها، وكان في قومهم بقايا من شيوخ على دينهم من الشرك، منهم: عمرو بن الجموح، وكان ابنه معاذ بن عمرو من شهد العقبة وباب رسول الله (ص) وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة وشريفاً من اشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له: (مناة) كما كانت الاشراف يصنعون، يتخذونها يعظمه ويظهره.

فلما أسلم فتيان بني سلمة - معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو - في فتيان منهم من اسلم وشهد العقبة، كانوا يدخلون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها فضلات الناس منكساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على إلهانا هذه الليلة؟  
قال الراوي: ثم يعود ويلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطبيه ثم قال: أما والله لو أعلم من فعل هذا لك لأخرiziته.

فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه فعملوا به مثل ذلك، فيغدووا فيجدونه في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطهره ويطبيه، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك.

فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث القوه يوماً فغسله وطهره وطبيه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال: إنما والله ما أعلم من صنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، وهذا السيف معك.

فلما أمسى ونام عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبال، ثم القوه في بئر من آبار بني سلمة فيها فضلات وقدرات الناس.

ثم غدا عليه عمرو فلم يجده في مكانه الذي كان فيه، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب. فلما رأه أبصر شأنه، وكلمه من أسلم من قومه، فأسلم وحسن إسلامه، وأشتراك مع رسول الله (ص) في غزوة أحد فرزقه الله الشهادة فيها فمات شهيداً.

## فصل

# في الهجرة النبوية المباركة

## الهجرة

ثم أمر رسول الله (ص) أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بأخوانهم من الأنصار وقال (ص): إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها. فخرجوا أرسلاً، وأقام رسول الله (ص) ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة. فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله (ص) من قريش من بنى مخزوم أبو سلمة بن عبد الأسد وأسمه عبد الله، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قد قدم على رسول الله (ص) من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً، وحبست عنه امرأته أم سلمة.

ثم كان أول من قدمها بعد أبي سلمة: عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبي خيثمة. ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، احتمل بأهله وبأخيه، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، فلقت داربني جحش هجرة، فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب، وأبو جهل ابن هشام وهم مصعدون إلى مكة، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها ليس فيها ساكن، فلما رآها كذلك تنفس الصداء ثم قال: وكل دار وإن طالت سلامتها\*\* يوماً ستركتها النكباء والحوب كل امرئ بلقاء الموت مرتهن\*\* كأنه غرض للموت منصوب وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام، وقد أوّلوا إلى المدينة مع رسول الله (ص) رجالهم ونسائهم. فمن رجالهم: عبد الله بن جحش، وأخوه، وعكاشه بن محسن، وشجاع، وعتبة بن وهب، وأربد بن جبيرة، ومنقذ بن نباتة، وسعید بن قیس، ومحرز بن نصلة، ویزید بن رقیش، وقیس بن جابر، وعمرو بن محسن، ومالك بن عمرو، وصفوان بن عمرو، وغيرهم. ومن نسائهم: زینب بنت جحش، وام حبیبة بنت جحش، وحمنة بنت جحش وجذامة بنت جندل، وام قیس بنت محسن، وام حبیب بنت ثمامۃ، وآمنة بنت ثمامۃ،

وقال بن جحش في ذلك شعراً:

لنحن الألى كنا بها ثم لم نزل \*\*\* بمكّة حتى عاد غثاً سمينها  
بها خيمت غنم بن دودان وابتنت \*\*\* وما أن غدت عنم وخف قطينها  
إلى الله تغدو بين مثنى وواحد \*\*\* ودين رسول الله بالحق دينها  
ثم تتابع المهاجرون فنزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كنان بن حصين وابنه مرثد  
الغنويان حليفاً حمزة بن عبد المطلب على كلثوم بن هدم بقباء، وقيل: بل نزلوا على سعد بن خيثمة وقيل: بل  
نزل حمزة على أسعد بن زراره أخيبني التجار، ونزل عبيدة بن الحارث بن المطلب وأخواه الطفيلي والحسين  
ابن الحارث على عبدالله بن مسلمة ونزل مصعب بن عمير على سعد بن معاذ وهكذا.

## القرار الأخير

فَلَمَّا رَأَتْ قُرِيَشَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) صَارَتْ لَهُ شِيعَةٌ وَاصْحَابٌ مِنْ غَيْرِهِمْ بِغَيْرِ بَلْدِهِمْ، وَرَأُوا خَرُوجَ  
أَصْحَابِهِ مِنَ الْمَهَاجِرِينَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ سَاقُوا النَّذَارِيَّ وَالْأَطْفَالَ وَالْأَمْوَالَ إِلَى الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ فَعَرَفُوا أَنَّ الدَّارَ دَارَ  
مَنْعَةً، وَأَنَّ الْقَوْمَ أَهْلَ حَلْقَةٍ وَبَأْسٍ وَشُوكَةٍ، فَخَافُوا خَرُوجَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) إِلَيْهِمْ وَلَحْوِهِ بِهِمْ، فَاجْتَمَعُوا فِي دَارِ  
النَّدْوَةِ، وَلَمْ يَتَخَلَّ أَحَدٌ مِنْ ذُوِي الرَّأْيِ وَالْحَجْبِ مِنْهُمْ لِيَشَائِرُوا فِي أَمْرِهِ.

فَاعْتَرَضُوهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شِيخٍ كَبِيرٍ طَاعِنٍ فِي السِّنِّ عَلَيْهِ بَتْ لَهُ، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ الدَّارِ فَلَمَّا رَأَوْهُ وَاقْفَأَ  
عَلَى بَابِهَا قَالُوا: مَنِ الشِّيْخُ؟

قَالَ: شِيخُ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ سَمِعَ بِالذِّي اتَّعَدْتُمْ فَحَضَرَ مَعَكُمْ لِيَسْمَعَ مَا تَقُولُونَ، وَعَسَى أَنْ لَا يَعْدِمُكُمْ مِنْهُ رَأْيًا  
وَنَصْحًا.

قَالُوا: أَجْلَ فَادْخُلْ.

فَدَخَلُوا مَعَهُمْ، وَقَدْ اجْتَمَعُوا فِيهَا أَشْرَافُ قُرِيَشَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ (٧٢) قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا قَدْ  
رَأَيْتُمْ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَأْمِنُهُ عَلَى الْوَثُوبِ عَلَيْنَا بِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِنَا، فَأَجْمَعُوا فِيهِ رَأْيًا. فَشَاءُوا رَأْيًا.

ثُمَّ قَالَ قَاتِلُهُمْ: احْبَسُوهُ فِي الْحَدِيدِ وَأَخْلُقُوهُ عَلَيْهِ بَابًا ثُمَّ تَرْبِصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهِهِ مِنَ الشَّعَرَاءِ الَّذِينَ  
قَبْلَهُ: زَهِيرٌ وَالنَّابِغَةُ وَمَنْ مَضَى مِنْهُمْ مِنْ هَذَا الْمَوْتِ، حَتَّى يَصْبِيَهُ مَا أَصَابَهُمْ.

فَقَالَ الشِّيخُ النَّجْدِيُّ: لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، وَاللَّهُ لَنْ حَسِنْ حَسِنْتُمُوهُ كَمَا تَقُولُونَ لِيَخْرُجَنَ أَمْرُهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ  
الَّذِي أَغْلَقْتُمُوهُ دُونَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَلَأُوشِكُوا أَنْ يَثْبُوا عَلَيْكُمْ فَيَنْتَزِعُوهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ ثُمَّ يَكْاثِرُونَكُمْ بِهِ حَتَّى يَغْلُبُوكُمْ  
عَلَى أَمْرِكُمْ، مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، فَانظُرُوا فِي غَيْرِهِ.

فَشَاءُوا رَأْيًا فِي أَمْرِهِ ثُمَّ قَالَ قَاتِلُهُمْ: نَخْرُجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا فَنَنْفِيَهُ مِنْ بَلَادِنَا، فَإِذَا خَرَجَ عَنَا فَوَاللَّهِ مَا نَبَالِي  
أَيْنَ ذَهَبَ وَلَا حَيَثُ وَقَعَ إِذَا غَابَ عَنَا وَفَرَغَنَا مِنْهُ فَأَصْلَحْنَا أَمْرَنَا وَأَفْتَنَا كَمَا كَانَتْ.

قَالَ الشِّيخُ النَّجْدِيُّ: لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا لَكُمْ بِرَأْيٍ، أَلَمْ تَرَوْا حَسَنَ حَدِيثَهُ وَحَلَاوةَ مَنْطَقَهُ وَغَلْبَتِهِ عَلَى قُلُوبِ الرِّجَالِ  
بِمَا يَأْتِي بِهِ؟ وَاللَّهُ لَوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ مَا أَمْنَتْ أَنْ يَحْلَّ عَلَى حِيِّنَ الْعَرَبِ فَيَغْلُبُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ وَحَدِيثِهِ حَتَّى

. - أي: الرسول (ص).

يتابعوه عليه، ثم يسير بهم اليكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد، أذيروا فيه رأياً غير هذا.

قال أبو جهل: والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعدت عليه بعد.

قالوا: وما هو يا أبي الحكم؟

قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوه إليك فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه، فنستريح منه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبان جميعاً فم يقدر بنو عبدمناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم.

قال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي لا رأي غيره، فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له.

## جبرئيل وإشاع المؤامر

فأتى جبرائيل رسول الله (ص)، فتلا هذه الآية: (وَإِذْ يَمْكُرُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُتُبْتُوكُمْ أَوْ يَخْرُجُوكُمْ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٧٣) ثم قال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه وأمره بالهجرة وإن بيت علياً (ع) مكانه.

فدعاه رسول الله (ص) علياً (ع) لوقته وقال له: يا علي ان جبرائيل هبط على بهذه الآية آنفاً، يخبرني إن قريشاً اجتمعوا على المكر بي وقتلني، وأنه أوحى إلي عن ربى عز وجل أن أهجر دار قومي وإن اطلق إلى غار ثور تحت لياليتي، وأنه أمرني أن أمرك بالمبيت على مضجعي تدفيني بنفسك، وتحفي عليهم أمري، فما أنت قائل وصانع؟

قال علي (ع): أو تسلمن بمبتي هناك يانبي الله؟

قال: نعم، فتبسم علي (ع) ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً شكرأ الله على ذلك، فلما رفع رأسه قال له: يانبي الله امض لما أمرت، فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت أكن فيه لمسرك، واقع منه بحثيث مرادك، وما توفيقك إلا بالله.

فسكره رسول الله (ص) على ذلك وقال له: فارقد على فراشي واشتمل بيردي الحضري.

## ليلة المبيت

لما أنام رسول الله (ص) علياً (ع) على فراشه وعزم على الخروج التفت إليه يودعه وهو يقول: أخبرك يا علي ان الله تعالى يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشد الناس بلاءاً الأبياء ثم الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يابن العم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم (ع) والذبيح إسماعيل (ع)، فصبراً، فإن رحمة الله قريب من المحسنين.

ثم ضمه النبي (ص) إلى صدره وبكي وجداً به، وبكي علي (ع) جشع لفارق رسول الله (ص) ثم أوصاه بوصاياه وأمره في ذلك بالصبر حتى صلى العشرين ثم خرج (ص) في فحمة العشاء الآخرة، والرصد من قريش

قد أطافوا بداره.

## القرآن ومبيت علي (ع)

نام علي (ع) على فراش رسول الله (ص) موطنًا نفسه على القتل، فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل: اني آخيتُ بينكما وجعلتُ عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فـأيـكـما يـؤـثـرـ صـاحـبـهـ بـحـيـاتـهـ؟ـ فـاخـتـارـ كـلـ مـنـهـماـ الحـيـاةـ وأـحـبـاهـ.

فـأـوـحـىـ اللهـ عـزـ وجـلـ إـلـيـهـماـ:ـ أـفـلاـ كـنـتـمـ مـثـلـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ (ع)ـ آـخـيـتـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ مـحـمـدـ (ص)ـ فـبـاتـ عـلـىـ فـرـاـشـهـ يـفـدـيـهـ بـنـفـسـهـ،ـ وـبـيـوـثـرـهـ بـالـحـيـاةـ،ـ اـهـبـطـاـ إـلـىـ الـأـرـضـ فـاحـفـظـاهـ مـنـ عـدـوـهـ،ـ فـكـانـ جـبـرـئـيلـ عـنـ رـأـسـهـ،ـ وـمـيـكـائـيلـ عـنـ رـجـلـيهـ،ـ وـجـبـرـئـيلـ يـنـادـيـ:ـ بـخـ بـخـ،ـ مـنـ مـثـكـ يـابـنـ أـبـيـ طـالـبـ؟ـ بـيـاهـيـ اللـهـ بـكـ الـمـلـاـنـكـةـ،ـ فـأـنـذـلـ اللـهـ عـزـ وجـلـ:ـ (وـمـنـ النـاسـ مـنـ يـشـرـيـ نـفـسـهـ اـبـتـغـاءـ مـرـضـاتـ اللـهـ وـالـلـهـ رـوـفـ بـالـعـبـادـ)ـ (٧٤ـ).

## ليلة الهجرة

أطاف المشركون بدار رسول الله (ص) وفيهم أبو جهل بن هشام، فقال لهم على بابه: إنَّ محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان لكم منه الذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها.

فخرج رسول الله (ص) في هذه الحال وقد أخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: نعم أنا أقول ذلك، أنت أحدهم، وأخذ الله على أبصارهم عنه، فجعل ينشر ذلك التراب على رؤوسهم وهو (ص) يتلو هذه الآيات من سورة يس: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَسُورُ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) (٧٥) إلى قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ) (٧٦) حتى فرغ من الآيات، فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه التراب، ثم انصرف (ص) إلى حيث أراد أن يذهب.

وعلى روایة: أتاهم آت من لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟  
قالوا: محمداً.

قال: خيبكم الله، قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه التراب، وانطلق حاجته، أفما ترون ما بكم؟!

قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب.

ثم جعلوا يطلعون فيرون علياً (ع) على الفراش متسلجيًّا ببرد رسول الله (ص)، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائم عليه ببرده، فلم يبرحوه كذلك حتى أصبحوا. فقام علي (ع) من الفراش. فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا به.

٧٤ - البقرة: ٢٠٧

٧٥ - يس: ١ - ٣

٧٦ - يس: ٩

قال لهم علي (ع) : ما شأنكم؟

قالوا : أين محمد؟

قال : أجعلتمني عليه رقيباً! ألستم قلتم : نخرج من بلادنا؟ فقد خرج عنكم.

فأقبلوا على أبي لهب الذي كان يمنعهم عن مداهمة البيت ليلاً يومونه ويقولون له : أنت تخدعنا منذ الليلة، ثم تفرّقوا في طلبـهـ.

وكان رسول الله (ص) يمشي تلك الليلة على أطراف قدميه كي يخفى أثره حتى حفيت قدماه، ورأى (ص) في طريقه أبا بكر فاصطحبه وذلك لعل مذكورة في المفصلات.

## تاريخ الهجرة

وكانت الليلة التي خرج فيها رسول الله (ص) مهاجراً من مكة ليلة الخميس أول ليلة من شهر ربيع الأول بعد أن انقضت مدة ثلاثة عشرة سنة من مبعثه الشريف، وفيها كان مبيت علي (ع) على فراشه، وكان خروجه من غار ثور ليلة الرابع من شهر ربيع الأول، حيث توجه فيها إلى المدينة، ووصلها يوم الإثنين في الثاني عشر من شهر ربيع الأول أي : بعد اثنى عشرة ليلة خلت منه، فنزل بقبا ينتظر قوم علي (ع) عليه، فقد أمره النبي (ص) بعد المبيت على فراشه أن يبقى في مكة حتى يؤدي الودائع والأمانات التي كانت للناس عنده، ثم يحمل الفاطميات معه ويلتحق بالنبي (ص)، وهكذا فعل علي (ع).

فعن أبي رافع انه قال : كان علي (ع) يجهز النبي (ص) حين كان في الغار يأتيه بالطعام والشراب، وخلفه النبي (ص) ليخرج إليه أهله فأخرجهم، وأمره أن يؤدي عنه أماناته ووصاياه وما كان بمأمن عليه من مال، وأن يقضي عنه ديونه وينجز عداته، فلما أداها قام على الكعبة فنادي برفع صوته : يا أيها الناس هل من صاحبأمانة؟ هل من صاحبوصيّة؟ هل من عدة له قبل رسول الله (ص)؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبي (ص).

## المشركون يطلبون الرسول (ص)

ولما فوجئ المشركون بِمغادرة الرسول (ص) داره، وان النائم في فراشه هو علي بن أبي طالب (ع) أذكروا عليه العيون، وركبوا في طلبه الصعب والذلول.

وخرجوا يقتصون أثره، وأخذوا معهم القافلة حتى وصلوا إلى الغار، وكان الله تعالى قد أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار، وباضتا في أسفل النقب، فكان ذلك مما صد المشركين عنه، فلما أتوا الغار طارت الحمامتان ورأوا البيض ونسج العنكبوت فقالوا : لو دخل هاهنا لتكسر البيض ولم يكن عليه نسج العنكبوت، فصرفهم الله عزوجل بذلك عنه.

## الجائزة لمن جاء بالرسول (ص)

ولما يئس المشركون من الظفر برسول الله (ص) جعلوا لمن جاء به دية كاملة أي: مائة من الإبل جائزة لذلك، فجد الناس في الطلب (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

وكان من جد في طلبه سراقة بن مالك بن جعثم حيث يقول:

جاءنا رسول كفار قريش يجعلون في رسول الله (ص) دية كاملة لمن قتله أو أسره، وبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي منبني مدلج، إذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفًا أسودة بالساحل، أراها محمدًا وأصحابه.

قال سراقة: فعرفت أنهم هم، لكنني أردت الحصول على الجائزة لوحدي.

فقلت: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا.

ثم لبنت في المجلس ساعة، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها عليّ، فأخذت رمحي فخررت به من ظهر البيت، فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها، فدفعتها تقرب بي حتى لدلت منها.

فلما رأى رسول الله (ص) أقرب منهم، رفع يديه نحو السماء وقال: (اللهم اكفي شر سراقة بما شئت). فساخت قوائم فرسي، فتثنيت رجلي ثم اشتدت وقتلت: يا محمد أني علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي إنما هو من قيلك، فادع الله أن يطلق لي فرسي، فلعمري أن لم يصبكم خير مني لم يصبكم مني شر.

فدع رسول الله (ص) فأطلق الله عزوجل فرسه، فعاد في طلب رسول الله (ص) حتى فعل ذلك ثلاث مرات، كل ذلك يدعو رسول الله (ص) فتأخذ الأرض قوائم فرسه.

فإذا أطلقه الله في الثالثة قال: يا محمد هذه ابلي بين يديك فيها غلامي، وإن احتجت إلى ظهر أو لبن فخذ منه، وهذا سهم من كنانتي علامة عليه، وأنا أرجع فارداً عنك الطلب.

فقال (ص): لا حاجة لنا فيما عندك.

قال الرجل: ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر أمر رسول الله (ص)، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، وكان الكتاب معه إلى يوم فتح مكة، فجاء بالكتاب فوفى له رسول الله (ص) وكان يوم وفاة وبر.

## مع بريدة الإسلامي

وممن جد في طلب الرسول (ص) بريدة بن الحصيب الإسلامي، فقد ركب في سبعين راكباً من أهله منبني سهم يطلبه، فالتحق به فبادره الرسول (ص) قائلاً: من أنت؟

قال: أنا بريدة.

فقال (ص): برد أمرنا وصلح.

ثم قال (ص): وممن أنت؟

قال: من أسلم.

قال (ص): سلمنا.

ثم قال (ص): مَنْ؟

قال: من بني سهم.

وهنا التفت إليه النبي (ص) وقال له: خرج سهمك.

فأعجب بريدة تفاؤل الرجل وحسن أخلاقه وأحبه في قلبه، وتلهف للتعرف عليه فقال له: ومن أنت؟

قال (ص): أنا محمد بن عبد الله رسول الله.

فلم يترى بريدة لما سمع ذلك حتى قال: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله) فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعاً.

قال (ص): الحمد لله لقد أسلمت بنو سهم طائعين غير مكرهين.

## عند أم عبد

ثم مضى رسول الله (ص) فيمن معه فمروا بخيمة أم عبد الخزاعية، وكانت امرأة جلدة بربة تحتبي بفناء الخيمة ثم تطعم وتسقي من مر بها، فسألها (ص): هل عندها شيء يشتروننه؟

قالت: والله لو كان عندنا شيء ما أعزكم القرى، والشاء عازب، وكانت سنة شهباء.

فنظر رسول الله (ص) إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم عبد؟

قالت: هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم.

قال (ص): هل بها من لبن؟

قالت: هي أجده من ذلك.

قال (ص): أقتاذنين لي أن أحليها.

قالت: نعم، بأبي وأمي، إن رأيت بها حليباً فاحليها.

فدعى رسول الله (ص) بالشاة فمسح بيده ضرعها وذكر اسم الله وقال: اللهم بارك لها في شاتها، فتفاجلت عليه ودررت واجترت، فدعا بياتناء لها يُربض الرهط فحلب فيه ثجاً حتى علت الرغوة، فسقاها فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب (ص) آخرهم، فشربوا جميعاً علاً بعد نهل، ثم حلب فيه ثانياً حتى ملأ الإناء.

فلما رأت أم عبد ذلك قالت: إن لي ولداً له سبع سنين وهو كقطعة لحم لا يتكلم ولا يقوم، فأتته به، فأخذ (ص) تمرة وقد بقيت في الوعاء ومضغها وجعلها في فيه، فنهض في الحال، ومشى وتكلم، وجعل نواها في الأرض فصارت في الحال نخلة، وقد تهطل الرطب منها، وكان كذلك صيفاً وشتاءً، وأشار من الجوانب فصار ما حولها مراعي، ثم ارتحلوا عنها.

فقلما لبث أن جاء زوجها أبو عبد يسوق أعنزاً عجافاً يتساون هزاً. فلما رأى اللبن وما إلى ذلك عجب وقال: من أين لك هذا والشاء عازب حيال، ولا حلوبة في البيت؟!

فقالت: لا والله، إلا أنه من بنا رجل مبارك، كان من حديثه كيت وكيت.

قال: والله إني لأراه صاحب قريش الذي تطبه، صفيه لي يا أم معبد.

فقالت: رأيت رجلاً ظاهراً الوضاعة حسن الخلق، أبلغ الوجه، لم تعبه ثجلة - ويروى نحلة بالنون والباء - ولم تزر به صعلة، كان عنقه ابريق فضة، وسليم جسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحور أكحل أزوج أقرن شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما به وعلاه البهاء، وكان منطقه خرزات نظم ينحدرن، حلوا المنطق فصل، لأنزرا ولا هذر، أجهر الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنها من قريب، ربعة لا تشنوه عين من طول ولا تقتحمه من قصر، غصن بين غصتين، فهو أنضر الثالثة منظراً وأحسنهم قدرأ، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود مشود، لا عابس ولا مفتد.

قال: هذا والله صاحب قريش الذي ذكرنا من أمره ما ذكر بمكة، ولو كنت أنا وافقته لاتممت أن أصحبه، ولا فعلت إن وجدت إلى ذلك سبيلاً، فإنه صادق في قوله انه رسول الله، فليس هذا إلا من فعل الله، ثم قصده فامن هو وأهله.

ويروى: أن الشاة التي لمس رسول الله (ص) ضرعها وحلبها بيده بقيت عند أم معبد حتى كان زمن الرمادة في سنة ثمان عشرة من الهجرة.

قالت أم معبد: هاجرت وأسلمت، وكنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً وما في الأرض قليل ولا كثير.

## انتظار المسلمين للرسول (ص)

وبلغ المسلمين خروج رسول الله (ص) من مكة إلى المدينة، فجعلوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينظرون حتى يرددتهم حر الظهيرة. فانقلبوا يوماً بعد ما أطلاوا انتظارهم، فلما أتوا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم ينظر لأمر يريده، فبصر برسول الله (ص) وأصحابه مبixin يزول بهم السراب، فلم يملأ اليهودي أن نادى بأعلى صوته: يا عشر المسلمين، هذا جدم الذي تنتظرون.

فبادر المسلمون إلى السلاح فتلقوه رسول الله (ص) بظهور الحر، فعدل بهم ذات اليمين وسار حتى نزل بـ (قبا) في (بني) عمرو بن عوف) فكبّر المسلمون فرحاً بقدومه، وسمعت الوجبة والتکبير في بني عمرو بن عوف، فنزل على كلثوم ابن الهدم، وقيل: على سعد بن خيثمة، بـ (قبا) وبقي هناك ينتظر قدوة علي (ع).

وكان علي (ع) قد خرج بالفواطم<sup>٧٧</sup> بعد أن أدى وداعه عند رسول الله (ص) للناس، وقضى ديونه وأجز عداته، فلما قدم المدينة رأه النبي (ص) وقد تورّمت قدماه وأصبحتا يقطران دماً، فاعتنقه وبكي رحمة لما به، ثم دعا له (ع) بالعافية، ومسح رجليه فلم يشكهما بعد ذلك.

ثم نزل (ع) مع النبي (ص) بقبا، وبقي رسول الله (ص) بعد قدوة علي (ع) في بني عمرو بن عوف يوماً أو يومين، وفي مدة بقائه بقبا أسس مسجد قباء، وهو أول مسجد أسس على التقوى بعد النبوة بالمدينة المنورة.

٧٧ - أمه وبنت رسول الله (ص) وبنّت الزبير.

## أول جمعة بالمدينة

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ رَكِبَ بِأَمْرِ اللَّهِ لَهُ، فَاجْتَمَعَتِ إِلَيْهِ بَنُو عُمَرَ وَبْنُ عَوْفٍ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقِمْ عَنْنَا فِيمَا  
أَهْلُ الْجَدِّ وَالْجَلْدِ، وَالْحَلْقَةِ وَالْمَنْعَةِ.

فَقَالَ (ص): خُلُوا عَنْهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ.

وَبَلَغَ الْأَوْسَ وَالْخَزْرَاجَ خَرْوَجَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فَلَبِسُوا السَّلَاحَ وَأَقْبَلُوا يَعْدُونَ حَوْلَ نَاقَتِهِ، لَا يَمْرِبُ بِهِ مِنْ  
أَحْيَاءِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَثَبَوْا وَأَخْذُوا بِزَمَانِ نَاقَتِهِ وَطَبَّوْا مِنْهُ النَّزْلَ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ (ص) يَقُولُ لَهُمْ: خُلُوا سَبِيلَهَا، فَإِنَّهَا  
مَأْمُورَةٌ.

حَتَّى مَرَّ (ص) بِبَنِي سَالِمَ عَنْدَ الزَّوَالِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَتَعْرَضَتِ لَهُ بَنُو سَالِمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ إِنَّا  
فِيمَا أَهْلُ الْجَدِّ وَالْجَلْدِ، وَالْحَلْقَةِ وَالْمَنْعَةِ، فَبَرَكْتَ نَاقَتِهِ عَنْ مَسْجِدِهِ فَنَزَلَ فِي مَسْجِدِهِ الَّذِي خَطَهُ (ص) لَهُمْ  
وَنَصَبَ قَبْلَتَهُ وَصَلَّى بِهِمِ الْجُمُعَةَ وَخَطَبَهُمْ، وَكَانَ أَوَّلُ مَسْجِدٍ خَطَبَ فِيهِ بِالْجُمُعَةِ، وَصَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانَ  
الَّذِينَ صَلَوْا مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَائَةً رَجُلًا.

## عند أبي أيوب

ثُمَّ رَكَبَ النَّبِيُّ (ص) نَاقَتِهِ وَعَلَيْهِ (ع) مَعَهُ لَا يَفَارِقُهُ يَمْشِيهِ، فَأَرْخَى زَمَانَهَا لَا يَحْرُكُهَا وَهِيَ تَنْظَرُ يَمِينَهُ  
وَشَمَائِلَهُ، فَلَمْ تَنْزِلْ نَاقَتِهِ سَائِرَةً، وَلَا يَمْرِبُ بِهِ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا رَغْبَوْهُ فِي النَّزْلَ عَلَيْهِمْ وَأَخْذُوا بِخَطَامِ رَاحِلَتِهِ  
وَقَالُوا: هَلْ إِلَى الْعَوْذِ وَالْعَدَةِ وَالسَّلَاحِ وَالْمَنْعَةِ، فَكَانَ يَجِبُهُمْ (ص) بَعْدَ التَّشْكُّرِ مِنْهُمْ: خُلُوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ.  
فَلَمْ تَنْزِلْ سَائِرَةً بِهِ حَتَّى وَصَلَّتْ إِلَى مَوْضِعِ مَسْجِدِهِ الْيَوْمَ فَبَرَكَتْ، وَلَمْ يَنْزِلْ عَنْهَا حَتَّى نَهَضَتْ وَسَارَتْ قَلِيلًا،  
ثُمَّ التَّفَتَتْ وَرَجَعَتْ فَبَرَكَتْ فِي مَوْضِعِهِ الْأَوَّلِ عَنْدَ بَابِ أَبْيَ أيُوبَ فَنَزَلَ عَنْهَا، وَلَمْ يَكُنْ آنَذَكَ مَسْجِدًا، فَجَعَلَ النَّاسُ  
يَكْلُمُونَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) فِي النَّزْلَ عَلَيْهِمْ، فَبَادَرَ أَبْيَ أيُوبَ الْأَنْصَارِيَ إِلَى رَحْلَهُ فَحَلَّهُ وَأَدْخَلَهُ مَنْزِلَهُ، فَجَعَلَ  
رَسُولُ اللَّهِ (ص) يَقُولُ: (المرءُ معَ رَحْلِهِ).

وَجَاءَ أَسْعَدُ بْنُ زَرَارَةَ فَأَخْذَ بِزَمَانِ رَاحِلَتِهِ فَحَوَّلَهَا إِلَى مَنْزِلِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ص): أَيْ بَيْتٍ أَهْلُنَا أَقْرَبُ؟  
فَقَالَ أَبْيَ أيُوبَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ دَارِيُّ، وَهَذِهِ بَابِي.

قَالَ (ص): فَانْطَلِقْ فَهِيَ لَنَا مَقِيلًا.

قَالَ: قَوْمًا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَعَلَيْهِ (ع) مَعَهُ <sup>٧٨</sup> فِي دَارِ أَبْيَ أيُوبَ، حَتَّى يَنْبَئِ لَهُ  
مَسْجِدًا، وَيَبْنِي لَهُ مَسَاكِنَهُ وَمَنْزِلَ عَلَيْهِ (ع)، فَتَحُولُ إِلَى مَنَازِلِهِمَا.  
وَقِيلَ: أَنَّهُ لَمَّا بَرَكَتْ نَاقَةَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) عَلَى بَابِ أَبْيَ أيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ وَلَمْ يَكُنْ أَفْقَرُ مِنْهُ فِي الْمَدِينَةِ  
انْقَطَعَتْ قُلُوبُ النَّاسِ حَسْرَةً عَلَى مَفَارِقَةِ النَّبِيِّ (ص) فَنَادَى أَبْيَ أيُوبَ: يَا أَمَاهَ افْتَحْ الْبَابَ، فَقَدْ قَدَمَ سَيِّدُ الْبَشَرِ،  
وَأَكْرَمَ رَبِيعَةَ وَمَضْرَ، مُحَمَّدَ الْمُصْطَفَى، وَالرَّسُولُ الْمَجْتَبَى.

فَخَرَجَتْ وَفَتَحَتْ الْبَابَ وَكَانَتْ عَمِيَاءَ فَقَالَتْ: وَاحْسِرْتَاهُ لَيْتَ كَانَتْ لَيْ عَيْنَ أَبْصَرَ بِهَا وَجْهَ سَيِّدِي رَسُولِ اللَّهِ

<sup>٧٨</sup> - راجع مناقب ابن شهرآشوب: ١ / ١٣١ ط.

(ص)، فدعا (ص) لها فانفتحت عيناه، وكانت أول معجزة النبي (ص) في المدينة.  
وفي رواية: انه لما أقبل رسول الله (ص) إلى المدينة لم ير الناس فرحا بشيء مثل فرحهم به، حتى ان النساء والصبيان والإماء كانوا يقولون: هذا رسول الله، قد جاء رسول الله.  
وعن بعضهم انه قال: شهدته (ص) يوم دخل المدينة فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أسوء من يوم دخل علينا، وشهادته يوم مات فما رأيت يوماً قط كان أقبح ولا أظلم من يوم مات.

## المسجد النبوي الشريف

وكان رسول الله (ص) يصلي في المربد بأصحابه، فقال لاسعد بن زراره: اشر هدا المربد من أصحابه،  
وكان ليتيمين - فساوم اليتيمين عليه، فقالا: هو لرسول الله. فقال رسول الله (ص): لا، إلا بثمن.  
فأشتراه (ص) بعشرة دنانير، وكان فيه ماء مستنقع، فأمر به رسول الله (ص) فسيل، وأمر بالبن فضرب،  
فبناه مسجداً، وبني منازله ومنازل أصحابه حول المسجد، وخط لعلي بن أبي طالب (ع) ولحمزة (ع) مثل ما  
خط له ولأصحابه، فبنوا فيه منازلهم، وكل منهم شرع منه باباً إلى المسجد، فكانتوا يخرجون من منازلهم  
فيدخلون المسجد.

فنزل عليه جبرئيل (ع) وقال: ان السلام يخصك بالسلام ويأمرك بسد الأبواب إلا بابك وباب علي بن أبي  
طالب، فإنه يحل له فيه ما يحل لك، فتأثر أصحاب الأبواب من ذلك.  
فقال لهم رسول الله (ص): ما أنا أمرت بسدّها، ولكن الله أمر بسد أبوابكم وترك باب علي (ع).  
فقالوا: رضينا وسلمنا الله ولرسوله.

## بناء المسجد

ولما أمر النبي (ص) ببناء المسجد طرق ينقل معهم اللبن وكان يقول وهو ينقل اللبن:  
(هذا الحمال لا حمال خير، هذا وربنا أبى وأظهر).

أي: هذا المحمول من اللبن أبى عند الله وأظهر يعني: أبقى ذخراً وأدوم منفعة من التمر والزبيب والطعم  
المحمول من خير الذي يقتبه حاملوه، وكان يقول أيضاً: (اللهم ان الأجر أجر الآخرة، فارحم الأنصار  
والهجارين).

وأخذ المسلمون يرتجون وهم يعملون، فقال بعضهم:  
لئن قعدنا والرسول يعمل\*\*\*إذاك منا العمل المضل  
والنبي (ص) يقول: (لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم ارحم الأنصار والهجارين).  
فدخل عمّار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن، فقال: يا رسول الله قتلوني، يحملون على ما لا يحملون.  
فتبسّم رسول الله (ص) ونفض وفرة عمّار بيده وكان رجلاً جعداً وقال له: (ويح ابن سميه، ليسوا بالذين  
يقتلونك، إنما تقتلك الفنة الباغية).

وارتجز علي بن أبي طالب (ع) يومئذ وهو يقول:  
لا يستوي من يعمر المساجد\*\*يُدَأْ فِيهَا قَانِمًا وَقَاعِدًا  
وَمَنْ يَرِي عَنِ التَّرَابِ حَانِدًا

وجعلت قبلته إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب، وقيل: أكثر من ثلاثة، وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه، وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع، وجعل عمه الجنوبي، وسقفه بالجريدة، وجعل عصاذه الحجارة، وقيل له: ألا تسقفه؟ فقال: لا، عريش كعريش موسى، وبني بيوتاً إلى جنبه باللبن وسقفها بالجريدة والجنوبي لنفسه ولا أصحابه.

وكان في مؤخر المسجد موضع مظلل يأوي إليه المساكين يسمى (الصفة).  
وكان النبي (ص) يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه، ويتعشى طائفه منهم معه، وأجرى (ص) في مسجده نهراً.

## معادرة بيت أبي أيوب

ثم انتقل رسول الله (ص) من بيت أبي أيوب إلى مساكنه التي بنيت له، وقيل: ان مدة مقامه في بيت أبي أيوب بالمدينة إلى أن بني المسجد وب بيته: كان من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة، واستجمعت له إسلام هذا الحي من الأنصار، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، إلا ما شد وندر.

## المؤاخات بين المهاجرين والأنصار

ثم آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار من أصحابه، وكانوا تسعاً رجلاً، وقيل: ثلاثة رجال، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على الحق والمواساة، ويتوارثون بعد الموت، إلى وقعة بدر. فلما أنزل الله تعالى: (وَأَلْوَانُ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أُولَئِي بَيْعَضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ) (٧٩) رد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة.

وقد تمت عملية المؤاخة مرتين، وفي كل مرة اتّخذ النبي (ص) علياً (ع) أخي لنفسه من دون الناس.  
كما انه (ص) آخى بين النساء المهاجرات والأنصار أيضاً.

وروى السبط ابن الجوزي قائلًا: آخى رسول الله (ص) بين المهاجرين والأنصار، فبكى علي (ع) فقال رسول الله (ص): ما يبكيك يا علي؟  
قال: لم تواخ بيتي وبين أحد.

قال: أنا أدّخرتك لنفسي، ثم قال لعلي (ع): أنت مثني بمنزلة هارون من موسى (٨٠).

٧٩ - الأنفال: ٧٥

٨٠ - حديث المنزلة وقد أجمع عليه سائر فرق الإسلام، قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه على نهج البلاغة: ج ١٣ ص ٢١١ ط دار إحياء التراث العربي: (وقال النبي في الخبر المجمع على روایته بين سائر فرق الإسلام (أنت مثني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) فأثبت له جميع مراتب هارون عن

ثم قال (ص): يا علي أما علمت ان أول من يدعى به يوم القيمة أنا، فأقوم عن يمين العرش، إلى أن قال: ثم أنت أول من يدعى به لقرباتك مني ومنزلك عندي، ويدفع إليك لوانى وهو لواء الحمد.

## النبي (ص) ونقباء الأنصار

وكان من النقباء الاثني عشر الذين جعلهم رسول الله (ص) شهداء على الأنصار: البراء بن معور، وكان هو أول من تكلم ليلة العقبة حين التقى رسول الله (ص) بالسبعين من الأنصار فبایعوه، وقد توفي قبل قدم رسول الله (ص) إلى المدينة بشهر، فلما قدم رسول الله (ص) انطلق بأصحابه فصلّى على قبره وقال: (اللهم اغفر له وارحمه وارض عنه وقد فعلت).

وكان البراء هذا هو أول من مات من النقباء، ومات بعده من النقباء الاثني عشر: أسعد بن زرار، وذلك قبل أن يفرغ رسول الله (ص) من بناء مسجده، ودفن بالبقيع، والأنصار يقولون: هو أول من دفن فيها، والمهاجرون يقولون: أول من دفن فيها هو عثمان بن ماضون.

ولما مات أبو امامية أسعد بن زرار جاءت بنو النجار إلى رسول الله (ص) - وكان أبو امامية نقيبهم - فقالوا: يا رسول الله إن هذا الرجل قد كان منا حيث قد علمت، فاجعل لنا رجلاً مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم. فقال لهم رسول الله (ص): أنا نقيبكم، وكره رسول الله (ص) أن يخص بها بعضهم دون بعض، فكان من فضل بنى النجار أن كان رسول الله (ص) نقيبهم.

## تشريع الأذان

ولما كثر المسلمون ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشيء، فذكروا: أن يوروا ناراً، أو يضرموا ناقوساً، أو ينفخوا في بوق، أو يبعثوا من ينادي بالصلاحة.

فهبط جبرائيل (ع) على رسول الله (ص) بالأذان والإقامة، وعندما أمر رسول الله (ص) علياً (ع) أن يدعو له بلا، فدعاه فعلمه رسول الله (ص) الأذان وأمره به، وكان من فصولهما: (هي على خير العمل).

ثم في يوم الغدير لما نصب النبي (ص) علياً (ع) بأمر من الله تعالى خليفة على المسلمين، وأخذ منهم البيعة له بإمرة المؤمنين، زيد في فصولهما بأمره (ص) بعد الشهادة لله بالوحدانية وللنبي بالرسالة: الشهادة لعلى (ع) بالولاية.

## أبو سفيان: أول من صادر أموال المسلمين

وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله (ص)، فلم يبق بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس.

---

موسى، فإذاً هو وزير رسول الله وشاد ازره، ولو لا أنه خاتم النبيين لكان شريكاً في أمره) انتهى. وفي البخاري ج ٥ ص ٢٤ باب مناقب علي بن أبي طالب: (قال النبي لعلي: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى).

وبعث رسول الله (ص) وهو بعد في منزل أبي أويوب: زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم ليحملوا إليه بناته الالتي لم يسلم أزواجهن، لنزول القرآن في حرمتهن على أزواجهن إلا أن يسلموا، وليرحملوا إليه زوجته سودة بنت زمعة، وأسامه بن زيد، وأمه، وأم أيمن، فقدموا عليه بهن وبأسامة. وأما زينب بنت رسول الله (ص) فقد خرجت فتعرض لها هبار في الطريق بما أسقط جنينها فتمرضت على أثره وفارقت الحياة، فأهدر رسول الله (ص) دم هبار على جريمته هذه حيث أنه قتل الأم وجنينها معاً. نعم لم يستوعب من مكة أهل هجرة بأهليهم وأموالهم إلى الله وإلى رسوله إلا أهل دور يسمون ببني مظعون من بني جحش بن رئاب وبنو البكير من بني سعد بن ليث، فإن دورهم أغلقت بمكة هجرة. ولما خرج بنو جحش من دارهم عدا عليها أبوسفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقة أخي بني عامر بن لؤي.

فَلَمَّا بَلَغَ بْنِي جَحْشَ مَا صَنَعَ أَبُو سَفِيَانَ بِدَارِهِمْ ذَكَرَ ذَكَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشَ لِرَسُولِ اللَّهِ (ص)، فَقَالَ لَهُ: أَمَا تَرْضَى يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ بِهَا دَارًا فِي الْجَنَّةِ؟  
قَالَ: بَلِّي.  
قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ.

فَلَمَّا افْتَحَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) مَكَّةَ كَلِمَهُ أَبْنَى جَحْشَ فِي دَارِهِمْ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ص).  
فَقَالَ لِلنَّاسِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) يَكْرَهُ أَنْ تَرْجِعُوا فِي شَيْءٍ مِّنْ أَمْوَالِكُمْ أَصْبِبُ مِنْكُمْ فِي اللَّهِ.  
فَأَمْسَكَ عَنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، وَقَالَ:  
أَبْلَغْ أَبَا سَفِيَانَ \*\*\*عَنْ أَمْرِ عَوَاقِبِهِ نَدَمَاهِ  
دارِ بْنِ عَمَّكَ بَعْتَهَا\*\*\*تَقْضِيُّ بَهَا عَنْكَ الْغَرَامَه  
وَحَلِيفَكُمْ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ\*\*النَّاسُ مجتهد القسامه  
اذهب بها، اذهب بها\*\*\*طوقتها طوق الحمامه

## المدينة ودعاء الرسول (ص)

كان هواء المدينة وخماً وعفناً، وكانت المدينة من أوباً أرض الله من الحمى، وكانت مشهورة بالوباء في الجاهلية، ومن أجلها كانت تدعى باسم يثرب، فإذا دخلها غريب تعرض، فاستوخر المهاجرون هواء المدينة ولم يوفق مزاجهم، فمرض كثير منهم وضعفوا حتى لم يقدروا على الصلاة قياماً، وكرهوا المدينة، فقال رسول الله (ص) وهو يدعو ربـه: (اللـهم حـبـبـ إـلـيـنـاـ المـدـيـنـةـ كـمـاـ حـبـبـتـ إـلـيـنـاـ مـكـةـ أوـ أـشـدـ، وـبـارـكـ لـنـاـ فـيـ مـذـهـاـ وـصـاعـهـاـ، وـانـقـلـ وـبـاءـهـاـ وـحـمـاـهـاـ عـنـاـ) ثم سماها طيبة، فسميت بها واشتهرت بمدينة الرسول (ص).

## علي (ع) يخطب فاطمة (ع)

ولما انتقل رسول الله (ص) من بيت أبي أويوب إلى منازله كانت ابنته فاطمة (ع) عنده، فخطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام والشرف والمال، كما خطبها بعض الصحابة، وكان كلما ذكرها له أحدهم

أعرض عنه رسول الله (ص) بوجهه، حتى كان الرجل منهم يظن ان رسول الله (ص) ساخط عليه.

فقيل لعلي (ع): لم لا تخطب فاطمة؟ فوالله ما نرى رسول الله (ص) يحبسها الا عليك.

فأقبل علي (ع) إلى النبي (ص) خاطباً وهو في دار أم سلامة، وقبل أن يصل علي (ع) إلى الدار هبط جبرئيل على النبي (ص) وأخبره بمجيء علي (ع).

فلما طرق الباب قال النبي (ص) لأم سلامة: افتحي له الباب ومربيه بالدخول، فهذا رجل يحبه الله ورسوله ويحبّهما، فدخل فإذا هو علي (ع)، فسلم على النبي (ص) وجلس مطرقاً برأسه حياءً.

قال له النبي (ص): أني أرى انك أتيت لحاجة؟

قال علي (ع): فداك أبي وأمي يا رسول الله، انك لتعلم انك أخذتني من عمه أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد، وأنا صبيٌّ، فخذلتني ببغائك، وأدبتك، فكنتَ إليَّ أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البر والشفقة، وإن الله تعالى هداني بك وعلى يديك، وأنت والله يا رسول الله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة، يا رسول الله، فقد أحببت مع ما شدَّ الله من عصدي بك أن يكون لي بيت، وأن يكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً راغباً، أخطب إليك ابنتك فاطمة، فهل أنت مزوجي يا رسول الله؟ ثم سكت وأطرق برأسه ينتظر جواب رسول الله (ص).

## صدق الزواج

ولما خطب علي (ع) فاطمة (ع) من أبيها رسول الله (ص) تهلل وجه رسول الله (ص) فرحاً وسروراً وقال له: فهل معك شيء أزوجك به؟

قال علي (ع): فداك أبي وأمي، والله ما يخفى عليك من أمري شيء، أملك سيفي ودرعي وناضحي، وما لي شيء غير هذا.

قال رسول الله (ص): يا علي أما سيفك فلا غنى بك عنه تجاهد به في سبيل الله وتقاتل به أعداء الله، وناضحك تنضح به على نحلك وأهلك وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكن قد زوجتك بالدرع ورضيت بها منك، يا علي أبشر فإن الله تعالى قد زوجكها في السماء قبل أن أزوجك في الأرض.

## ابداء الرضا

ثم قال رسول الله (ص) لعلي (ع): يا علي انه قد ذكر فاطمة رجال قبك، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلي حتى أخرج إليك.

فدخل (ص) عليها فقامت (ع) فأخذت رداء أبيها (ص) وزنعت نعليه، وأنته بالوضوء فوضّنته بيدها، وغضّلت رجليه، ثم جلست تنتظر أمره (ص).

قال (ص) لها: يا فاطمة!

قالت: لبيك يا أبة يا رسول الله ما حاجتك؟

قال: ان علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، واني قد سالت ربّي أن يزوجك خير خلقه وأحبّهم إليه وقد ذكر عن أمرك شيئاً، فما ترين؟  
فسكتت فاطمة(ع) ولم تول وجهها، ولم ير فيها رسول الله (ص) كراهة، فقام وهو يقول: (الله أكبر، سكوتها اقرارها).

## إعلان خبر الزواج

ثم قام علي (ع) ومضى إلى المسجد، وجاء رسول الله (ص) في أثره، وفي المسجد المهاجرين والأنصار، فصعد رسول الله (ص) المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: معاشر المسلمين ان جبرئيل أتاني آنفًا فأخبرني عن ربّي عزوجل انه جمع الملائكة عند البيت المعور، وانه أشهدهم جميعاً انه زوج أمته فاطمة بنت رسول الله من عبده علي بن أبي طالب، وأمرني أن أزوجه في الأرض وأشهدكم على ذلك.

ثم جلس وقال لعلي (ع): قم يا أباالحسن فاختطب أنت لنفسك.

فقام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآلـه ثم قال:

(الحمد لله شكرًا لأنعمه وأياديـه، ولا إله إلا الله شهادة تبلغـه وترضـيه، وصلـى الله على محمد صلاة تزلفـه وتحظـيه، والنـكاح مما أمر الله عزوجـل به ورضـيه، ومجـلسنا هـذا مما قـضاه الله وأذـنـ فيه، وقد زـوجـني رسول الله ابـنته فـاطـمـة وجعلـ صـدـاقـها درـعي هـذا وقد رـضـيتـ بذلكـ، فـاسـأـلـوهـ وـاشـهـدواـ).

فقال المسلمون لـرسـولـ اللهـ (صـ): زـوجـتهـ ياـ رسـولـ اللهـ؟

فـقالـ (صـ): نـعـمـ.

فـقالـواـ: بـارـكـ اللهـ لـهـمـاـ شـمـلـهـمـاـ.

## الصدق لمصلحة الزوجين

ثم أقبل رسول الله (ص) على علي (ع) وقال له: يا علي انطلق الان فبع درعك وأتنـي بشـمنـه حتى أهـيـءـ لكـ ولـابـنـتيـ فـاطـمـةـ ماـ يـصـلـحـكـماـ.

قال علي (ع): فـانـطـلـقـ فـبـعـتـ درـعيـ بـأـربـعـمـائـةـ درـهمـ، وـقـيـلـ: بـأـربـعـمـائـةـ وـثـمـائـينـ، وـقـيـلـ: بـخـمـسـمـائـةـ درـهمـ<sup>٨١</sup>)  
وـأـقـبـلـ بـهـاـ إـلـىـ رسـولـ اللهـ (صـ) وـطـرـحـتـهاـ بـيـنـ يـدـيـهـ، فـدـعـاـ رسـولـ اللهـ (صـ) بـعـضـ أـصـحـابـهـ وـدـفـعـ لـهـ بـعـضـ الـمـالـ  
وـقـالـ لـهـ: اـشـتـرـ بـهـذـهـ الدـرـاهـمـ لـابـنـتـيـ ماـ يـصـلـحـ لـهـاـ فـيـ بـيـتـهـاـ، فـانـطـلـقـ وـاـشـتـرـىـ:  
١ - فـرـاشـاـ مـنـ خـبـيشـ مـصـرـ مـحـشـوـاـ بـالـصـوـفـ.

٢ - نـطـعـاـ مـنـ اـدـمـ.

٣ - وـسـادـةـ مـنـ اـدـمـ حـشـوـهـاـ مـنـ لـيفـ النـخلـ.

<sup>٨١</sup> - وفي بعض الأخبار: ان صداقها (ع) كان ثلاثة درهماً فقط [راجع الكافي: ج ٥ ص ٣٧٧ ح ٢] وذلك لتتضاع المناكب.

٤ - عباءة خيرية.

٥ - قربة للماء.

٦ - كيزاناً.

٧ - جراراً.

٨ - مطهرة للماء.

٩ - ستراً من صوف.

١٠ - رحى لليد.

فَلَمَّا وَضَعَ مَا اشْتَرَاهُ بَيْنَ يَدِي رَسُولِ اللَّهِ (ص) نَظَرَ إِلَيْهِ فَبَكَى وَجَرَتْ دَمَوعُهُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ:  
(اللَّهُمَّ بَارِكْ لِقَوْمٍ جُلُّ آنِيَتُهُمُ الْخَزْفَ).

وَهُذَا الدُّعَاءُ يَشْمَلُ مِنْ حِينِهِ كُلَّ زَوْاجٍ يَتَمُّ بِبِسَاطَةٍ وَسَهْوَةٍ وَبِلَا تَشْرِيفَاتٍ وَتَعْقِيدَاتٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَعَلَيْنَا  
إِذَا أَحَبَبْنَا أَنْ يَشْمَلَنَا هَذَا الدُّعَاءُ وَيَشْمَلَ أَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا أَنْ نَلْتَزِمَ بِذَلِكَ وَلَا نَطْلَبْ سُوْفَ الْكَفَاةَ وَالْأَهْلِيَةَ مِنْ حَسْنِ  
الْخَلْقِ وَالْتَّدِينِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْشَّرِيفِ: (إِذَا جَاءَكُمْ مِنْ تَرْضُونَ خُلْقَهُ وَدِينَهُ فَرُوْجُوهُ) <sup>٨٢</sup>.

## البساطة في أمور الزواج

ثُمَّ دَعَى رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلَيْهِ أَعْلَمُ (ع) وَقَالَ لَهُ: هَيَّءْ مَنْزَلًا حَتَّى تَحُولَ فَاطِمَةُ إِلَيْهِ.

فَقَالَ عَلَيْهِ أَعْلَمُ (ع): يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَاهُنَا مَنْزَلٌ إِلَّا مَنْزَلٌ حَارِثَةُ بْنُ النَّعْمَانَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَحْيَنَا مِنْ حَارِثَةَ بْنَ النَّعْمَانَ، فَقَدْ أَخْذَنَا عَامَةَ مَنَازِلِهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ حَارِثَةُ  
فَجَاءَ إِلَيْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا وَمَالِيُّ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ، وَاللَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مَا تَأْخُذُهُ،  
وَالَّذِي تَأْخُذُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مَا تَنْتَرِكُهُ.

فَعَزَّزَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) خَيْرًا.

ثُمَّ فَرَشُوا الْبَيْتَ بِالرَّمْلِ، وَنَصَبُوا فِيهِ عُودًا يَوْضِعُ عَلَيْهِ الْقَرْبَةَ، وَسَتَرُوهُ بِكَسَاءٍ، وَنَصَبُوا خَشْبَةً مِنَ الْحَاطِنِ  
إِلَى الْحَاطِنِ لِلثِّيَابِ، ثُمَّ حُوَّلَتْ فَاطِمَةُ (ع) إِلَى عَلَيْهِ أَعْلَمُ (ع)، وَلَهَا مِنَ الْعُمْرِ تِسْعَ سَنِينَ.

## وليمة الزفاف

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) لِعَلَيْهِ أَعْلَمُ (ع): يَا عَلَيْيَ اصْنُعْ لِأَهْلِكَ طَعَامًا فَاضِلًا، فَجَاءَ الْأَصْحَابُ بِالْهَدَىِيَا، فَأَمَرَ النَّبِيُّ  
(ص) بِطْحَنَ الْحَنْطَةِ، فَطْحَنَ وَخْبَزَ، وَذَبَحَ الْكَبِشَ، وَجَيَّءَ بِتَمْرٍ وَسَمَنٍ، فَلَمَّا تَهَيَّأَ الطَّعَامُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص)  
لِعَلَيْهِ أَعْلَمُ (ع): يَا عَلَيَّ ادْعُ مِنْ أَحَبِّتَ.

قَالَ عَلَيْهِ أَعْلَمُ (ع): فَأَتَيْتُ الْمَسْجِدَ وَهُوَ غَاصِبًا بِأَهْلِهِ، فَنَادَيْتُ: أَجِبُوكُمْ إِلَى وَلِيمَةِ فَاطِمَةَ بْنَتِ مُحَمَّدٍ (ص)، فَأَجَابُوكُمْ  
وَأَقْبَلُوكُمْ أَفْوَاجًا، فَأَكَلُوكُمْ وَرَفَعُوكُمْ مِنْهَا مَا أَرَادُوكُمْ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنَ الطَّعَامِ شَيْءٌ.

<sup>٨٢</sup> - وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٥٠ ب ٢٨ ح ١ و ٢ و ٦ عن الرسول (ص).

ثم دعا رسول الله (ص) الأواني فملئت ووجه بها إلى منازل أزواجه، ثم أخذ آنية منها وقال: هذه لفاطمة وبعلها (عليهما السلام).

## ليلة الزفاف وأدابه

ثم أمر رسول الله (ص) في ليلة الزفاف نساءه وبنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يصحبن فاطمة (ع) إلى بيت زوجها، وأن يفرحن، ويرتجزن، ويكتبن، ويحمدن، ولا يقولن ما لا يرضي الله تعالى. ولما دخلن الدار أنفذ رسول الله (ص) إلى علي (ع) ثم دعا فاطمة (ع) فأخذ يدها ووضعها في يد علي (ع) وقال: بارك الله في ابنة رسول الله، يا علي نعم الزوجة فاطمة، ويا فاطمة نعم الزوج علي، ثم قال: يا علي هذه فاطمة وديعني عندك، ثم رفع يديه بالدعاء وقال:

(اللهم اجمع شملهما، وألّف بين قلوبهما، واجعلهما وذرّيهما من ورثة جنة النعيم، وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذريتهما البركة، واجعلهم أئمّة يهدون بأمرك إلى طاعتك، ويأمرون بما يرضيك، اللهم انهم أحب خلقك إلى فأحبابهما واجعل عليهما منك حافظاً، واني أعيذهما بك وذرّيهما من الشيطان الرجيم).

ثم خرج (ص) إلى الباب وهو يقول: طهر كما وطهر نسلكما، أنا سلم لمن سالمكما، وحرب لمن حاربكما، استودعكم الله، وأستخلفه عليكم.

## صبيحة ليلة الزفاف

ولما انصرف الجميع من زفاف علي وفاطمة (عليهما السلام) باتت أسماء عندهما في البيت، وأصبح الصباح، وجاء رسول الله (ص) إلى زيارتهما وقال: السلام عليكم أدخل؟ ففتحت أسماء الباب، فدخل (ص)، فقال (ص) لعلي (ع): يا علي كيف وجدت أهلك؟ قال: نعم العون على طاعة الله.

ثم قال لفاطمة (ع): كيف وجدت بعلك؟  
قالت: خير بعل.

ثم جاء (ص) بقدح فيه لبن فقال لفاطمة (ع): اشربي فداك أبوك، وقال لعلي (ع): اشرب فداك ابن عمه <sup>(٨٢)</sup>.

ثم ذكر لهما بعض الوظائف الزوجية، وقسم ادارة الشؤون المنزلية إلى قسمين: فأوكل ما هو في البيت إلى فاطمة (ع)، وما هو خارج البيت إلى علي (ع).

## ولادة السبطين

لم يمض على زواج علي (ع) من فاطمة الزهراء (ع) التي كان قد بنى بها في ذي الحجة من السنة الثانية

---

٨٣ - كشف الغمة: ١ / ٣٦٨ طقم ١٣٨١ هـ: (اشرب فداك ابن عمه).

من الهجرة النبوية المباركة، إلا أقل من سنة حتى ولدت (ع) السبط الأكبر الإمام الحسن المجتبى (ع)، وذلك ليلة النصف من شهر رمضان المبارك سنة ثلاط من الهجرة النبوية المباركة.  
كما وولدت (ع) السبط الأصغر الإمام الحسين الشهيد (ع) في اليوم الثالث من شهر شعبان المعظم سنة أربع من الهجرة النبوية المباركة.

## ولادة الحسن بن علي (ع)

قالت أسماء بنت عميس: لما حملت سيدتي فاطمة (ع) بالحسن بن علي وولدته، جاء النبي (ص) فقال: يا أسماء هلمي ابني، فدفعته إليه في خرقاً صفراء، فقال (ص) وقد أزاحها عنه: يا أسماء ألم أعهد إليكم أن لا تلقو المولود في خرقاً صفراء؟ فدفعته في خرقاً بيضاء ودفعته إليه، فأذن (ص) في اذنه اليمنى وأقام في اليسرى.

ثم قال لعلي (ع): بأي شيء سميت ابني؟

قال: ما كنت أسبقك باسمه يا رسول الله.

فقال النبي (ص): ولا أسبق أنا باسمه ربّي.

فهبط جبرئيل (ع) وقال: يا محمد، العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول: علي منك بمنزلة هارون من موسى ولانبي بعدك، سمي ابنك هذا باسم ابن هارون.

فقال (ص): وما اسم ابن هارون؟

قال: شبر.

فقال: لساني عربي.

قال: سمه الحسن.

قالت أسماء: فسماه الحسن، فلما كان يوم سابعه عق النبي (ص) عنه بكشين أملحين، عق عنه بيده وهو يقول: (بسم الله عقيقة عن الحسن، اللهم عظمها بعظمه، ولحمها بلحمه، ودمها بدمه، وشعرها بشعره، اللهم اجعلها وقاءاً لمحمد وآلها)، ثم أعطى القابلة فخذناً وديناراً، وحلق رأسه<sup>(ع)</sup>، وتصدق بوزن الشعر فضة، وطلى رأسه (ع) بالخلوق<sup>(٤)</sup> مكان الدم الذي كان الجاهليون يطلون به رأس الوليد، وقال: يا أسماء الدم فعل الجاهلية.

## ولادة الحسين بن علي (ع)

قالت أسماء: فلما كان بعد حول ولد الحسين (ع) فجاء النبي (ص) وقال: يا أسماء هلمي ابني، فدفعته إليه في خرقاً بيضاء، فأذن (ص) في اذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ووضعه في حجره وبكي.

قالت أسماء: فقلت: مم بكاؤك فداك أبي وأمي يا رسول الله؟

<sup>٤</sup> - الخلوق: نوع من الطيب فيه صفرة.

قال: على ابني هذا.

فقلت: انه ولد الساعة.

قال: تقتله من بعدي الفئة الباغية من بنى أمية، لا أنالهم الله شفاعتي، ثم قال (ص): يا أسماء لا تخبري فاطمة(ع) بهذا فإنها قريبة عهد بولادته.

ثم قال لعلي (ع): أي شيء سمعت ابنى هذا؟

قال: ما كنت لأسبق باسمه يا رسول الله.

فقال النبي (ص): ولا أسبق باسمه ربى.

فهبط جبرئيل (ع) وقال: يا محمد العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول: على منك كهارون من موسى ولانبيّ بعدك، سَمِّ ابنك هذا باسم ابن هارون.

فقال: وما اسم ابن هارون؟

قال: شبير.

فقال: لسانى عربى.

قال: سمه الحسين.

قالت أسماء: فسماه الحسين، فلما كان يوم سابعه عق النبي (ص) عنه بكثرين أملحين، عق عنه بيده وقرأ الدعاء المزبور، ثم أعطى القبلة فخذأً ديناراً، ثم حلق رأسه وتصدق بوزن الشعر فضة، وطنى رأسه بالخلوق وقال: يا أسماء الدم فعل الجاهلية.

## مع أخبار اليهود

ونصبت أخبار اليهود - غالباً - العداوة لرسول الله (ص) بغياً وحسداً وضغناً لما خص الله به العرب من النبوة، حيث جعلها في ولد اسماعيل، وأخرجها من ولد اسحاق، فقالوا: لا تكون تبعاً لولد اسماعيل أبداً. هذا مع ان رسول الله (ص) قد كان وادعهم وكتب بينه وبينهم كتاباً على أن لا يعينوا على رسول الله (ص) ولا على أحد من أصحابه بلسان ولا يد ولا سلاح ولا بكراع في السر والعلانية، لا بليل ولا بنهر، والله بذلك عليهم شهيد، فإن فعلوا فرسول الله (ص) في حل من سفك دمائهم، وسيبي ذرا رיהם ونسائهم، وأخذ أموالهم.

وكانوا ثلاثة قبائل:

١ - بنو قينقاع، وقد تولى أمرهم: (المخيريق).

٢ - بنو النضير، وقد تولى أمرهم: (يحيى بن أخطب).

٣ - بنو قريظة، وقد تولى أمرهم: (كعب بن أسد).

فحاربته الثلاث، فمن (ص) على بنى قينقاع، وأجلى بنى النضير، وقتل بنى قريظة. وقد ذكرنا في بعض الكتب: ان مقاتلي بنى قريظة الذين قتلوا كانوا قليلين جداً.

هذا وقد نزلت سورة الحشر في بنى النضير، وسورة الأحزاب في بنى قريظة. وسيأتي الكلام عن القبائل الثلاث في غزوتها (ص) وسراياه ان شاء الله تعالى.

## اسلام ابن سلام

كان ابن سلام من علماء اليهود، في المدينة المنورة ومن أحبّارهم، فلما جاء النبي (ص) إلى المدينة جاء عبد الله بن سلام إليه يسأله عن أشياء قال: إني سائلك عن ثلاثة لا يعلمهن إلا النبي: ما أول أشرطة الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمّه؟  
قال (ص): أخبرني به جبرائيل آنفًا.

قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة.

قال (ص): أما أول أشرطة الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزع الولد إلى أبيه، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمّه.

قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وأنك جئت بحق، وقد علمت اليهود أني سيدهم وابن سيدهم وعالمهم وابن عالمهم، فادعهم فاسألهم عنِّي قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ.

فأرسل النبي (ص) إلى اليهود فدخلوا عليه. فقال لهم رسول الله (ص): يا معشر اليهود اتقوا الله، فهو الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقًّا وأني جئتكم بحق، فأسلموا.

قالوا: ما نعلمك، قالوا ذلك للنبي (ص) ثلاثة مرات.

قال (ص): فائي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟

قالوا: ذاك خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، وعالمنا وابن عالمنا.

قال: أفرأيتكم إن أسلم أسلمون؟

قالوا: حاشا الله، ما كان ليسلم.

قال: أفرأيتكم إن أسلم؟

قالوا: حاشا الله ما كان ليسلم.

قال: أفرأيتكم إن أسلم؟

قالوا: حاشا الله ما كان ليسلم.

قال (ص): يا ابن سلام اخرج عليهم.

فخرج إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله، يا معشر اليهود اتقوا الله فهو الله الذي لا إله إلا هو إنكم تعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق.

قالوا: كذبت أنت شرٌّنا وابن شرٌّنا، وجاهلنا وابن جاهلنا ونتصوّه.

قال ابن سلام: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله، فقد أخبرتك أن اليهود قوم بهت.

## المخريقي يعلن اسلامه

وكان الذي تولى أمر اليهود منبني القينقاع يقال له: (مخريقي)، وكان خيرهم، وكان حبراً عالماً، وكان غنياً كثير الأموال والأملاك، وكان يعرف رسول الله (ص) بصفته وما يجد في علمه، فقال لقومه: تعلمون انه النبي المبعوث فهلموا نؤمن به ونكون قد أدركنا الكتابيين.

فلم يجده قينقاع إلى ما دعاهم إليه، وغلب عليه إلف دينه، فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد وكان يوم السبت قال: يا معاشر اليهود، والله إنكم لنتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق. قالوا: ان اليوم يوم السبت.

قال: لا سبت لكم.

ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله (ص) وأصحابه واحد، وعهد إلى من وراءه من قومه إن قتلت في هذا اليوم فأموالي لمحمد (ص) يصنع فيها ما أراه الله.

فلما أُقتل الناس قاتل حتى قتل، وذلك بعد أن أسلم، فاستلم رسول الله (ص) أمواله ووهبها بأمر من الله تعالى للصادقة الطاهرة فاطمة الزهراء(ع) وكانت حيطان سبعة.

## مع ابني أخطب

عن صفية بنت حبيبي أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، ولم أقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه.

قالت: فلما قدم رسول الله (ص) المدينة ونزل قبا فيبني عمرو بن عوف، خدا عليه أبي حبيبي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغليسين.

قالت: فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس. فأتيا كالين كسلاتين ساقطين يمشيان الهوينا.

قالت: فهششت اليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منها مع ما بهما من الغم، وسمعت عمي (أبا ياسر) وهو يقول لأبي (حبيبي): أهو، هو؟

قال: نعم والله.

قال: تعرفه وتثتبه؟

قال: نعم.

قال: فما في نفسك؟

قال: عداوته والله ما بقيت.

## مكائد اليهود وتأييدهم

جاء اليهود إلى المدينة واستوطنوا ليدركوا النبي (ص) فكانوا يستفthون به على الأوس والخزرج قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه.

فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معور أخوبني سلمة: يا معاذ اليهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفthون علينا بمحمد (ص)، ونحن أهل شرك وتخبروننا أنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته.

فقال سلام بن مشكم أحد بنى النضير: ما جاعنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي نذكره لكم، فأنزل الله تعالى في ذلك: (ولَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدَّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلٍ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ) (٨٥).

وقال ابن صلويا لرسول الله (ص): يا محمد ما جنتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بيّنة فتبّعك لها.

فأنزل الله في ذلك من قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ) (٨٦).

وقال رافع بن حريملة ووهب بن زيد: يا محمد انتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه، وفجر لنا أنها نتبعه ونصدقه.

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: (أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْتَأْنُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلِهِ) (٨٧).

وكان حبي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد اليهود حسداً للعرب، لما خصهم الله برسوله (ص)، فكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرِدُونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) (٨٨).

ودعا رسول الله (ص) اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال له رافع بن خارجة ومالك بن عوف: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم منا وخيراً منا، فأنزل الله تعالى في ذلك: (وَإِذَا قَيْلَ لَهُمْ أَتَبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَانَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا) (٨٩).

## اليهود وتأجيج العادات

وكان شاس بن قيس شيخاً قد عتا، عظيم الكفر، شديد الطعن على المسلمين، شديد الحسد لهم، فمر على نفر من أصحاب رسول الله (ص) من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، ففاظه ما رأى من فتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية. فقال: قد اجتمع ملأبني

.٨٥ - البقرة: ٨٩

.٨٦ - البقرة: ٩٩

.٨٧ - البقرة: ١٠٨

.٨٨ - البقرة: ١٠٩

.٨٩ - البقرة: ١٧٠

قيلة في هذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار.  
فأمر فتى شاباً من اليهود كان معه فقال: أعمد إليهم واجلس معهم، ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدتهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار.

وكان يوم بعاث يوماً اقتلت فيه الأوس والخزرج، فكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حضير بن سماك أبو أسيد بن حضير، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، فقتلها جميعاً.  
فعمل الفتى، فتكلم القوم عند ذلك وتفاخروا حتى تواثب رجال من الحسين على الركب - أوس بن قيظى أحد بنى حارثة بن الحارث بن الأوس، وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج - فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها جذعة، فغضب الفريقان جميعاً وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهر (٩٠). السلاح، السلاح.

فخرجوها إليها، فبلغ ذلك رسول الله (ص)، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال: يا معاشر المسلمين، الله الله، أبدعوا الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف به بين قلوبكم؟  
فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا وعائق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله (ص) سامعين مطيعين، وقد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله، فأنزل الله تعالى في شاس بن قيس وما صنع:

(يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون، فل يا أهل الكتاب لم تصدُون عن سبيل الله من آمن تبعونها عوجا) (٩١).

وأنزل الله سبحانه في أوس بن قيظى وجبار بن صخر وكان معهما من قومهما: (يا أيها الذين آمنوا إن تطهروا فريقاً من الذين أوثروا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) (٩٢)، إلى قوله تعالى: (وَمَن يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ) (٩٣).

## مع ابن أبي وأبي عامر

قدم رسول الله (ص) المدينة وسيد أهلها: عبدالله بن أبي، لا يختلف عليه في شرفه من قومه اثنان، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام، ومعه في الأوس رجل هو في قومه من الأوس شريف مطاع: أبو عامر عبد بن عمرو بن صيفي بن النعمان وهو أبو حنظلة الغسيل يوم أحد، وكان قد ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح، وكان يقال له الراhib، فشققا بشرفهما وضرهما.

أما ابن أبي فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجهوا ثم يملكونه عليهم، فجاءهم الله برسوله (ص) وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغرن ورأوا أن رسول الله (ص) قد استتبه ملكه، فلما رأى قومه قد

٩٠ - والظاهر: الحرث.

٩١ - آل عمران: ٩٨ - ٩٩.

٩٢ - آل عمران: ١٠٠.

٩٣ - آل عمران: ١٠١.

أبوا إلا الإسلام دخل كارهاً مصرًا على نفاقه وضيقه.

وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفرق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام، فخرج إلى مكة ببضعة عشر رجلاً، وكان أبو عامر أتى رسول الله (ص) حين قدم المدينة قبل أن يخرج إلى مكة فقال: ما هذا الدين الذي جئت به؟

قال (ص): جئت بالحنيفية دين Ibrahim (ع).

قال: فأنا عليها.

قال له رسول الله (ص): إنك لست عليها.

قال: بلـى، إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها.

قال (ص): ما فعلتـ، ولكنـي جـنتـ بها بيضاء نقـيـةـ.

قالـ: الـكافــرـ أـمــاتـهـ اللهـ طــرــيــداـ غــرــيــباـ وــحــيــداـ يــعــرــضــ بــرــســولــ اللهـ (صـ)ـ أـيــ: إـنـكـ جــنتـ بهاـ كــذــاكــ.

قالـ: رسولـ اللهـ (صـ)ـ: أـجــلـ فــمــنـ كــذــبــ يــفــعــلــ اللهـ بــهـ ذــلــكــ.

فــكــانــ هــوـ ذــلــكــ فــقــدـ خــرــجــ إــلــىــ مــكــةــ،ــ فــلــمــاـ فــتــحــتــ خــرــجــ إــلــىــ الطــائــفــ،ــ فــلــمــاـ أـســلــمــ أـهــلــ الطــائــفــ لــحــقــ بالــشــامــ فــمــاتــ بــهــاـ.

## في طريق العيادة

وركب رسول الله (ص) إلى سعد بن عبادة يعوده من شكوى أصابته - على حمار عليه إكاف فوقه قطيفة فدية مختطمة بحبل من ليف - فمر بعبد الله بن أبي وهو في ظل (مزاحم) أطمء، وحوله رجال من قومه، فلما رأه رسول الله (ص) نزل فسلـ، ثم جلس فتلا القرآن، وذكر بالله وحــزــ، وبــشــرــ وــأـنــزــ.

قالـ الـراـويـ:ـ وــهــوـ زــامــ لــاـ يــتــكــلــمــ،ــ حــتــىــ إــذــاـ فــرــغــ رــســوــلــ اللهــ (صــ)ـ مــنــ مــقــاـلــتــهــ قــالــ:ــ يــاـ هــذــاـ إــنــهــ لــاـ أــحــســنــ مــنــ حــدــيــثــ هــذــاـ إــنــ كــانــ حــقــاـ،ــ فــاجــلــســ فــيــ بــيــتــكــ فــمــنــ جــاءــكــ فــحــدــثــهــ إــيــاهــ،ــ وــمــنــ لــمــ يــأـتــكــ فــلــاـ تــفــغــشــهــ بــهــ،ــ وــلــاـ تــأـتــهــ فــيــ مــجــســهــ بــمــاـ يــكــرــهــ.

قالـ عبدـ اللهـ بنـ روـاحةـ فــيــ رــجــالــ كــانــواـ عــنــدــهــ مــنــ الــمــســلــمــيــنــ:ــ بــلــىــ فــاغــشــنــاـ بــهــ وــاـنــتــنــاـ فــيــ مــجــالــســنــاـ وــدــوــرــنــاـ،ــ فــهــوــ وــالــلــهــ مــمــاـ نــحــبــ،ــ وــمــاـ أــكــرــمــاـ اللــهــ بــهــ وــهــدــاـنــاـ.

قالـ عبدـ اللهـ حينـ رــأـيــ مــنــ خــلــافــ قــوــمــهــ مــاـ رــأـيــ:

مــتــىــ مــاـ يــكــنــ مــوــلــاـكــ خــصــمــ لــاـ تــزــلـ~\*\* تــذــلـ~\*\* وــيــصــرــعــكــ الــذــينــ تــصــارــعـ~

وــهــلــ يــنــهــضــ الــبــازــيــ بــغــيــرــ جــنــاحــهـ~\*\* وــإــنــ جــذــ يــوــمــاـ رــيــشــهــ فــهــوــ وــاقــعـ~

قالـ ســعــدــ:ــ يــاـ رــســوــلــ اللهــ لــاـ يــعــرــضــ فــيــ قــلــبــكــ مــنــ قــوــلــ هــذــاـ شــيــءــ،ــ فــوــ اللــهــ لــقــدــ جــاءــنــاـ اللــهــ بــكــ وــإــنــ لــنــنــظــمــ لــهــ الــخــرــزـ~  
لــنــتــوــجــهــ مــلــكــاـ عــلــيــنــاـ،ــ فــإــنــهــ لــيــرــىــ أــنــ قــدــ ســلــبــتــهــ مــلــكــاـ أــشــرــفــ عــلــيــهـ~.

## عــفــوــ رــســوــلــ اللهــ (صــ)

وــكــانــ النــبــيــ (صــ)ـ وــأــصــحــابــهــ يــعــفــونــ عــنــ الــمــشــرــكــيــنــ وــأــهــلــ الــكــتــابــ،ــ كــمــاـ أــمــرــهــ اللــهــ تــعــالــىــ،ــ وــيــصــبــرــوــنــ عــلــىــ الــأــذــىــ،ــ  
قــالــ اللــهــ عــزــوــجــلــ:ــ (وــلــتــســمــعــنــ مــنــ الــذــينــ أــوــثــوــاـ الــكــتــابــ مــنــ قــبــلــكــ وــمــنــ الــذــينــ أــشــرــكــوــاـ أــذــىــ كــثــيرــاـ وــإــنــ تــصــيــرــوــاـ وــتــنــفــوــاـ)

فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَرْمَ الْأُمُورِ) (٩٤).

وقال تعالى: (وَدَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً) (٩٥) إلى قوله تعالى:  
(فَاعْفُوا وَاصْفُحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ يَأْمُرُهُ) (٩٦).

وكان النبي (ص) يأخذ بالغفو ما أمره الله حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله (ص) بدرأ فقتل الله  
صناديد كفار قريش قال ابن أبي ومن معه من المشركين عبادة الأوثان: هذا أمر قد توجه، فباعوا رسول الله  
(ص) وأسلموا.

## تحويل القبلة

وصلى رسول الله (ص) إلى بيت المقدس ثلاثة عشر سنة بمكة وبسبعة عشر شهراً بالمدينة، وكان يعجبه  
أن تكون قبلته الكعبة تخلصاً من تعبير اليهود، فحوال الله القبلة إليها، والنبي (ص) مع المسلمين في الصلاة،  
فتحوالوا إلى الكعبة المكرمة.

فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صلّيت مع النبي  
(ص) قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت.

وذلك بينما الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاءهم رجل فقال: إن النبي (ص) قد أنزل عليه الليلة  
قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، لا فاستقبلوها، وكان وجه الناس إلى الشام فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة.  
وكان في جعل القبلة إلى بيت المقدس ثم تحويلها إلى الكعبة حكم عظيمة وفتنة وامتحان للمسلمين  
والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين.

فأما المسلمين فقالوا: (سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا) (٩٧)، وقالوا: (آمَّا يَهُ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) (٩٨)، وهم الذين هداهم  
الله ولم تكن كبيرة عليهم.

وأما المشركون فقالوا: كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا.  
واما اليهود فقالوا: خالف قبلا الأنبياء.

وأما المنافقون فقالوا: ما يدرى محمد أين يتوجه، إن كانت القبلة الأولى حقاً فقد تركها، وإن كانت الثانية  
هي الحق فقد كان على باطل.

وكثرت أقاويل السفهاء من الناس، وكانت كما قال الله: (وَإِنْ كَانَتْ لِكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الدَّيْنِ هَدَى اللَّهُ) (٩٩)  
وكان فتنة من الله امتحن بها عباده ليرى من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، فأنزل الله جواب السفهاء:

٩٤ - آل عمران: ١٨٦.

٩٥ - البقرة: ١٠٩.

٩٦ - البقرة: ١٠٩.

٩٧ - البقرة: ٢٨٥.

٩٨ - آل عمران: ٧.

٩٩ - البقرة: ١٤٣.

(...قُلْ لِلَّهِ الْمَسْرُقُ وَالْمَغْرُبُ يَهُدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (١٠٠).

## صلاة الاستسقاء

وفي شهر رمضان المبارك سنة ست من الهجرة النبوية المباركة صلى رسول الله (ص) بالناس صلاة الاستسقاء بكيفيتها الخاصة، فلما قضى صلاته جثا على ركبتيه ورفع يديه نحو السماء ثم كبر وقال: (اللهم اسقنا وأغثنا) إلى آخر الدعاء المأثور.

فما أن تم دعاءه (ص) حتى أمطرت السماء عليهم مطراً غزيراً وصارت المدينة والسحب عليها كالفسطاط.

عندما تبسم رسول الله (ص) وقال: اللهم در أبي طالب، لو كان حياً قررت عيناه، من الذي ينشدنا قوله؟

فقام علي بن أبي طالب (ع) وقال: يا رسول الله كأنك أردت:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه\*\*\* ثم اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم\*\*\* فهم عنده في نعمة وفواضل

كذبتم وبيت الله نبزى محمداً\*\*\* ولما نقاتل دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله\*\*\* ونذهب عن أبنائنا والحانل

فقال رسول الله (ص): أجل. فقام عندها رجل من كناته وقال:

لك الحمد والشكر من شكر\*\*\* سقينا بوجه النبي المطر

وكان كما قاله عم\*\*\* أبو طالب أبيض ذو غرر

به الله يسقي صوب الغمام\*\*\* وهذا العيان لذاك الخبر

فقال رسول الله (ص): إن يك شاعراً أحسن فقد أحسنت.

ثم استمرت السماء تهطل عليهم حتى جاءوا وقالوا: يا رسول الله ادع الله تعالى أن يصرفها عنا، فرفع يديه

وقال: (حوالينا ولا علينا، اللهم على رفوس الظراب، ومنابت الشجر، وبطون الأودية، وظهور الأكام).

فتقصدت عن المدينة، تمطر مراعيها ولا تمطر فيها قطرة.

## فصل

# في غزوته وسراياه (ص)

### الإذن في الحرب الدفاعية

ولما استقر رسول الله (ص) بالمدينة كما تقدم، وأيدَه الله بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم، فمنعه أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى من أنفسهم، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، ففرض الله على المسلمين القتال - بعد ذلك - لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم، فقال تعالى: (وَقَاتَلُوكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) (١٠١).

### آداب وسنن

وكان (ص) يستحب القتال أول النهار كما يستحب الخروج للسفر أوله، فإذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر.

وكان بيايع أصحابه في الحرب على أن لا يفروا، وربما بایعهم على الموت، وبایعهم على الجهاد، كما بایعهم على الإسلام، وبایعهم على الهجرة قبل الفتح، وبایعهم على التوحيد والتزام طاعة الله ورسوله. وبایع (ص) نفراً من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً، فكان السوط يسقط من يد أحدهم فينزل فيأخذه ولا يقول لأحد ناولني إياه.

وكان (ص) يشاور أصحابه في الجهاد ولقاء العدو وتخير المنازل.  
وفي حديث: ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله (ص).

وكان (ص) يختلف في ساقتهم في المسير فيزجي الضعيف ويردف المنقطع، وكان أرفق الناس بهم في السير.

وكان (ص) إذا أراد غزوة ورَى بغيرها ليقل القتل، وكان يبعث العيون يأتونه بخبر عدوه، ويطلع الطائع

وبيث الحرس.

وكان (ص) إذا لقى عدوه وقف ودعا واستنصر، وأكثر هو وأصحابه من ذكر الله، وخفضوا أصواتهم.

وكان (ص) يرتب الجيش والمقاتلة، ويجعل في كل جنبة كفواً لها.

وكان (ص) يبارز بين يديه بأمره.

وكان (ص) يلبس للحرب عدة، وربما ظاهر بين درعين.

وكان (ص) له الأولوية.

وكان (ص) إذا ظهر على قوم أقام بعرصتهم ثلاثة ثم فقل.

وكان (ص) يستحب للرجل أن يقاتل تحت راية قومه.

وكان (ص) إذا لقى العدو يقول: (اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وزلزلهم، اللهم أنزل نصرك، اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أقاتل).

وكان (ص) إذا اشتدَّ البأس وحمى الحرب وقصده العدو يعلم بنفسه ويقول: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب).

وكان (ص) إذا اشتدَّ البأس اتقوا به، كما قال علي (ع) في نهج البلاغة: (كنا إذا احمرَّ البأس اتقينا برسول الله (ص)، فلم يكن أحد أقرب مَنْ إلى العدو منه).

وكان (ص) أقربهم إلى العدو.

وكان (ص) يجعل لأصحابه شعاراً في الحرب ورمزاً يعرفون به إذا تكلموا.

وكان (ص) ينهى عن قتل النساء والولدان والشيوخ ونحوهم.

وكان (ص) إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله ويقول: (سيروا بسم الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا، ولا تغدوا، ولا تقتلوا ولدوا).

وكان (ص) ينهى عن السفر بالقرآن إلى أرض العدو - ولعله حتى لا يقع القرآن في أيديهم فيبيحوا حرمته -.

وكان (ص) يأمر أمير سريته أن يدعو عدوه قبل القتال إما إلى الإسلام والهجرة، أو الإسلام دون الهجرة ويكونوا كأعراب المسلمين ليس لهم في الفيء نصيب، أو بذل الجزية، فإن أجابوا إليه قبل منهم، وإن استعن بالله وقاتلهم.

وكان (ص) إذا ظفر بعدوه أمر منادياً فجمع الغنائم كلها، فبدأ بالأسلاب فأعطها لأهلها، ثم أخرج خمس الباقى فوضعه حيث أراه الله وأمر به: من مصالح المسلمين، ثم يرضخ من الباقى لمن لاسهم له من النساء والصبيان والعبيد، ثم يقسم الباقى بالسوية بين الجيش: للفارس ثلاثة أسهم له سهم وسهمان لفرسه، وللراجل سهم.

وكان (ص) يسوّي بين الضعيف وغيره في القسمة ما عدا النفل.

## النبي (ص) وانقسام الكفار عليه

ولما قدم رسول الله (ص) إلى المدينة، وأرسى فيها قواعد الإسلام صار الكفار معه على ثلاثة أقسام:

قسم: صالحوه على أن لا يحاربوه ولا يظاهروه عليه.

وقسم: حاربوه ونصبوا له العداوة.

قسم: تاركوه واتخذوا موقف الحياد فلم يصالحوه ولم يحاربوه، بل انتظروا ما ينتهي إليه أمره، وما يكون مصيره، وكان بين هؤلاء من يحب ظهوره وانتصاره باطناً، وإن لم يعلن بذلك.

## أول سرية في الإسلام

وحيث أن مشركي قريش قد نصبوا الحرب لل المسلمين، وصادروا في مكة الأموال المنقوله وغير المنقوله لل المسلمين الذين هاجروا إلى المدينة، وحاولوا أيضاً فرض حصار اقتصادي وسياسي على المدينة نفسها ليعرقلوا مسيرة النبي (ص) التقدمية، ويصدوا زحف المسلمين وانتشار الإسلام من المدينة إلى غيرها من المناطق الأخرى، فكر النبي (ص) - بعد أن أذن الله له بمحابة المشركين عسكرياً - في أن يكسر جبروت المشركين، ويفك حصارهم، ويرغمهم على إعادة النظر في مواقفهم العدائية تجاه الإسلام والمسلمين. فرأى أن يتعرض لهم بتهديدهم، وذلك ببعث السرايا إليهم، أو غزوهم بنفسه (ص)، علمًا بأن الغزوة فرقها مع السرية هو: ان الغزوة كان يشترك فيها رسول الله (ص) بنفسه، دون السرية، فإنه كان يؤمر عليها أحداً من المسلمين.

وكانت الغزوات - على رواية - تعد (٢٧) غزوة، بينما السرايا بلغت (٦٦) سرية.

وأول سرية بعثها رسول الله (ص) في هذا المجال كانت بعد مضي ثمانية أشهر من الهجرة النبوية المباركة، فقد عقد (ص) اللواء لعمه حمزة بن عبدالمطلب وأمره على ثلاثين رجلاً من المهاجرين ممن تحمل الأذى والتعذيب القاسي من مشركي مكة، وممن صودرت أمواله على أيديهم، ويعنهم إلى سواحل البحر الأحمر، فالتقوا هناك في (العيص) من أرض جهينة بأبي جهل وهو في مائة وثلاثين راكباً من أهل مكة في قافلة تجارية، فاصطف الفريقيان للقتال، فجز بينهما (مجدي بن عمرو الجهي) وكان موادعاً للفريقيين جميعاً، فانصرف القوم بعضهم عن بعض، ولم تقع مناورات بينهم.

## سرية عبيدة بن الحارث

وكانت هذه السرية متزامنة مع سرية حمزة بن عبدالمطلب، فقد عقد رسول الله (ص) اللواء لعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبدمناف في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل (تيبة المرة).

فلاقى بها أباسفيان بن حرب في مائتين من أهل مكة، وكانت بينهم الرماية دون أن يقع قتال بينهم، غير أنه التحق بالمسلمين رجلان ممن خرج مع المشركين كانوا قد أسلماً من قبل إلا أنهما لم يتمكنا من الالتحاق بالمسلمين، فجعلوا ذلك وسيلة للالتحاق بهم والتخلص من المشركين وهما: المقداد بن عمرو البهرياني، وعتبة بن غزوان المازني.

## سرية سعد

وفي شهر ذي القعدة في السنة الأولى من الهجرة النبوية المباركة بعث رسول الله (ص) سرية ثالثة تتشكل من تسعه رجال من المهاجرين يرأسهم سعد بن أبي وقاص، ليحرسوا المشركين في تحركاتهم التجارية، فخرجوا حتى بلغوا موضعًا يقال له: (الخرار) من أرض الحجاز، فلم يلقو كيداً ورجعوا إلى المدينة.

## غزوَةُ الأَبْوَاءِ

وفي شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة النبوية المباركة، أي: على رأس اثنى عشر شهراً من مقدم رسول الله (ص) إلى المدينة خرج (ص) مع جماعة من أصحابه بعد أن عقد اللواء لعلي بن أبي طالب (ع) واستعمل على المدينة سعد بن عبادة حتى بلغ ودان - وهي غزوَةُ الأَبْوَاءِ - يزيد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كناثة، فوادع فيها بني ضمرة، وعقد تلك المعاهدة معه سيد بنى ضمرة (مخشى بن عمرو الضمرى) وكان سيدهم في زمانه ذلك.

ثم رجع رسول الله (ص) إلى المدينة ولم يلق كيداً، فأقام بها بقية صفر وصدرأ من ربيع الأول.

## غزوَةُ بَوَاطِ

ثم خرج رسول الله (ص) في أواسط ربيع الأول من السنة الثانية من الهجرة النبوية المباركة في مائتين من أصحابه، وذلك بعد أن استعمل على المدينة السائب بن مظعون، وقيل: سعد بن معاذ، يزيد (ص) قريشاً حتى بلغ (بَوَاطِ) من ناحية رضوى<sup>(١٠٢)</sup>، فلم يظفر بقاقة قريش التي كان على رأسها (أميمة بن خلف) في مائة رجل من المشركين.

ثم رجع (ص) إلى المدينة ولم يلق كيداً، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادي الأولى.

## غزوَةُ ذاتِ الْعَشِيرَةِ

ثم في أواسط شهر جمادي الأولى خرج رسول الله (ص) من المدينة، وقد حمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وذلك في مائة وخمسين من أصحابه، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها وي تعرضون عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام، وكان قد جاءه الخبر بفصولها مع أبي سفيان من مكة، وفيها أموال لقريش، حتى بلغ (ص) (ذات العشيرة) فبلغ الخبر بأنَّ العير قد فاتته بأيام، وهذه هي التي وعده الله إياها، أو ذات الشوكة، ووفى له بوعده، وفيها وادع بنى مدلج وعقد معهم معاهدة عدم اعتداء.

---

<sup>١٠٢</sup> - بقرب ينبع على بعد ما يقارب تسعين كيلو متراً من المدينة.

وفي هذه الغزوة نزل رسول الله (ص) بأصحابه عند عين، فنام علي (ع) وعمار هناك في دقعاء من التراب، فأيقظهما رسول الله (ص) وحرّك علياً (ص) فقال له: قم يا أبا تراب - سماه (ص) بذلك لما عليه من التراب - ثم قال: ألا أخبرك بأشقي الناس؟ أحمر ثمود عاشر الناقة، والذي يضررك يا علي على هذه، ووضع رسول الله (ص) يده على رأسه الشريف، حتى يبل منها هذه، ووضع (ص) يده على لحيته الكريمة.

وأراد رسول الله (ص) بهذه الغزوات:

**أولاً:** التحالف مع العشائر.

**وثانياً:** ارهاب قريش، لما سبق من انهم فرضوا حصاراً اقتصادياً على المدينة.

## غزوة بدر الأولى

لما رجع رسول الله (ص) إلى المدينة قادماً من غزوة (ذات العشيرة) لم يبق فيها إلا ليال قلائل لا تبلغ العشر، حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة فاستقه، فخرج رسول الله (ص) في طلبه، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة حتى بلغ وادياً يقال له: (سفوان) في ناحية بدر ففاتته كرز، فرجع رسول الله (ص) إلى المدينة ولم يلق حرباً.

## سرية عبد الله بن جحش

ثم رجع رسول الله (ص) إلى المدينة فآقام بها بقية جمادي الآخرة ورجباً، وفي رجب المذكور بعث عبدالله بن جحش الأنصاري إلى نخلة، وذلك في الثاني عشر رجلاً من المهاجرين كل اثنين يعتقبان على بعض، وقال: كن بها حتى تأتينا بخبر من أخبار قريش، ولم يأمره بقتل، فوصلوا إلى بطن نخلة يرصدون غيراً لقريش.

وكان رسول الله (ص) قد كتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه.

فما فتح الكتاب وجد فيه: (إذا نظرت إلى كتابي هذا فامض حتى تنزل بنخلة بين مكة والطائف فترصد بها غيراً لقريش وتعلم لنا من أخبارهم).

قال لما قرأ الكتاب: سمعاً وطاعة، وأخبر أصحابه بذلك وأنه لا يستكر بهم، فمن أحب الشهادة فليمض معه، ومن كره الموت فليرجع.

فمضوا كلهم حتى إذا نزلوا نخلة مرت بهم غير لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة، فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان مولى بنى المغيرة.

فتشاور المسلمون فيهم وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب الشهر الحرام، فإن قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم، ثم أجمعوا على ملاقاتهم، فرمى أحدهم وهو واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي فقتله، وأسرعوا عثمان والحكم، وأفلت نوفل فأعجزهم، ثم قدموا بالغير والأسيرين إلى المدينة.

## الشهر الحرام والقتال فيه

فَلَمَا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) قَالَ: مَا أَمْرَتُكُم بِقَتْلٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَتَوَقَّفُ عَنْ تَأْيِيْدِهِمْ وَامْضَاءِهِمْ عَلَيْهِمْ، وَانْتَظِرُ تَأْيِيْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَامْضَائَهِ لَهُمْ عَبْرَ أَمِينٍ وَحَيْيَهِ جَبَرِيلَ (ع)، وَذَلِكَ لِأَهْمَيَّةِ الْمَسَالَةِ.

فَلَمَّا تَوَقَّفَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَنِ اسْتِلَامِ الْعِيرِ وَالْأَسْيَرِيْنَ وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا وَهُوَ بِانتِظَارِ الْوَحْيِ، أَسْقَطَ فِي أَيْدِيِّ الْقَوْمِ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قُدْمَوْا، وَعَنْهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ.

وَاشْتَدَّ تَعْتِيْتُ قَرِيْشٍ وَإِنْكَارِهِمْ ذَلِكَ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ وَجَدُوا مَقَالًا وَقَالُوا: قَدْ اسْتَحْلَمَ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ.

وَتَفَاعَلَتِ الْيَهُودُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) بِذَلِكَ فَقَالُوا: عُمَرُ بْنُ الْحَضْرَمِيُّ قَتَلَهُ وَأَقْدَبْنَا عَلَيْهِهِ عَذَابَ اللَّهِ، (عُمَرُ): عُمِرَتِ الْحَرَبُ، وَ(الْحَضْرَمِيُّ): حَضَرَتِ الْحَرَبُ، وَوَاقَدْ: وَقَدْتِ الْحَرَبُ، فَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ، فَأَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ:

(يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قَتَالٌ فِيهِ قُلْ قَتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفُرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ) (١٠٣).

## بُوادر النصر

فَلَمَّا نُزِّلَ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ انْحَسَمَتِ الْمَسَالَةُ وَانْقَطَعَ النِّزَاعُ فِيهَا، فَقَدْ فَرَجَ اللَّهُ عَنِ الْمُسْلِمِيْنَ، وَاسْتَلَمَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) الْعِيرُ وَمَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالٍ وَقَسَمَهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِيْنَ، وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلْ غَنِيمَةً لِلْمُسْلِمِيْنَ، وَأَوَّلْ انتِصَارٍ سَجَّلَهُ الْمُسْلِمُوْنَ عَلَى الْمُشْرِكِيْنَ بَعْدِ خَمْسَةِ عَشَرِ عَامًا سَجَّلَ الْمُشْرِكُوْنَ فِيهَا كُلَّ مَا اسْتَطَاعُوهُ مِنْ ظُلْمٍ وَتَعْذِيبٍ، وَتَشْرِيدٍ وَتَهْجِيرٍ، وَنَهْبٍ وَسَلْبٍ، وَضَغْطٍ وَكَبْتٍ.

وَأَمَّا الْأَسْيَرِيْنَ: فَأَرْسَلَتْ قَرِيْشٌ فِي فَدَائِهِمَا، وَحِيثُ كَانَ رِجَالُهُمْ مِنْ هَذِهِ السَّرِيْرَةِ قَدْ أَسْرَتَهُمَا قَرِيْشٌ أَيْضًا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) لِمَوْفِدِهِ: لَنْ نَفْدِيْهُمَا حَتَّى يَقْدِمُ صَاحْبَانَا، إِنَّا نَخَافُ عَلَيْهِمَا.

فَأَطْلَقَتْ قَرِيْشٌ سَرَاحَ الْأَسْيَرِيْنَ وَمَعَ وَصْوَلِهِمَا إِلَى الْمَدِيْنَةِ أَطْلَقَ سَرَاحَهُمَا.

فَأَمَّا أَحَدُ الْأَسْيَرِيْنَ وَهُوَ: الْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ فَأَسْلَمَ وَحْسَنَ إِسْلَامَهُ، وَأَقامَ عَنْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ بَئْرِ مَعْنَةَ.

وَأَمَّا الثَّانِي وَهُوَ: عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَلْحَقِ بِمَكَّةَ، فَمَاتَ بِهَا كَافِرًا.

فَلَمَّا تَجَلَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَأَصْحَابِهِ مَا كَانُوا فِيهِ حِينَ نُزِّلَ الْقُرْآنُ طَمَعُوا فِي الْأَجْرِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ تَكُونَ لَنَا غَزْوَةٌ نُعْطِي فِيهَا أَجْرَ الْمُجَاهِدِيْنَ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ) (١٠٤).

١٠٣ - البقرة: ٢١٧.

١٠٤ - البقرة: ٢١٨.

## سرية عمر بن عدي

ولما خلت من شهر رمضان خمس ليالى وعلى رأس تسعه عشر شهراً من الهجرة النبوية المباركة كانت سرية عمر بن عدي، إلى عصماء بنت مروان اليهودي، أم المنذر بن المنذر، وكانت عصماء تعيب المسلمين، وتؤذى رسول الله (ص) وتمشي في مجالس الأوس والخزرج وتقول شعراً تحرض عليه، والشعر يؤثر أثره في اظهار الضغائن وأشاره الحروب آنذاك، وقد قال تعالى: (أَذْنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ يَا نَهْمُ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِ لَقَدِيرٌ) (١٠٥).

فَلَمَّا نَفَدَ عَمِيرَ مَهْمَتَهُ أَتَى فَصْلَى الصَّبَحِ مَعَ النَّبِيِّ (ص) بِالْمَدِينَةِ وَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلَى كَتْفِهِ وَقَالَ: هَذَا رَجُلٌ نَصَرَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ، أَمَا إِنَّهُ لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانٌ، كُنْيَةٌ عَنْ أَنَّهُ لَا يَنْتَازُ مِنْ أَجْلِهِ أَحَدٌ، وَكَانَ ذَلِكَ.

## غزوَةُ بَدْرِ الْكَبْرِيِّ

ولما عادت سرية عبدالله بن جحش إلى المدينة في شهر شعبان، أمضى رسول الله (ص) بعده في المدينة بقية شهر شعبان وشيناً من شهر رمضان، ثم وصله (ص) خبر رجوع قافلة قريش التي كان فيها أبو سفيان عائدة من الشام فخرج إليها مع أصحابه. وكان خروجهم يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، على رأس تسعه عشر شهراً، وقيل: لثمان خلون منه.

واستخلف (ص) على المدينة أبا لبابة، وعيّن للصلة بالناس عبدالله بن أم مكتوم، وخرج معه الأنصار، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه، وكانت من غير قصد من المسلمين إليها ولا ميعاد، كما قال تعالى: (وَلَوْ تَوَاعَدُوهُمْ لَاخْتَلَقُوكُمْ فِي الْمَيَادِ) (١٠٦).

وذلك أنَّ رسول الله (ص) بلغه خبر العير المقبلة من الشام مع أبي سفيان في أربعين رجلاً، وفيها أموال عظيمة لقريش، وهي التي خرج إليها عند فصولها من مكة، فلم يدركها، فندب في هذه المرة أصحابه إليها، فخف بعض أصحابه وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنو أن رسول الله (ص) يلقى حرباً.

فخرج (ص) فيهم وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وهم اثنان وثمانون من المهاجرين، ومانة وسبعون من الخزرج، وواحد وستون من الأوس، وكانوا على سبعين بعيراً يعتقبونها، ولم يكن معهم من الخيول إلا فرسان: فرساً للمقداد، وفرساً للزبير بن العوام، فكان رسول الله (ص) وعلي بن أبي طالب (ع) ومرثد بن أبي مرثد الغنوبي على بعير.

فَلَمَّا بَلَغَ أَبَا سَفِيَّانَ مَسِيرَهُ (ص) أَحْجَمَ عَنِ الإِقْرَابِ مِنْ بَدْرٍ وَاسْتَأْجَرَ ضَمْضَمَ بْنَ عُمَرَوْ الْغَفارِيَّ بِعَشْرَةِ دَنَانِيرٍ عَلَى أَنْ يَأْتِي قَرِيشًا بِمَكَةَ فَيُسْتَنْفِرُهُمْ وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ مُحَمَّداً قَدْ اعْتَرَضَ لَعِيرَهُمْ فِي أَصْحَابِهِ.

١٠٥ - الحج: ٣٩.

١٠٦ - الأنفال: ٤٢.

فنهضوا مسرعين في قریب من ألف مقاتل، ومعهم مائة فرس وسبعيناً بغير، ولم يختلف أحد من أشرافهم، إلا أبو لهب وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة كان له دين بذلك، وحشدوا فيمن حولهم من العرب، ولم يختلف من بطون قريش سوى عدي بن كعب.

وخرجوا من ديارهم كما قال الله تعالى: (بَطْرًا وَرَنَاءَ النَّاسِ) (١٠٧) وقالوا: أيظنَّ مُحَمَّدَ وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟ فخرجوا سراعاً وأخرجوا معهم القيان يشربون الخمور، ويضربون بالدفوف.

## إلى وادي ذفران

وأقبل رسول الله (ص) فيمن خف معه من أصحابه قاصداً وادي ذفران، وقد عقد رايتهن جعل إحداهما مع مصعب بن عمير، والأخرى - وتسمى العقاب - مع علي بن أبي طالب (ع) وسلك طريقه من المدينة إلى ذفران ومنه إلى بدر على نقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفة، ثم على اولات الجيش، ثم على تربان، ثم على ملل، ثم على غميس الحمام، ثم على صخرات البمام، ثم على السيالة، ثم على فج الروحاء، ثم على شنوكة، حتى إذا كان بعرق الظبية لقوا رجلاً من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً.

ونزل رسول الله (ص) سجسج وهي بئر الروحاء، ثم ارتحل منها حتى إذا كان بالمنصرف ترك طريق مكة يساراً وسلك ذات اليمين على النازية ي يريد بدرأ، فسلك في ناحية منها حتى جزع وادياً يقال له: رحجان، بين النازية وبين مضيق الصفراء، ثم علا المضيق ثم انصب به، حتى إذا كان قريباً من الصفراء بعث بسيس بن عمرو الجهي حليفبني ساعدة، وعدي بن أبي الزغباء الجهي حليفبني النجار يتجمسان الأخبار عن أبي سفيان وعيره، ثم رحل (ص) وأخذ ذات اليمين على وادي ذفران وجزع، ثم نزل ذفران.

## النبي (ص) يستشير أصحابه

ولما نزل (ص) بأصحابه ذفران أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، ونزل عليه جبرائيل فأخبره بأن العير قد أفلتت، وإن قريشاً قد أقبلت لمنع عيرها وأمره بالقتال.

فاستشار أصحابه في ذلك وأخبرهم عن قريش وخروجهم إليهم، فقام المقداد بن الأسود وقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبْكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (١٠٨) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغمام - وهو موضع باليمين - لجالتنا معك من دونه حتى تبلغه، ولو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشكوك الهراس لخضناه معك.

فقال له رسول الله (ص) خيراً ودعا له بخير.

ثم قال رسول الله (ص): أشيروا على أيها الناس، وإنما يريد الانتصار، ثم أعادها ثانية وثالثة، ففهمت

١٠٧ - الأنفال: ٤٧.

١٠٨ - المائدة: ٢٤.

الأنصار انه يعنيهم، فقام سعد بن معاذ الأنباري وقال: لكانك يا رسول الله ترينا؟  
فقال النبي (ص): أجل.

قال سعد: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنما قد آمنت بك وصدقاك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق من عند الله، وأعطيتك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فهو الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوتنا غداً، إنما لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، لعل الله يريك مما تقر به عينك، فسر على بركة الله، وصل من شئت، واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت.  
فسر رسول الله (ص) بقول سعد، وشكراه والأنصار على ذلك.

ثم قال (ص): سيروا على بركة الله وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده، والله لكاني أنظر إلى مصاريق القوم، ثم ارحل (ص) بهم ونزل قريباً من بدر.

## استطلاع أخبار قريش

ولما نزل (ص) بأصحابه قريباً من بدر، ركب هو ورجل من أصحابه حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم.  
فقال: لا أخبركم حتى تخبراني من أنتما.  
فقال له رسول الله (ص) إذا أخبرتنا أخبرناك.  
قال: أو ذاك بذلك؟  
قال: نعم.

قال: فإنه بلغني أنَّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - المكان الذي به رسول الله (ص) - وبلغني أنَّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، المكان الذي به قريش، فلما فرغ من خبره قال: من أنتما?  
فقال رسول الله (ص): نحن من ماء، ثم انصرف عنه ورجع إلى أصحابه.

فإذا أمسى بعث جماعة إلى ماء بدر يتلمسون الخبر، فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بنى الحاج وعريض بن يسار غلام بنى العاص بن سعيد فأتوا بهما فسألوهما لمن أنتما؟ ورسول الله (ص) قائم يصلي.  
فقالا: نحن سقاة قريش، بعثونا نسقيهم من الماء.

ففرأ القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان، فضربوهما حتى قالا إنهم لأبي سفيان فتركوهما، وذلك على عادتهم في الجاهلية حيث كانوا يأخذون الإعتراف بالتعذيب، فنهى الإسلام عنه نهياً باتاً وحرمه أشد تحريم، وجعل الإعتراف المأمور بالتعذيب كالعدم، ولذا نرى أنَّ رسول الله (ص) انفتل من صلاته والتفت إلى أصحابه معتراضاً عليهم وقال: إذا صدقكم ضربتموهما، وإذا كذبتم ترکتموهما؟ صدقاً والله، إنهم لقريش.  
ثم التفت إليهما وقال: أخبراني عن قريش.

قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، والكثيب: التل من الرمل.

فقال لهم رسول الله (ص): كم القوم؟

قالا: كثير.

قال (ص): ما عدتم؟

قالا: ما ندرى.

قال (ص): كم ينحرون كل يوم؟

قالا: يوماً تسعًا ويوماً عشرًا.

قال رسول الله (ص): القوم ما بين التسعين والألف.

ثم قال (ص) لهم: فمن فيهم من رؤوس قريش؟

قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبوجهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه أبا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو.

فأقبل رسول الله (ص) على الناس فقال: هذه مكة قد ألت إليكم أفالذ كبدها.

## هروب أبي سفيان

وخفض أبو سفيان فلحق بساحل البحر، ولما رأى أنه قد نجا وأحرز العير كتب إلى قريش يخبرهم بهروبهم وسلامة العير، فأتاهم الخبر وهم بالجحفة فهموا بالرجوع، فقال أبو جهل: والله لارجع حتى نقدم بدرًا فنقيم به، فنتحر الإبل ونطعم من حضرنا من العرب الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف لنا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فتخافنا بعد ذلك.

وأشار الأحسن بن شريق عليهم بالرجوع فعصوه، فرجع هو وبنو زهرة، فلم يشهد بدرًا زهري قط، فاغتبطت بنو زهرة بعد برأي الأحسن، فلم يزل فيهم مطاعاً معظماً، وكان حليفاً لهم.

## ليلة بدر

ولما كانت ليلة بدر وهي ليلة السابع عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية من الهجرة المباركة انتدب رسول الله (ص) أصحابه، وقد نزل بهم قريباً من بدر إلى الماء فسكنوا وأحجموا عن ذلك، فانتدب علياً (ع) فخرج، وكانت ليلة باردة ذات ريح وظلمة، فخرج (ع) بقربته، فلما كان إلى القليب لم يجد دلواً، فنزل في الجب تلك الساعة فملأ قربته ثم أقبل فاستقبلته ريح شديدة، فجلس حتى مضت، ثم قام، ثم مرت به أخرى، فجلس حتى مضت، ثم قام، ثم مرت به أخرى، فجلس حتى مضت، ثم قام، فلما جاء إلى النبي (ص) قال له: ما حبك يا أبا الحسن؟

قال: لقيت ريحًا، ثم ريحًا شديدة، فأصابتني قشعريرة.

قال: أتدري ما كان ذاك يا علي؟ كان ذلك جبرئيل في ألف من الملائكة، وقد سلم عليك وسلموا، ثم مرّ

ميكائيل في ألف من الملائكة فسلم عليك وسلموا، ثم مر إسرافيل في ألف من الملائكة فسلم عليك وسلموا، وهم مدد لنا.

وإليه أشار السيد الحميري في قصيده المعروفة يمدح بها علياً (ع) ويقول:

اقسم بالله والآله \*\*\* والماء قال مسؤول  
ان علي بن أبي طالب \*\*\* على التقى والبر مجبول  
كان إذا الحرب مرتها القنا \*\*\* وأحجمت عنها البهالي  
يمشي إلى القرن وفي كفه \*\*\* أبيض ماضي الحَ مصقول  
مشي العفرنا بين اشباله \*\*\* أبرزه لقنص الغيل  
ذاك الذي سلم في ليلة \*\*\* عليه ميكال وجبريل  
ميكال في ألف وجبريل \*\*\* في ألف ويتوهم سرافيل  
ليلة بدر مددًا أُنْزِلوا \*\*\* كأنهم طير أبابيل

## التشاور يهدي إلى التفوق

ثم سار رسول الله (ص) حتى نزل مياه بدر، وكانت منطقة بدر واسعة، جنوبها العدوة القصوى، وشمالها العدوة الدنيا، وفيها عدة آبار وعيون للماء، تنزل فيها القوافل.

فسبق رسول الله (ص) قريشاً إلى بدر، ومنع قريشاً من السبق إليه مطر عظيم أرسله الله تعالى مما يليهم ولم يصب منه المسلمين إلا ما لبّد لهم دهس الوادي وأعانهم.

ولما نزل (ص) مياه بدر مما يلي المدينة أتاه الحباب بن المنذر بن عمرو بن الجموح فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل هو منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي في الحرب؟ فقال (ص) في جوابه: بل هو الرأي.

قال: يا رسول الله (ص) إن هذا ليس بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه فيكون الماء في متناولنا فشرب ونروى.

فاستحسن رسول الله (ص) هذا الرأي وفعله، فكان سبباً من أسباب تفوقهم على المشركين. ومشى رسول الله (ص) بعد أن استقرّ هو وأصحابه في مواقعهم على موضع الواقعة فعرض على أصحابه مصارع رؤوس الكفر من قريش مصرعاً وهو يقول: هذا مصرع فلان إن شاء الله، وهذا مصرع فلان إن شاء الله، وهكذا.

## الجمعان يلتقيان

وفي صبيحة اليوم السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة النبوية المباركة انحدر المشركون من وراء الكثيب إلى وادي بدر، فلما رأهم رسول الله (ص) ينحدرون من وراء الكثيب الذي جاءوا

منه إلى الوادي رفع يديه بالدعاء وقال:

(اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيانتها وفخرها، تحادك وتکذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتنى به، اللهم أخنهم الغداة) ثم عبأ رسول الله (ص) أصحابه وقال: غضوا أبصاركم، ولا تبدوا لهم بالقتال، ولا يتکملن أحد. فلما نزل المشركون الوادي أقبل نفر منهم حتى وردوا حوض رسول الله (ص) فأراد بعض أن يمنعهم. فقال رسول الله (ص): دعوه، فشربوا منه.

وقال أبو جهل لما رأى قلة المسلمين وبساطة أسلحتهم: ما هم إلا أكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيداً لأخذوه أخذًا باليد.

قال عتبة بن ربيعة: أترى لهم كميناً ومدداً؟

فبعثوا عمرو بن وهب الجمحى وقلوا له: احزر لنا أصحاب محمد، وكان فارساً شجاعاً، فجال بفرسه حول العسكر، ثم صعد في الوادي وصوب ثم رجع إلى قريش فقال: ثلاثة يزيدون قليلاً أو ينقصونه، ولكن أمهلوني حتى أنظر القوم كمین أو مدد، فضرب في بطون الوادي حتى أبعد فلم ير شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما رأيت شيئاً، ولكني قد رأيت يا معاشر قريش البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، أما ترونهم خرس لا يتکلمون، يتلمسون تلمس الأفاعي، إنهم قوم ليس لهم منعة إلا سيفهم، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك؟ فارتاؤ رأيك.

فأذا سمع حكيم بن حرام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فأشار عليه أن يرجع الناس ولا يكون بينهم حرب، فوافقه عتبة بن ربيعة، وقام عتبة في الناس خطيباً وأشار عليهم بالرجوع، فأبى أبو جهل ذلك وساعدته عليه المشركون.

## بواحد الهزيمة في المشركين

ولما كان من دأب الإسلام وسيرة رسوله العظيم (ص) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام)، أن لا يبدأوا أحداً بالقتال، لذلك بعث رسول الله (ص) إلى قريش من يقول لهم: يا معاشر قريش ما أحد أبغض إلى من أن أبدأ بكم، فخلوني والعرب، فإن أك صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً، وإن أك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري فارجعوا. فقال عتبة: والله ما أفح قوم قط ردوا هذا.

ثم ركب جملًا له أحمر، فنظر إليه رسول الله (ص) يجول في العسكر وينهى عن القتال، فقال (ص): إن يكن عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشدوا.

فأقبل عتبة يقول: يا معاشر قريش اجتمعوا واسمعوا، ثم خطبهم فقال: يمن مع رحب، ورحب مع يمن، يا معاشر قريش أطيعوني اليوم، واعصوني الدهر، وارجعوا إلى مكة واسربوا الخمور، وعائقوا الحور، فإنَّ محمداً له إلَّا وذمة وهو ابن عَمِّكم، فارجعوا ولا تردو رأيي، وإنما تطالبون محمداً بالغير التي أخذها بنخلة ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعلى عقله.

فأذا سمع أبو جهل ذلك غاظه وقال: إن عتبة أطول الناس لساناً وأبلغهم في الكلام، ولئن رجعت قريش بقوله ليكون سيد قريش إلى آخر الدهر.

ثم قال: يا عتبة نظرت إلى سيف بنى عبدالمطلب وجبنت، وتأمر الناس بالرجوع؟ فأخذ عتبة بشعره، وكان أبو جهل على فرس، فقال الناس: يقتله، فعرقب فرسه فقال: أمثلي يجبن؟ وستعلم قريش اليوم أينما الأئم والأجيال، وأينما المفسد لقومه، لا يمشي إلا أنا وأنت إلى الموت عياناً، ثم أخذ بشعره يجره.

فاجتمع الناس إليه وقالوا: يا أبا الوليد لافت في اعتصاد الناس تنهى عن شيء تكون أوله، فخلصوا أبا جهل من يده.

فبعث من فوره إلى عامر أخي عمرو بن الحضرمي الذي قتل بنخلة وقال له: هذا حليفك عتبة يريد أن يرجع بالناس، فقم وانشد خيرتك ودم أخيك. فقام عامر وكشف عن رأسه وصاح: واعمراه، فهاج الناس وأجمعوا على الحرب.

## الحرب: القرار الأخير

ولما انتهى الأمر إلى ما انتهى إليه، نظر عتبة إلى أخيه شيبة وإلى ابنه الوليد وقال لهما: قوماً ثم ليس درعه وطلبوه بيضة تسع رأسه فلم يجدوها لعظم هامته، فاعتذر بعمامتين ثم أخذ سيفه وتقدم هو وأخوه وابنه حتى انفصلوا من الصف ونادوا: ليخرج إلينا أكفاؤنا من قريش.

فخرج إليهم فتية من الأنصار وهم: عوف، ومعوذ، ابن حارث - وأمهما عفراع - وعبدالله بن رواحة. فقالوا: من أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار.

قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال رسول الله (ص): قم يا عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان له سبعون سنة، وقم يا حمزة بن عبدالمطلب، وقم يا علي بن أبي طالب، وكان أصغرهم سنًا، فقاموا بين يدي رسول الله (ص) بسيوفهم. فقال لهم: اطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم، فقد جاءت قريش بخيالها وفخرها تريد أن تطفيء نور الله، (وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتْمِمَ نُورَهُ) (١٠٩).

ثم قال: يا عبيدة عليك بعتبة، ويا حمزة عليك بشيبة، ويا علي عليك بالوليد بن عتبة. فمرروا حتى انتهوا إلى القوم.

قال عتبة: من أنتم انتسبوا حتى نعرفكم؟ فعرفوا أنفسهم.

قالوا: أنتم أكفاء كرام.

فبارز عبيدة - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي (ع) الوليد. فأماماً حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله. وأماماً علي (ع) فلم يمهل الوليد أن قتله.

واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه، فكر حمزة وعلى بأسيافهم على عتبة فدققا عليه، واحتملوا صاحبهم حتى أتيا به رسول الله (ص) وبه رمق، فلما نظر إليه رسول الله (ص) استعبر.

فقال عبيدة: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ألسْت شهيداً؟

فقال (ص): بل أنت أول شهيد من أهل بيتي.

فقال: أما لو كان عمك حياً لعلم اني أولى بما قال.

قال: وأي أعمامي تعنى؟

قال: أبو طالب (ع) حيث يقول:

كذبتم وبيت الله نبزى محمداً\*\*ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله\*\*ونذهل عن أبنائنا والحالثل

فقال له رسول الله (ص): أما ترى ابنه كالليث العادي بين يدي الله ورسوله، وابنه الآخر في جهاد الله  
بأرض الحبشة؟

## جنود الرحمن وجنود الشيطان يتقابلان

واصطف الجيشان وجاء إبليس إلى قريش في صورة سراقة بن مالك فقال لهم: أنا جار لكم ادفعوا إليَّ  
رايكم، فدفعوها إليه وجاء بشياطينه يهول بهم على أصحاب رسول الله (ص) وتزاحف الناس على أثره ودنا  
بعضهم من بعض.

فأمر رسول الله (ص) أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وأن يكتفوا برمي القوم بالنبال حتى لا يقتربوا  
منهم، ثم رفع يده إلى السماء يناديه ربَّه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول:

(اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم فلن تبعد في الأرض أبداً، وإن شئت أن لا تبعد لا تبعد).

فأنزل الله تعالى: (إِذْ تُسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِبْ لَكُمْ أَنَّى مُدْكُمْ يَا لَفِّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) (١١٠) فأمده الله  
بالملاك، حتى سمع الناس قعقة السلاح من الجو، وقائل يقول: اقدم حيزوم، اقدم حيزوم، وكان ذلك جبرئيل  
في ألف من الملائكة مردفين، فلما نظر إبليس إلى جبرئيل تراجع ونكص على عقبيه ورمي باللواء، فأخذ منه  
بن الحاج بمجامع ثوبه ثم قال: ويلك يا سراقة تفتَّ في أعضاد الناس، فركله إبليس ركلة في صدره وقال: اني  
أرى ما لاترون، حيث انه كان يرى جبرئيل يلاحقه بحرابة معه يريد أن يطعنها بها.

## المشركون ينهزمون

ثم حرض رسول الله (ص) الناس على القتال وقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل  
صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة.

فقال عمير بن الحمام أخوبني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهن: بخ بخ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن

يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل (رحمه الله).  
 ثم إن رسول الله (ص) أخذ حفنة من الحصى فاستقبل بها قريشاً ثم قال: شاهت الوجه، ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه فقال: شدوا، فكانت الهزيمة.  
 فقال رسول الله (ص) وقد رفع يديه إلى السماء: (اللهم لا يفلتنَّ فرعون هذه الأمة أبو جهل بن هشام) فقتل فيها مع من قتل من صناديد قريش، وأسر فيها من أسر من رؤوسهم، فكان الذين قتلوا سبعين، والذين أسروا سبعين أيضاً.

## مصير أبي جهل

روي عن بعض من شهد بدر انه قال: إني لواقف يوم بدر في الصف، إذ التفت، فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حدیث السن، فکانی لم آمن بمکانهما، إذ قال لي أحدهما سرًا من صاحبه: يا عم أرني أباجهل.  
 فقلت: يا ابن أخي فما تصنع به؟

قال: أخبرت أنه يسب رسول الله (ص) ثم أردف يقول: والذي نفسي بيده لن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك.

قال: وغمزني الآخر فقال لي مثلاها، فلم أشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟  
 هذا صاحبكم الذي تسألاني عنه.

قال: فابتداه بسيفيهما فضرباه حتى قتله، ثم انصرف إلى رسول الله (ص).  
 فقال (ص): أيّكما قتله؟

قال كل واحد منها: أنا قتنته.

قال: هل مسحتما سيفيكما؟

فالإجابة: لا.

فنظر رسول الله (ص) إلى السيفين فقال: كلاً كلاماً قتله.

وقضى رسول الله (ص) بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموج، والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموج ومعاذ بن عفراء.

وفي رواية: ان معاذ بن عفراء ضرب أباجهل هو وأخوه عوف بن الحارث حتى أثبتاه، فعطف عليهما قتلهما، ثم وقع صريعاً، فدفف عليه ابن مسعود وذلك كما قال: انتهي إلى أبي جهل وهو يتshotط في دمه  
 فقلت: الحمد لله الذي أخرك.

فرفع رأسه فقال: إنما أخزى عبد أم عبد، أخبرني لمن الدائرة اليوم؟  
 قلت: لله ولرسوله (ص)، واني قاتلك، ووضعت رجلي على عاتقه.

قال: لقد ارتقيت مرتفقاً صعباً، أما انه ليس واللات والعزى شيء أشد من قتلك إياي يا رويعي الغنم، إلا تولى قتلي رجل من المطلبيين أو رجل من الأحلاف، فاقتلت بيضة كانت على رأسه فقتله وأخذت رأسه وجنت به إلى رسول الله (ص) فقلت: يا رسول الله البشري هذا رأس أبي جهل، فسجد الله شكرأ.

## لما ألقى الحرب أوزارها

ولما انقضت الحرب أقبل رسول الله (ص) حتى وقف على قتلى المشركين فقال: جزاكم الله من عصابة شرًّا، بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتموني وصدقني الناس، وخدلتمني ونصرني الناس، وأخرجتموني وأواني الناس.

ثم التفت (ص) إلى أبي جهل فقال: إن هذا أعتى على الله من فرعون، إنَّ فرعون لما أيقن بالهلاك وحد الله، وإنَّ هذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى.

ثم أمر بهم فالقو في القليب، فلما ألقوا فيه وقف عليهم وقال: (يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، يا أمية بن خلف، يا أبو جهل بن هشام، وذكر أهل القليب واحداً واحداً، ثم قال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فإني قد وجدتُ ما وعدني ربِّي حقاً).

فقال رجل من الصحابة: أتكلم قوماً موتى؟

فقال (ص): (ما أنت بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني).

ثم دفعوا شهداء المسلمين وكانوا تسعة رجال فيهم سعد بن خيثمة، وكان من النقباء بعد أن صلوا عليهم، ثم صلَّى رسول الله (ص) بالناس صلاة العصر ورحلوا من بدر.

## في طريق العودة

ولما غادر رسول الله (ص) بأصحابه منطقة بدر متوجهًا نحو المدينة حمل معه الأسرى من المشركين وفيهم عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث، وحمل أيضًا معه الغنائم التي اغتنموها، والنفل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبدالله بن كعب بن عمرو بن عوف المازني من بني النجار، حتى إذا كان بالصفراء قسم الغنائم بين أصحابه بالسوية وادخر سهم الشهداء ليسلمها إلى ذويهم.

ثم دخل رسول الله (ص) المدينة مع أصحابه مؤيدًا مظفراً منصوراً قد هاب جاتب المسلمين كلَّ دعوه لهم بالمدينة وحولها، كما وأسلم بشر كثير من أهل المدينة ممن لم يكن أسلم بعد، وحينئذ دخل عبدالله بن أبي رأس المنافقين وأصحابه في الإسلام.

## مع أسرى بدر

ثم انْتَ رسول الله (ص) حين أقبل بالأسرى فرقهم بين أصحابه وقال: استوصوا بالأسرى خيراً..  
فكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسرى، وكان يحمل أحد ألوية قريش، وكان يقول بعد أن أطلق سراحه بالفداء: كنتُ أسيراً في أيدي رهط من الاتنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غدائهم أو عشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر، والخبز عندهم قليل، والتمر زادهم، وذلك

لوصية رسول الله (ص) بنا.

وما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نفخني بها. فاستحي فأردها عليهم، فيردها على ما يمسها، كما انهم كانوا لقلة مراكبهم يحملوننا على ما عندهم من مركب ويمشون هم بأنفسهم.

## مع العباس بن عبد المطلب

ولما جنّ لهم الليل وولي بعض الصحابة وثاق الأسرى فشد وثاق العباس، فسمعه النبي (ص) وهو يئن فلم يأخذه (ص) النوم، فبلغ الأنصار فأطلقوا العباس، فكان الأنصار فهموا رضاء رسول الله (ص) بفك وثاقه، وسألوه أن يتركوا له الفداء، فقالوا: إنذن لنا فلنترك لابن اختنا عباس فداءه. وفي حديث ابن عباس: انه (ص) قال: يا عباس افد نفسك وابني أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عمر.

قال: إني كنت مسلماً، ولكن القوم استكرهوني.

قال: الله أعلم بما تقول، إن يكن ما تقول حقاً فالله يجزيك، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا.

قال: ما ذاك عندي يا رسول الله.

قال: فلين المال الذي دفنته عند أم الفضل فقلت: إن أصببت فالمال الذي دفنته للفضل وعبدالله وقثم.

قال: والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا شيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبت مني عشرين أوقية من مال كان معى.

قال رسول الله (ص): ذاك شيء أعطانا الله منك، فقدى نفسه وابني أخويه وحليفه، وأنزل الله فيه: (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعزم الله في قلوبكم خيراً يوتكم خيراً مما أخذ منكم) (١١١).

## بين المن والفاء

وكان الفداء من أربعة آلاف درهم إلى ثلاثة آلاف درهم إلى ألفي درهم، إلى قوم لامال لهم من عليهم رسول الله (ص).

وأسر رسول الله (ص) يوم بدر سبعين أسيراً، وكان يفاديهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم، فإذا حذقوا فهو فداوه.

وممن من عليه رسول الله (ص): المطلب بن حنطب، وصيفي بن أبي رفاعة، وأبو عزة الجمحى، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً، وكان محتاجاً ذاتيات، فقال: يا رسول الله لقد عرفت ملي من مال، وإنى لذو حاجة وذو عيال، فامن على، فمن عليه رسول الله (ص) وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً.

## النبي (ص) يستوهب فداء صهره

وممَّنْ منْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ص) أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرَّبِيعِ زَوْجُ زَيْنَبِ ابْنَتِهِ بَعْدَ أَنْ بَعَثَتْ زَيْنَبَ بْنَتَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) بِفَدَائِهِ، وَكَانَ فِيمَا بَعَثَتْ بِهِ: قَلَادَةً كَانَتْ خَدِيجَةُ أُمَّهَا أَهْدَتَهَا لَهَا لَيْلَةَ زِفَافِهَا، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ (ص) الْقَلَادَةَ تَذَكَّرَ زَوْجَتَهُ الْوَفِيقَةَ خَدِيجَةَ (ع) فَرَقَ لَهَا وَبَكَ.

ثُمَّ التَّفَتَ (ص) إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَطْلُقُوا سَرَاحَ أَسْيَرَهَا وَتَرْدُوا عَلَيْهَا مَا بَعَثْتُ بِهِ مِنَ الْفَدَاءِ فَافْعُلُوا.

أَيْ: أَنَّهُ (ص) لَمْ يَفْرُضْ رَأْيَهُ عَلَيْهِمْ مَعَ انْقَلَابِ الْقُرْآنِ يَقُولُ: (النَّبِيُّ أُولَئِنَّى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) (١١٢) وَبِذَلِكَ أَعْرَبَ عَنْ حِرْيَةِ الْإِسْلَامِ وَرَسْمِ سِيَاسَتِهِ الْحَكِيمَةِ.

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَفْدِيكَ بِأَنفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَرَدَّوْا عَلَيْهَا مَا بَعَثْتُ بِهِ، وَأَطْلَقُوا سَرَاحَ أَبِي الْعَاصِ بِغَيْرِ فَدَاءِ، فَشَكَرُوهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلَى ذَلِكَ.

هَذَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) قَدْ أَخْذَ عَلَيْهِ، أَوْ أَنَّهُ وَعَدَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) أَنْ يَخْلُي سَبِيلَ زَيْنَبَ، فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو الْعَاصِ إِلَى مَكَّةَ بَعْثَتْ رَسُولُ اللَّهِ (ص) زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَرَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: كُونُوا بِبَطْنِ يَاجِجَ حَتَّى تَمَرَّ بِكُمَا زَيْنَبَ فَتَصْبِحَاهَا حَتَّى تَأْتِيَنِي بِهَا. فَخَرَجَا نَحْوَ مَكَّةَ، وَذَلِكَ بَعْدَ بَشْرَهُ.

فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو الْعَاصِ مَكَّةَ أَمْرَهَا بِاللَّحْوقِ بِأَبِيهَا، فَتَجَهَّزَ وَخَرَجَ، فَتَعَرَّضَ لَهَا هَبَارُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَرَوَعَهَا بِالرَّمْحِ وَهِيَ فِي الْهَوْدِجِ، وَكَانَتْ حَامِلًا، فَأَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا، فَأَمْرَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِقُتْلِهِ، فَلَمْ يَظْفِرُوا بِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ هَرَبَ ثُمَّ قَدِمَ مُخْتَفِيًّا، فَلَمَّا مَرَّ بَيْنِ يَدِي رَسُولِ اللَّهِ (ص) أَسْلَمَ، فَقَبَلَ (ص) اسْلَامَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

## النَّهَيُّ عَنِ التَّعْذِيبِ وَالْمَثَلَةُ

وَقَدْ مَكْرُزُ بْنُ حَفْصٍ فِي فَدَاءِ سَهْلِ بْنِ عَمْرُو، وَكَانَ الَّذِي أَسْرَهُ مَالِكُ بْنُ الدَّخْشَمْ، وَفَدَاهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ درهم.

وَذَكَرَ ابْنُ اسْحَاقَ أَنَّ رَجُلًا مِّنَ الصَّحَابَةِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُعْنِي انْزِعْ شَتِّيَ سَهْلِ بْنِ عَمْرُو يَدْلِعُ لِسَانَهُ فَلَا يَقُولُ عَلَيْكَ خَطِيبًا فِي مَوْطِنِ أَبِدًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): لَا أَمْثُلُ بِهِ، فَيَمِثُلُ اللَّهُ بِي وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا.

وَفِي حَدِيثٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ فِي جَوَابِهِ: أَنَّهُ عَسَى أَنْ يَقُولَ مَقَامًا لَا نَذْمَهُ.

## بُؤْرَةُ التَّآمِرِ وَالْبَخْلُ

اشْتَرَكَ فِي بَدْرِ لَأْبِي سَفِيَّانَ وَلَدَانَ: حَنْظَلَةُ وَعَمْرُو ابْنَ أَبِي سَفِيَّانَ، أَمَّا حَنْظَلَةُ فَقُدِّمَ قَتْلُهُ، وَأَمَّا عَمْرُو فَقُدِّمَ وَقْعُ أَسْيَرًا فِي يَدِي رَسُولِ اللَّهِ (ص).

١١٢ - الأحزاب: ٦.

فقيل لأبي سفيان: أفد عمرو ابناك.

قال: يجمع علي دمي ومالى، قتلوا حنظلة، وأفدى عمرو، دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم.

في بينما هو كذلك إذ خرج سعد بن النعمان أخوبني عمرو بن عوف معتمراً، فعدا عليه أبوسفيان فحبسه بابنه عمرو، وقد كان عهد قريش لا يتعرضون لأحد جاء حاجاً أو معتمراً إلا بخير.

ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله (ص) فأخبروه خبره وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان، فيفكوا به صاحبهم، فعل رسول الله (ص)، فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلى سبيل سعد.

## المشركون وأنباء الحرب

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش: الحيسمان بن عبدالله الخزاعي، فقالوا: ما ورائك؟

قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبوالحكم بن هشام، وأمية بن خلف، وزمعة بن الأسود، ونبيه ومنبه ابنا الحاج، وأبوالبخترى بن هشام.

فأيما جعل يعذّ أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر مستتراً عليه ذلك: والله إن يعقل هذا فاسأله عثي.

قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟

قال: ها هو ذا جالس في الحجر، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

## مصير أبي لھب

وفي حديث أبي رافع - وكان غلاماً للعباس - انه قال: لما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر سررنا بذلك، لأننا كنا قد أسلمنا من قبل، وكنت جالساً في حجرة زمم أتحت السهام وأصنعها، وعندى أم الفضل جالسة، إذ أقبل أبو لهب وهو يجرّ رجليه بشرّ حتى جلس.

في بينما هو جالس إذ قال الناس: هذا ابن أخيك أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب قدم من بدر.

قال: فقال أبو لهب: هل إلى، فعنده عمرى الخبر.

قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟

قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تبقى شيئاً ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعت طبل الحجرة ثم قلت - وكان الإسلام قد دخلنا وسررتنا ذلك - تلك والله الملائكة.

رفع أبو لهب يده فضربني في وجهي ضربة شديدة.

ف قامت أم الفضل إلى عمود فضربت به في رأس أبي لهب وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده؟

قال: فوالله ما عاش أبو لهب بعدها إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسية - وهي قرحة تتشعّم بها العرب -

فتباعد عنه بنوه حتى هلك، وبقي ثلاثة أيام لا يقرب أحد جنازته، ولا يحاول دفنه، فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعد ذلك في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه. وكان فراغ رسول الله (ص) من بدر في عقب رمضان وأوائل شوال، وفي أول شوال صلّى (ص) صلاة الفطر.

## غزوَةُ بَنِي سَلَيْمٍ

وبعد بدر بسبعة أيام، خرج رسول الله (ص) في ثلثمائة من الصحابة يريد بنى سليم، حيث كانوا يعيشون في الأرض فساداً ويستعدون لشن هجوم على المدينة. بلغ (ص) ماء يقال له: قرقرة القدر، وهي أرض ملساء، والقدر: طير في لونها كدرة، فأقام بها ثلاثة ليال وقيل: عشرأ، فلم يلق حرباً، وذلك بعد أن استخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري، وقيل: ابن أم مكتوم، وحمل اللواء علي بن أبي طالب (ع)، وقيل: إنه أصاب لهم نعماً يزيد على خمسمائة وغلاماً يقال له يسار فأعنته، ورجع ولم يلق شيئاً. وكانت هذه الغزوة من غزواته التأديبية.

## غزوَةُ بَنِي الْقِينَاقِ

ثم كانت غزوة بنى قينقاع - بطن من يهود المدينة - في يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة النبوية المباركة، وكانوا أول من نقض العهد، فجمعهم رسول الله (ص) في سوق بنى قينقاع وقال لهم: (يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا، فإنكم قد عرفتم أنني نبي مرسلاً تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم). فقالوا: يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوماً فأصبت منهم، ولا علم لهم بالحرب، فإنما لو حاربناك لعلمتانا خلافهم.

فكانت تقع بينهم المناجزة فنزل فيهم: (فَلْلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُؤْلَمُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبَئْسَ الْمَهَادُ، قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتَنَنِ النَّقَادِ...)(١١٣) إلى آخر الآية.

في بينما هم على ما أظهروه من العداوة ونبذ العهد إذ جاءت امرأة رجل من الأنصار فجلست إلى صانع في حلبي لها، فجاء أحد بنى قينقاع فعمد إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهي لا تعلم، فلما قامت انكشفت فصاحت، فضحكوا منها، فاتبعه رجل من المسلمين فقتلها، فاجتمع بنو قينقاع فقتلوه ونبذوا عهدهم ووقع الشر بين المسلمين وبين بنى قينقاع، فنزل فيهم: (وَإِمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِئْهُمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا

---

١١٣ - آل عمران: ١٢ و ١٣.

يُحبُّ الْخَانِنِينَ) (١١٤).

فَسَارَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ (ص) وَحَاصِرُهُمْ خَمْسَ عَشْرَةً لَيْلَةً إِلَى هَلَالِ ذِي القُعْدَةِ وَكَانَ اللَّوَاءُ بِيدِ حُمَزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ، وَكَانَ أَبْيَضُ، فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّاعِبَ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) عَلَى أَنْ لَهُ أَمْوَالَهُمْ، وَأَنْ لَهُمُ النِّسَاءَ وَالْذِرَّيَّةَ.

فَأَمْرَ (ص) الْمَنْذَرَ بْنَ قَادَمَةَ بِتَكْتِيفِهِمْ، فَتَوَسَّطَ لَهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي وَالْحَاجِ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِهِمْ. فَقَالَ (ص): خَلُوَّهُمْ، وَأَمْرَ أَنْ يَجْلُوُا مِنَ الْمَدِينَةِ وَتَرْكُهُمْ مِنَ الْقَتْلِ، فَأَجْلَاهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَقَيْلُ: عَبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، فَلَحِقُوا بِأَذْرِعَاتِ الشَّامِ بِنَسَانِهِمْ وَذُرَارِيهِمْ فَلَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى هَلَكُوا، وَأَمَّا أَمْوَالَهُمْ فَخَمْسَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَقَسْمَ الْبَاقِي بَيْنَ أَصْحَابِهِ.

## غَزْوَةُ السُّوِيقِ

وَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْقَيْنَاعِ، أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ بَقِيَّةُ شَوَّالٍ، وَذِي القُعْدَةِ، وَفَادَى فِي إِقَامَتِهِ جَلَّ أَسَارِى بَدْرُ مِنْ قَرِيشٍ، ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ السُّوِيقِ.

وَذَلِكَ أَنْ أَبَا سَفِيَّانَ بْنَ حَرْبٍ كَانَ نَذْرًا أَنْ لَا يَمْسِ رَأْسَهُ مِنْ جَنَابَةِ حَتَّى يَغْزُو مُحَمَّدًا (ص) فَخَرَجَ فِي مَائِتِي رَاكِبٍ مِنْ قَرِيشٍ لِيَبْرُّ نَذْرَهُ حَتَّى نَزَلَ بِصُدُرِ قَنَّاءٍ إِلَى جَبَلِ يَقَالُ لَهُ: (نَبَتْ) وَكَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى بَرِيدٍ أَوْ نَحْوِهِ. ثُمَّ خَرَجَ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى أَتَى بَنِي النَّضِيرِ تَحْتَ اللَّيْلِ، فَأَتَى حَيْيِي بْنَ أَخْطَبٍ فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَأَبْى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ وَخَافَ.

فَانْصَرَفَ مِنْهُ إِلَى سَلَامَ بْنِ مَشَكَّمٍ، وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي النَّضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ، وَصَاحِبُ كَنْزِهِمْ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذْنَنَ لَهُ فَقَرَاهُ وَسَقَاهُ وَبَطَنَ لَهُ مِنْ خَبْرِ النَّاسِ.

ثُمَّ خَرَجَ فِي عَقْبِ لَيْلَتِهِ حَتَّى أَتَى نَاحِيَةَ يَقَالُ لَهَا: (الْعَرِيضُ) فَوُجِدَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَحْلِيفًا لَهُ فِي حَرْثِ لَهُمَا فَقْتَلَهُمَا، ثُمَّ حَرَقَ بَيْتًا وَحَرَثًا لَهُمْ، ثُمَّ وَلَى هَارِبًا خَوْفًا مِنْ مَلَاقِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ رَأَى فِيمَا فَعَلَهُ بِرًا لَنَذْرِهِ. فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِذَلِكَ اَنْتَدَبَ أَصْحَابَهُ وَخَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ حَتَّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكُدْرِ، ثُمَّ اَنْصَرَفَ رَاجِعًا وَقَدْ فَاتَهُ أَبُو سَفِيَّانُ وَأَصْحَابُهُ، وَطَرَحُوا كَثِيرًا مِنْ أَزْوَادِهِمْ، كَالسُّوِيقِ وَغَيْرِهِ، يَتَخَفَّفُونَ مِنْهَا لِلنَّجَاءِ، فَأَخْذَهَا الْمُسْلِمُونَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةُ السُّوِيقِ.

فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَطْمِعُ بِأَنْ تَكُونَ لَنَا غَزْوَةً؟ قَالَ: نَعَمْ.

## غَزْوَةُ ذِي أَمْرٍ

وَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) مِنْ غَزْوَةِ السُّوِيقِ، أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ بَقِيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا، ثُمَّ غَزَا نَجْدًا يَرِيدُ غَطْفَانَ.

وَذَلِكَ لَأَنْ جَمِيعًا مِنْ غَطْفَانٍ تَجَمَّعُوا يَرِيدُونَ أَنْ يَصِيبُوهُمْ مِنْ أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ وَيَغْيِرُوهُمْ عَلَيْهَا، وَقَدْ جَمَعُوهُمْ رَجُلٌ

يقال له: دعثور بن الحارث المحاربي.

فندب رسول الله (ص) المسلمين وخرج بهم في أربعينات خمسين رجلاً، ومعهم أفراس.

فلما سمعوا بمذهبته هربوا في رؤوس الجبال، فأصاب المسلمين رجالاً منهم يقال له: جبار من بنى ثعلبة، فادخل على رسول الله (ص)، فدعاه إلى الإسلام فأسلم وضمه إلى بلال.

وأصاب النبي (ص) مطر قبل ثوبه، فجعل وادي أمر بيته وبين أصحابه، ثم نزع ثيابه ونشرها على شجرة لتجف، واضطجع تحتها وغطfan ينظرون إليه، فقالوا لدعثور وكان أشدّهم فتكاً: قد انفرد محمد فعليك به، فاقبل ومعه سيف صارم حتى قام على رأسه (ص) فقال: من يدفعك متى اليوم؟  
قال (ص): الله، ودفع جبرئيل في صدره فوق السيف من يده، فأخذه النبي (ص) وقام على رأسه وقال: من يمنعك متى؟

قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله، ثم قال: والله لا أكثر عليك جمعاً أبداً، فأعطاه رسول الله (ص) سيفه.

وعلى روایة: قال (ص) له: من يمنعك متى؟ فقال: عفوك يا محمد، فأعطاه (ص) سيفه، فأسلم الرجل.  
ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام، فأسلم منهم ناس كثير، وأنزل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم) الآية.

## سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمَةَ

ثم انه لما انتصر المسلمون في غزوة بدر على أعدائهم المشركين وأسرموا منهم سبعين، وقتلوا من صناديدهم ورقوسهم سبعين، وألقوه في القليب، قدم زيد بن حaritha بشيراً إلى أهل السافلة وعبدالله بن رواحة إلى أهل العالية ببشران بالفتح.

قال كعب بن الأشرف وهو من نبهان من طيء وكانت أمه من بني النضير: أترون محمداً قتل هؤلاء؟ إن هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله إن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها، فلما أيقن كعب الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي، وجعل يحرّض على رسول الله (ص) وينشد الأشعار ويبكي على أصحاب القليب، ويشبّب بنساء المسلمين حتى آذاهم، ثم انبعث يهجو رسول الله (ص) وال المسلمين، ويمدح عدوهم ويحرّضهم عليهم.

قال له أبوسفيان والمشركون: أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه؟ وأي ديننا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق؟

قال: أنتم أهدى منهم سبيلاً وأفضل.

ثم تحالف معهم وتعاقد على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد (ص) وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار والكعبة.

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فنزل جبرئيل (ع) وأخبر النبي (ص) بما تعاقد عليه كعب وأبوسفيان وأمره بقتل كعب.

فقال رسول الله (ص) وقد عاد كعب إلى المدينة: من لنا بابن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله، وقد استعلن بعادوتنا وهجائننا، وقد خرج إلى قريش فأجمعهم على قتالنا، وقد أخبرني الله بذلك، ثم قدم بأخته ما كان ينتظر قريشاً تقدم عليه فيقتلنا، ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله فيه: (أَلمْ ترَ إِلَى الَّذِينَ يُرَكِّنُونَ أَنفُسَهُمْ بِكَلَّ اللَّهِ يُرْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩) ) انتَرْ كَيْفَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبَرِ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا، أَلَمْ ترَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثَوْا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدِي مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبَيْلًا (١١٥).

فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتاذن لي أن أقتله؟

قال: نعم، إن الله قد أذن في قتله.

فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاه إلى الحصن، فنزل إليهم، فقتلوه، ثم أتوا النبي (ص) فأخبروه بقتله، وكفى الله المسلمين شر حرب كان يريد كعب ايقادها، وكان ذلك لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول.

## سرية زيد بن حرثة

ثم بعث رسول الله (ص) زيد بن حرثة في مائة راكب إلى (القردة) (بالقف المفتوحة والراء الساكنة) اسم ماء من مياه نجد، وذلك بعد رجوعه من بدر إلى المدينة بستة أشهر، أي أوائل ربيع الثاني، وقيل: أوائل جمادي الآخرة على رأس سبعة وعشرين شهراً من الهجرة النبوية المباركة.

وسببه ان قريشاً خافوا من طرقهم التي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، وكان فيهم أبوسفيان بن حرب ومعهم فضة كثيرة، وكانوا قد استأجرروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له: فرات بن حيأن يدّلهم على الطريق، فلقيهم زيد ومن معه على ماء يقال له: (القردة)، فأصاب تلك العير وما فيها وأعجزته الرجال هرباً، فقدم بها على رسول الله (ص) مع أسير أو أسيرين كان أحدهم فرات بن حيأن، فأسلم فترك، وأما الأموال فخمست وقسمت بقيتها بين أهل السرية.

وكانت هذه حملات تأديبية، ولكي يقابل قريش بالمثل حيث ضربوا على المدينة حصاراً اقتصادياً كما أشرنا إليه سابقاً.

## سرية عبد الله بن عتيك

لما قتل المسلمون في سرية محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف وكانوا من الأوس، قالت الخزرج: والله لا تذهب الأوس بهذه الفضيلة علينا، وأخذوا يتذاكرون من يعادي رسول الله (ص) كابن الأشرف، فذكروا أبا رافع سلام بن أبي الحقيق، وكان من يهود خيبر، وكان يظاهر كعب بن الأشرف على رسول الله (ص) ويحرض المشركين عليه، ففكروا في قتله ليضاهاوا في الفضل نظرائهم من الأوس، فاستأذنوا رسول الله (ص) في قتله،

فاذن لهم.

فخرج إليهم من الخزرج: عبدالله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبدالله بن أنيس، وأبو قتادة، وخزاعي ابن الأسود حليف لهم، وأمر عليهم عبدالله بن عتيك، فخرجوا حتى قدموا خيبر، فأتوا دار أبي رافع، فدخلوا عليه فقتلوه وخرجوا وكان ذلك في جمادي الآخرة.

## غزوَةُ أَحْدٍ

و(أحد) جبل مشهور بالمدينة على أقل من فرسخ منها، ويسمى بذلك لأنفراده وانقطاعه عن جبال آخر هناك، ويقال له: (ذو عينين) أيضاً، وهو الذي قال فيه رسول الله (ص) حين وقع نظره إليه: **أَحَدْ جِبْلٌ يَحْبَنَا وَنَحْبَهُ**، وكانت عنده الواقعة المشهورة في شوال في السنة الثالثة من الهجرة النبوية المباركة. وذلك لأنَّ قريشاً لما رجعوا من بدر إلى مكة وقد أصيروا بأصحاب القليب، منهم أبوسفيان من البكاء والنوح على قتلاهم ليبقوا على حنفهم وغيظهم ويفكرُوا في التأثر لقتلاهم، وقال تأكيداً لذلك: الدهن والنساء على حرام حتى أغزو محمداً.

وبقوا يستعدون لذلك، حتى قال صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل في جماعة من أصيبي آباوهם وإخوانهم وأبناءهم يوم بدر: يا معشر قريش، إنَّ مُحَمَّداً قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه - يعنيون غير أبي سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة - لعلنا أن ندرك منه ثاراً. فأجابوا لذلك فباعوها وكانت ألف بعير والمال خمسين ألف دينار، وفيهم أنزل الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصْدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَسِينَفْقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حُسْرَةً ثُمَّ يَغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يَحْشُرُونَ) (١١٦).

## رسالة من مكة

ولما اجتمعت قريش لحرب رسول الله (ص) كتب العباس بن عبدالمطلب وهو في مكة كتاباً يخبر رسول الله (ص) بخبرهم، واستأجر رجلاً منبني غفار واشترط عليه أن يقطع الطريق إلى المدينة في ثلاثة أيام، ويوصل الرسالة إلى رسول الله (ص).

فلما قدم الغفاري المدينة كان رسول الله (ص) في بعض حيطانها فقرأه ولم يخبر أصحابه وأمرهم أن يدخلوا المدينة، فلما دخلوا المدينة أخبرهم بالخبر.

## النبي (ص) يستشير أصحابه

فلما فشى الخبر في الناس جمع رسول الله (ص) أصحابه يستشيرهم في مواجهة المشركين، فقال (ص):

١١٦ - الأنفال: ٣٦.

أشيروا على، ورأى - على رواية - أن لا يخرج من المدينة.

قال بعضهم: يا رسول الله إن مدینتنا عذراء ما فضت علينا قط، وما خرجنا إلى عدو منها قط إلا أصاب منا، وما دخل علينا قط إلا أصحابنا، يعني بذلك: عدم الخروج من المدينة.

قال بعضهم: يا رسول الله إنا نخشى أن يظن العدوانا نكره الخروج إليهم جنبا عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا.

قال حمزة: والذي أنزل عليه الكتاب لا اطعم اليوم طعاما حتى أجادهم بسيفي خارجا من المدينة.  
وكان هذا رأي الأكثريّة، فعزم رسول الله (ص) على الخروج، فصلّى بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والإجتهاد، وأخبر أن لهم النصر ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، ففرح الناس بذلك.  
ثم صلّى (ص) بالناس العصر وقد تحشدوا، وحضر أهل العوالى، واصطف الناس ينتظرون خروجه، فلبس (ص) السلاح وخرج.

## الخروج إلى أحد

ولما خرج (ص) إلى أحد عقد ثلاثة ألوية: لواء الأوس بيد ابي اسود بن حضرير، ولواء المهاجرين بيد علي بن أبي طالب (ع)، ولواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر، وفي المسلمين مائة دارع، وخرج السعدان أمامه يدعون دارعين، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة، وأدلج (ص) في السحر، وكان قد ردّ جماعة من المسلمين لصغرهم، منهم أسامة بن زيد، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وعرابة بن أوس، وعمرو بن حزم.

وكان المسلمين ألف رجل ويقال: تسع مائة، والمشركون ثلاثة آلاف رجل، ويقال: أربعة آلاف أو خمسة آلاف، فيهم سبعمائة دارع ومائتا فارس، وخمس عشرة امرأة من بينهم هند، وهي ترتجز وتقول أشعاراً.

وكان أبو سفيان قد استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش يقاتل بهم المسلمين.  
ونزل (ص) بأحد، ورجع عنه عبدالله بن أبي بنحو ثلث العسكر فيمن تبعه من قومه وحلفائه، فتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام - والد جابر - يوبخهم ويحرضهم على الرجوع ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا. قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع، فرجع عنهم وتركهم.

## التقاء الجماعين

ونفذ رسول الله (ص) حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي، وجعل ظهره إلى أحد مستقبلاً المدينة، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم.

وكان أبو سفيان قد نزل بطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة، نزل بها يوم الخميس، بينما نزل رسول الله (ص) بأحد يوم الجمعة.

فلما أصبح يوم السبت تبعاً (ص) للقتال، وكان فيهم خمسون فارساً، فسوى الصوفوف، وبوا كلاً منهم مكانه،

وخطب فيهم خطبة بليغة حثّهم فيها على الثبات وحرضهم على الجهاد والمقاومة، وكان مما جاء فيها: وما من ملك إلا وله حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد، إذا اشتكى تداعى عليه سائر جسده.

ثم انه (ص) جعل على ثغرة كانت في جبل أحد جماعة من الرماة كانوا خمسين رجلاً، فأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال له: انضي الخيل عنا بالنبل، واحموا لنا ظهورنا لايأتونا من خلفنا، فإن رأيتونا قد هزمناكم حتى أدخلناكم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإن رأيتموهن قد هزمناكم حتى أدخلنا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم.

وقيل: انه (ص) قال لهم: فإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم.

ثم جعل (ص) على راية المهاجرين علياً (ع) وعلى راية الأنصار سعد بن عبد الله. وتعقب قريش فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل. وقيل: إنَّ أَبَا سَفِيَّانَ وضع خالد بن الوليد في مائتيٍ فَارِسٍ كَمِينًا وَقَالَ لَهُ: إِذَا رَأَيْتُمُونَا قَدْ اشْتَدَّ الْقَتْلُ وَحَمْىٌ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَأَخْرَجُوهُمْ عَلَيْهِمْ مِّنْ هَذَا الْشَّعْبِ حَتَّىٰ تَكُونُوا مِنْ وَرَاهِنِهِمْ.

## بدء القتال

ولما اصطف الجيشان كانت راية المشركين مع طلحه بن أبي طلحه منبني عبد الدار، فالتفت إليه أبوسفيان وقال له بعد أن عبأهم للقتال: إن كنتم ترون أنكم قد ضعفتم عنها، فادفعوها إلينا ننفكموها. فغضب طلحه بن أبي طلحه وقال: أنتا تقول هذا؟ والله لأوردوكم بها اليوم حياض الموت، وكان طلحه هذا يسمى (كبش الكتبة) فierz ونادي: يا محمد تزعمون انكم تجهزونا بأسيايفكم إلى النار، ونجهزكم بأسيايفنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليierz إلى، فاناكبش الكتبة طلحه بن أبي طلحه.

فierz عليه علي (ع) وهو يقول:

يا طلح إن كنت كما تقول\*\* لكم خيولٌ ولنا نصوٌ  
فأشيث للناظر أيّنا المقـولُ\*\* وآيّنا أولىٰ بما تقولُ  
فقد أتاك الأسدُ الصـوـولُ\*\* بـصـارـمٍ ليس به فـلـولٌ  
ينصره القـاهرـ والرسـولـ  
قال طلحه: من أنت؟  
قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال طلحه: قد علمت يا قضم (١١٧) انه لا يجسر علي أحد غيرك، فشد عليه طلحه فضربه، فأتفاه علي (ع)

١١٧ - تفسير علي بن ابراهيم قال: وحدثني أبي، عن ابن أبي عمر، عن هشام، عن أبي عبد الله (ع) انه سئل عن معنى قول طحة بن أبي طلحه لما بازره علي (ع): يا قضم؟ قال (ع): إن رسول الله (ص) كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب، فأغاروا به الصبيان، وكانوا إذا خرج رسول الله (ص) يرمونه بالحجارة والتراب، فشكى ذلك إلى علي (ع) فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إذا خرجت فأخرجني معك، فخرج رسول

بالحجفة، ثم ضربه (ع) على فخذيه فقطعهما جمِيعاً فسقط على ظهره، وسقطت الرأبة، فذهب على (ع) ليجهز عليه، فلحفه بالرحم فانصرف (ع) عنه.

فقال المسلمون: الا أجهزت عليه؟

قال (ع): قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً.

فسر رسول الله (ص) وكَبَرْ تكبيراً عالياً، وكَبَرْ المسلمين.

ثم أخذ الرأبة أبو سعد بن أبي طلحة فقتله علي (ع) وسقطت رايته على الأرض.

فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتلها علي (ع) وسقطت الرأبة على الأرض.

فأخذها مسافع بن أبي طلحة، فقتلها علي (ع) وسقطت الرأبة على الأرض.

فأخذها الحارث بن أبي طلحة، فقتلها علي (ع) وسقطت الرأبة على الأرض.

فأخذها أبو عزيز بن عثمان، فقتلها علي (ع) وسقطت الرأبة على الأرض.

فأخذها عبدالله بن أبي جميلة، فقتلها علي (ع) وسقطت الرأبة على الأرض.

فأخذها أرطاة بن شرحبيل فقتلها علي (ع) وسقطت الرأبة على الأرض.

فأخذها مولاهم صواب، فضربه علي (ع) على يمينه فقطعها، فأخذها بشماله، فضربه (ع) على شماله

فقطعها، فأخذها على صدره وجمع يديه وهم مقطوعاتٍ عليها، فضربه علي (ع) على أم رأسه فسقط صريعاً.

..فاشتد القتال إلى أن انهزم القوم، وولوا مدربين حتى انتهوا إلى نسائهم، وأكبَّ المسلمين على الغنائم.

## المشركون ينهزمون

فما انهزم المشركون، وأكبَّ المسلمين على جمع الغنائم، ورأى أصحاب الشعب الذين أوكلهم رسول الله (ص) بحفظ الثغرة من خلفهم ان الناس يغنمون، قالوا: نريد أن نعمم كما يعم الناس!

قال لهم عبدالله بن جبير: ان رسول الله (ص) أمرني أن لا أبرح من مكاني هذا.

قالوا له: أمرك بهذا ما لم يبلغ الأمر إلى ما نرى، وما لوا إلى القائم وتركوه، ولم يبرح هو ونفر قليل معه من موضعه، واشتغل الباقى بجمع الغنائم.

قالوا: ما ظفر الله نبيه في موطن قط بما ظفره وأصحابه يوم أحد، حتى عصوا الرسول (ص) وتباذعوا في الأمر.

## المسلمون لما عصوا الرسول (ص)

ولما عصى المسلمون أمر رسول الله (ص) وتركوا الثغرة التي وكلهم بها، ولم يبق فيها سوى نفر قليل، حمل عليهم خالد بن الوليد فقتلهم، بعد أن تراموا بالنبل، وتطاعنوا بالرماد، وتقاتلوا بالسيوف، ثم جاء من

---

الله (ص) ومعه علي (ع) فتعرض الصبيان لرسول الله (ص) كعادتهم، فحمل عليهم علي (ع) وكان يقضمهم في وجوههم وأنفthem وآذانهم فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون: قضمنا على، قضمنا على، فسمى ذلك: **القضم**. (راجع بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٥٢ ب ١٢ ح ٣).

ظهر رسول الله (ص) يريده، فنظر إلى النبي (ص) وهو في قلة من أصحابه فقال لمن معه: دونكم هذا الذي تطلبون فشائكم به.

وبصرت قريش في هزيمتها إلى الرأية قد رفعت فلاذوا بها، فحملوا عليه (ص) حملة رجل واحد ضرب بالسيوف، وطعنوا بالرماح، ورمياً بالنبل، ورضحاً بالحجارة.

وجعل أصحاب رسول الله (ص) يقاتلون عنه حتى قتل منهم سبعون رجلاً، أربعة من المهاجرين: حمزة، ومصعب بن عمير، وعثمان بن شناس، وعبد الله بن جحش، وسائرهم من الأنصار، فانهزم على أثره الباكون، ولم يثبت للقوم إلا علي (ع)، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف، يدفعون عن النبي (ص) وقد كثر عليهم المشركون.

فالتفت النبي (ص) إلى علي (ع) وقال: ما صنع الناس يا علي؟

قال (ع): كفروا يا رسول الله وولوا الدبر من العدو وأسلموك.

قال: ما لك لا تذهب مع القوم؟

قال: أذهب وأدعك يا رسول الله؟ أكفر بعد إيمان؟! إن لي بك أسوة والله لا يبرحت حتى أقتل، أو ينجز الله لك ما وعدك من النصر، فثبت معه يدفع عنه الكتاب.

فنظر رسول الله (ص) إلى كتبة قد أقبلت إليه، فقال لعلي (ع): ردّ عنك يا علي هذه الكتبة، فحمل عليها وفرقها، وكلما حملت طائفه على رسول الله (ص) استقبلهم علي (ع) فيدفعهم عنه، ويقتلهم حتى تقطع سيفه ثلاثة قطع.

## لَا فتى إِلَّا عَلَيْهِ لَا سِيفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ

فَلَمَّا انقطع سيف علي (ع) جاء إلى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله انقطع سيفي ولا سيف لي.

فخلع رسول الله (ص) سيفه ذو الفقار الذي نزل من الجنة<sup>(١٨)</sup> وقلده علياً (ع)، فمشى علي (ع) إلى المشركين وقتل كل من بربه إليه، وصد كل كتبة أغارت عليهم، فلم يزل على ذلك حتى وهت درعه، وأصابته تسعون جراحة، وفي بعض جراحاته كان يسقط منها على الأرض فيرفعه جبرئيل (ع).

فعرف رسول الله (ص) ذلك فرفع يديه نحو السماء وقال: (تنشدك يا رب ما وعدتني، فإنك إن شئت لم تتعبد).

وفي رواية قال (ص) وهو يدعو: (اللهم إنّ مهداً عبدك ورسولك، جعلت لكّنبي وزيراً من أهله لتشدّ به عضده، وتشركه في أمره، وجعلت لي وزيراً من أهلي: علي بن أبي طالب أخي، فنعم الأخ ونعم الوزير، اللهم وعدتني أن تعمدّني بأربعة آلاف من الملائكة مردفين، اللهم وعدك وعدهك أنك لا تخلف الميعاد، وعدتني أن تظهر دينك على الدين كله ولو كره المشركون) <sup>(١٩)</sup>.

في بينما رسول الله (ص) يدعو ربّه ويضرع إليه إذ سمع دويّاً من السماء، فرفع رأسه فإذا جبرئيل (ع) على كرسي، ومعه أربعة آلاف من الملائكة مردفين، وهو يقول: (لَا فتى إِلَّا عَلَيْهِ لَا سِيفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ)، فهبط

<sup>١١٨</sup> - راجع بحار الأنوار: ج ٣٩ ص ٤٧ ب ٧٣ ح ١٥ بیان، و: ج ٤٢ ص ٥٧ ب ١١٨ ح ١.

<sup>١١٩</sup> - بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٠٥ ب ١٢ ح ٣٠.

جبرئيل وحفت الملائكة برسول الله (ص) وسلموا عليه.

قال جبرئيل (ع): يا رسول الله والذى أكرمك بالهدى لقد عجبت الملائكة المقربون من مواساة علي (ع) لـ  
بنفسه.

قال رسول الله (ص): يا جبرئيل وما يمنعه أن يواسيني بنفسه وهو مثني وأنا منه.

قال جبرئيل (ع): وأنا منكما (١٢٠).

فبكى علي (ع) سروراً وحمد الله على نعمته.

## مشرع حمزة سيد الشهداء

ولما اقتل الناس وحميت الحرب كانت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وسط المعركة، فكلما انهزم رجل من قريش دفعت إلية ميلاً ومكحلة وقالت: إنما أنت امرأة فاكتحل بهذا.

وكان حمزة بن عبدالمطلب عم النبي (ص) يحمل على القوم، فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد، وكانت هند قد أعطت وحشياً عهداً: بأنه إن قتل محمدأً أو علياً، أو حمزة، لاعطته رضاه، وكان وحشى عبداً لجابر بن مطعم حبشاً.

قال وحشى: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما علي فرأيته رجلاً حذراً كثير الإنفات فلم أطع فيه، وأما حمزة فإني أطع فيه، لأنه إذا غضب لم يصر بين يديه.

قال: فكمست لحمزة، فرأيته يهد الناس هداً ما يقوم له شيء، فمرّ بي فوطن على جرف نهر، فانهار به، فأخذت حربتي فهزّتها ورميته، فوقعت في خاصرته وخرجت من ثنيته فسقط.

ثم جاءت هند وأخذت تمثيل بجسد حمزة فبترت بطنه واستخرجت كبده فلاختها فلم تستطع أن تسigliها فلفظتها، كما قطعت أصابعه وكل ما بُرِزَ من جسمه وجعلتها قلادة لها.

وعلى روایة عن وحشى انه قال: فأتت حمزة فشققت بطنه، فأخذت كبده وجنت بها إلى هند، فقلت لها: هذه كبد حمزة، فأخذتها في فمه فلاختها، فجعلها الله في فيها مثل الداغصة، فلفظتها ورمي بها، بعث الله ملكاً فحمله ورده إلى موضعه.

قال أبو عبدالله (ع): أبي الله أن يدخل شيئاً من بدن حمزة النار.

ولما رأى رسول الله (ص) ما صنع بحمزة قال: (اللهم لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستعان على ما أرى).

ثم قال - على روایة -: (ولن ظفرت لأمثلن ولا مثلن).

فأنزل الله تعالى: (وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوْقِبْتُمْ بِهِ وَلَنْ يُنْصَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) (١٢١).

قال رسول الله (ص): أصبر، ثم صلّى على حمزة سبعين صلاة، وكبّر عليه سبعين تكبيرة، ودفنه في ثيابه بدمائه التي أصيب فيها.

١٢٠ - الكافي: ج ٨ ص ٣١٨ ب ٨ ح ٥٠٢ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٠ ص ١٨٢ ب ١٩٠ و ج ١٣ ص ٢٦١ وج ١٤ ص ٢٥١ دار إحياء التراث العربي ط ٢.

١٢١ - النحل: ١٢٦

## دَنَاعَةُ بْنِي أَمِيَّةَ وَأَتْبَاعُهُمْ

وروي: ان الحليس بن علقة وهو سيد الأحابيش يوم أحد، نظر إلى أبي سفيان وهو على فرس وبيه رمح يجأ به في شدق حمزة، فقال الحليس: انظروا يا معاشربني كنانة إلى من يزعم انه سيد قريش ما يصنع بابن عمه الذي قد صار لحمًا! وأبوسفيان يقول: ذق عق.

فَلَمَّا تَوَلَّ أَبُو سَفِيَانَ إِلَى الْحَلِيسِ وَمَا يَقُولُهُ قَالَ لَهُ: صَدَقْتَ، اكْتَمِهَا عَلَيْهِ.

## مع أبي دجابة

وكان أبو دجابة هو الآخر الذي كان يحمل على القوم حتى أمعن فيهم، وقد جعل من نفسه ترساً يقي رسول الله (ص) من سيفون الكفار ورماهم حين اكتشف أصحابه عنه فقد ثبت هو ولم يكن من المنكشفين.

فَلَتَفَتَّ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَقَالَ: يَا أَبَا دَجَانَةَ أَمَا تَرَى قَوْمَكَ؟  
قَالَ: بَلِّي.

قَالَ: فَالْحَقُّ بِقَوْمِكَ، وَأَنْتَ فِي حَلَّ مِنْ بِيَعْتِي.  
فَبَكَى أَبُو دَجَانَةَ وَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا جَعَلْتَ نَفْسِي فِي حَلَّ مِنْ بِيَعْتِي، إِنِّي بِإِيمَانِكَ، فَبَلِّي مِنْ أَنْصَرِفْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى زَوْجَةِ تَمُوتَ، أَوْ وَلَدِ يَمُوتَ، أَوْ دَارَ تَخْرَبَ، أَوْ مَالٍ يَفْنِي، أَوْ أَجْلٍ قَدْ افْتَرَبَ؟  
فَرَقَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص).

فَلَمْ يَزِلْ يَقْاتِلُ حَتَّى أَخْتَنَتِ الْجَرَاحَةُ وَهُوَ فِي وَجْهِهِ، وَعَلَيْهِ (ع) فِي وَجْهِهِ، فَلَمَّا سَقَطَ احْتَلَمَهُ عَلِيُّ (ع) فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ (ص) فَوَضَعَهُ عَنْدَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَفَيْتَ بِبِيَعْتِي؟  
قَالَ: نَعَمْ، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، فَلَتَأْمَتَ جَرَاحَتَهُ وَعَاشَ حَتَّى كَانَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَاشْتَرَكَ فِيهَا كَمَا كَانَ يَشْتَرِكُ فِي غَيْرِهَا مِنْ قَبْلِهِ، وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا.

## الثابتون مع الرسول (ص)

وكان ممن قاتل مع رسول الله (ص) يوم أحد نسيبة المازنية أم عمارة وابنها عبدالله بن زيد، وعمارة بن غزية، وزوجها غزية.

يقول عبدالله بن زيد: شهدت أحداً مع رسول الله (ص)، فلما تفرق الناس عنه دنوت منه وأمي تدب عنه.  
فقال (ص): يا ابن أم عمارة؟  
قلت: نعم.

قال: ارم، فرميت بيده رجلًا من المشركين بحجر وهو على فرس، فأصيب عين الفرس، فاضطرّب الفرس حتى وقع هو وصاحبته.

ثم نظر (ص) إلى جرح بامي على عاتقها، فقال: أمك أمك، اعصب جرحها بارك الله عليكم، لمقامك ومقام أخيك ومقام أمك ومقام زوج أمك خير من مقام المنكشفين والمنهزمين عنِّي.  
ثم قال (ص): رحمنكم الله من أب وأم وأخوة.

قال: فقالت أمي وهي لا تملك نفسها فرحاً: ادع لنا يا رسول الله أن نراففك في الجنة.

فقال: اللهم اجعلهم رفيقاني في الجنة.

فقالت: ما أبالي بعدها ما أصابني من الدنيا.

## عمرو بن الجموح والشهادة

وكان عمرو بن الجموح رجلاً ذا عرق في رجله، فلما كان يوم أحد شهد مع النبي أربعة من ولده، أمّا هو فرار قومه أن يحبسوه وقالوا له: إنك من لا حرج عليه، وقد ذهب بنوك الأربعه مع النبي (ص) فابق عندنا. فأجابهم قائلاً: بخ لهم يذهبون إلى الجنة، وأنا أجلس عندكم؟  
فقالت امرأته: كاتئي أنظر إليه مولياً قد أخذ درنته وهو يقول: اللهم لا تردني إلى أهلي، فخرج ولحقه بعض قومه يكلمونه في القعود، فأبى.

ثم جاء إلى رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله إنّ قومي يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك، والله أعلم لا أرجو أن أطأ بعرجي هذه في الجنة.  
فقال له (ص): أنت فقد عذر الله ولا جهاد عليك، فأبى.

فقال النبي (ص) لقومه وبنيه: (لا عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله يرزقه الشهادة) فخلوا عنه، فبقي في صفوف المسلمين وقاتل قاتل يومئذ شهيداً.  
وبعد شهادته، أقبلت إليه امرأته لتحمله مع ابنها خلاد وأخيها عبد الله والد جابر الأنصاري، فحملتهم على بعير ترید بهم المدينة.

فالتقى بها بعض النساء اللاتي خرجن يتقدن خبر رسول الله (ص) فسألنها عنه؟  
فقالت: خيراً، أمّا رسول الله (ص) فصالح، وكلّ مصيبة بعده جلل، أي: قليل، واتخذ الله من المؤمنين شهادة، وهو لاء: ابني وأخي وزوجي أحملهم لأدفنهم في المدينة، فسارت بهم، فلما بلغت منقطع الحرّة برك البعير، فكانت كلما توجّه إلى المدينة برّك، وإذا وجهته إلى أحد أسرع.  
فرجعت إلى النبي (ص) فأخبرته بذلك.

فقال (ص): إنّ الجمل لمأمور، هل قال عمرو بن الجموح شيئاً؟  
قالت: نعم يا رسول الله، انه لما توجّه إلى أحد استقبل القبلة ثم قال: اللهم لا تردني إلى أهلي وارزقني الشهادة.

فقال (ص): (فلذلك الجمل لا يمضي، إنّ منكم يا معاشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره، منهم عمرو بن الجموح، يا هذه ما زالت الملائكة مظلة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن؟)  
ثم مكت رسول الله (ص) في قبرهم ثم قال: انّهم قد ترافقوا في الجنة جميعاً: بعلك وابنك وأخوك.

فقالت امرأته: يا رسول الله فادع لي عسى أن يجعلني معهم، فدعا لها بذلك.

## الشهادة والمساهمة عليها

وكان خيثمة أبو سعد بن خيثمة ممن قاتل بين يدي رسول الله (ص) في أحد ونال الشهادة، فقد أشار على رسول الله (ص) بالخروج من المدينة لمجابهة قريش والتعرض للنصر أو الشهادة قائلاً: لقد بلغ من حرصي على الشهادة أن ساهمت أبني في الخروج إلى بدر فخرج سهمه، فرزق الشهادة، وقد رأيته البارحة في النوم وهو في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها، ويقول لي: الحق بنا ترافقنا في الجنة، وقد كبرت سني، ورقّ عظمي، وأحببت لقاء ربّي، فادع الله أن يرزقني الشهادة.

فدعاه رسول الله (ص) بذلك، فقاتل بين يديه حتى قتل بأحد شهيداً.

## غسيل الملائكة

وكان حنظلة غسيل الملائكة رجل من الخزرج تزوج في الليلة التي كانت صبيحتها حرب أحد، فلما أصبح خرج ولم يغتسل وحضر القتال.

فاللتقي بأبي سفيان بن حرب وهو يجول بين العسكر، فحمل عليه فضرب عرقوب فرسه، فاكتسعت الفرس وسقط أبوسفيان إلى الأرض فصاح: يا معشر قريش أنا أبو سفيان وهذا حنظلة يريد قتلي، ثم عدا يركض نحو قومه وحنظلة في طلبه.

فعرض له شداد بن الأسود الليثي فطعنه، فمشى حنظلة في طعنته فضرب الليثي فقتله، وسقط حنظلة إلى الأرض بين حمزة وعمرو بن الجموح وعبد الله بن حزام، وجماعة من الأنصار.

فقال رسول الله (ص): رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صاحف من ذهب، فكان يسمى (غسيل الملائكة) لأنه خرج من عند زوجته إلى القتال مسرعاً ولم يغتسل من جنابته.

وقال أبو سفيان: حنظلة هذا بحنظلة وهو يقصد ابنه حنظلة الذي قتل بيدر.

## عين قتادة

وكان ممن شهد أحد وقاتل دون رسول الله (ص) قتادة بن النعمان، فأصابت عينه حتى وقعت على وجنته، فأخذها بيده وجاء إلى النبي (ص) وقال: يا رسول الله اني جديـدـ بالزواج وامرأتـيـ شـابـةـ أـحـبـهاـ وـتـحـبـيـ وـأـنـاـ أـخـشـىـ أـنـ تـكـرـهـيـ مـكـانـ عـيـنيـ.

فأخذها رسول الله (ص) فردها إلى مكانها، فأبصرت وعادت كما كانت لم تؤلمه ساعة من ليل ولا نهار.

فكان يقول بعد أن كبر وطعن في السن: هي أقوى عيني، وكانت أحسنهما.

## يد ابن عتيك

وكان ممن شهد أحد وأبلى مع رسول الله (ص) بلاءً حسناً عبدالله بن عتيك فأصيب يده فأخذها وجاء بها إلى رسول الله (ص) واشتكى له ما يلقاء من المها. فأخذها رسول الله (ص) وأركبها في محل قطعها ومسح عليها بيده الكريمة، فاستوت يد عبدالله كان لم يكن بها شيء.

## نَيْفٌ وسبعون جراحة

قال أنس بن مالك: أتى رسول الله (ص) بعلي (ع) يوم أحد وعليه نيف وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية، فجعل رسول الله (ص) يمسحها وهي تلتئم بإذن الله تعالى، كان لم تكن. وقيل: إن رسول الله (ص) أخذ الماء بفمه فرشّه على جراحته، فكأنها لم تكن من وقتها.

## المتجرون على رسول الله (ص)

ورمى ابن قميئه الليثي رسول الله (ص) بقذافة فأصاب كفه، وضربه عتبة بن أبي وقاص بالسيف حتى أدمى فاد، ورماه عبدالله بن شهاب بقلاعة فأصاب مرفقه، وليس أحد من هؤلاء مات ميتة سوية: فاما ابن قميئه، فقد سلط الله عليه الشجر، فكان إذا مرّ بها وقع في وسطها فتأخذ من لحمه، فلم يزل كذلك حتى صار مثل الصرمات.

وقيل: انه أتاه تيس جبل وهو نائم بنجد، فوضع قرنه في مراهقه ثم دعسه فجعل ينادي: وادلاه حتى أخرج قرنيه من ترقوته ومات.

وأما عتبة بن أبي وقاص فمات على كفره قبل أن يحول عليه الحول، وكذلك كان المصير ابن شهاب. ورمى المغيرة بن العاص رسول الله (ص) بحجر فأصاب جبهته (ص)، فضرب الله المغيرة بالتحير، فلما انكشف الناس تحير فاحقه عمّار بن ياسر فقتله.

## مع أبي بن خلف

وروي: ان أبي بن خلف قال للنبي (ص) بمكة: انه يعلف فرساً له ليقتله يوماً عليها. فقال له رسول الله (ص): لكن أنا إن شاء الله تعالى.

فأقبل أبي يوم أحد على فرسه وحمل على رسول الله (ص) وكان الرسول بين الحارث بن صمة وسهل بن حنيف، فوقاه مصعب بن عمير بنفسه، فطعن مصعباً فقتله. فأخذ رسول الله (ص) عنزة كانت في يد سهل بن حنيف ثم طعن أبياً في جربان الدرع، فاعتنق فرسه

وانتهى إلى عسكره وهو يخور خوار الثور.

قال له أبوسفيان: ويلك ما أجزعك؟ إنما هو خدش ليس بشيء.

قال: ويلك يا ابن حرب أتدرى من طعني؟ إنما طعني محمد وهو قال لي بمكة: أني سأقتلوك، فعلمت أنه قاتلي، والله لو أنّ ما بي كان بجمع أهل الحجاز لقضت عليهم، فلم يزل يخور حتى مات.

## نماذج من الصحابة المؤمنين

فَلَمَّا سُكِنَ القِتالُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): مَنْ يَطْلُبُ لَنَا سَعْدَ بْنَ الْرَّبِيعَ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى مَوْضِعِهِ مِنَ الْمَعرَكَةِ.  
فَجَاءَ رَجُلٌ نَحْوَ مَوْضِعِهِ يَطْلُبُهُ، فَرَأَاهُ صَرِيعًا بَيْنَ الْقَتْلَى.

فَقَالَ: يَا سَعْدَ، فَلَمْ يَجِدْهُ، حَتَّى قَالَ لَهُ: يَا سَعْدَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) يَسْأَلُ عَنْكَ.  
فَرَفَعَ سَعْدُ رَأْسَهُ وَانْتَعَشَ كَمَا يَنْتَعِشُ الْفَرَخُ، ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) لَحِيًّا؟  
فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ.

قَالَ سَعْدٌ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَبْلَغَهُ عَنِّي السَّلَامُ، وَأَبْلَغَ قَوْمِي الْأَنْصَارَ عَنِّي السَّلَامُ وَقَلَّ لَهُمْ: وَاللَّهِ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ حُذْرٌ  
إِنْ تَشْوِكُ رَسُولَ اللَّهِ (ص) شُوكَةً وَفِيمَ عَيْنَ تَطْرُفُ، ثُمَّ تَنْفَسَ فَخْرَجَ مِنْهُ مَثْلُ دَمِ الْجَزُورِ وَقَضَى نَحْبَهُ شَهِيدًا.  
فَجَاءَ الرَّجُلُ وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ.

فَقَالَ (ص): (رَحْمَ اللَّهِ سَعْدًا نَصَرْنَا حَيًّا، وَأَوْصَى بَنَا مَيَاتًا).

## يوم بلاء وتمحیص

وَلَمَّا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ أَحَدٍ وَانْهَزَمُوا أَصَابَ فِيهِمُ الْعُدُوُّ، فَكَانَ يَوْمُ بَلَاءً وَتَمْحِيصًا أَكْرَمَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ أَكْرَمِ  
بِالشَّهَادَةِ، وَقَدْ خَلَصَ الْعُدُوُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَدَقَّ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى شَجَّ فِي وَجْهِهِ وَكَلَّمَ شَفَتَهُ السَّفْلَى،  
وَكَادُوا أَنْ يَقْتُلُوهُ (ص) لَوْلَا حَفَظَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ، فَقَامَ رَافِعًا يَدِيهِ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَدَّ غَضْبُهُ  
عَلَى الْيَهُودِ حِينَ قَالُوا: عَزِيزُ أَبْنَ اللَّهِ، وَاشْتَدَّ غَضْبُهُ عَلَى النَّصَارَى إِنْ قَالُوا: الْمَسِيحُ أَبْنُ اللَّهِ، وَإِنَّ اللَّهَ اشْتَدَّ  
غَضْبُهُ عَلَى مَنْ أَرَاقَ دَمِيِّ، وَآذَانِي فِي عَرْتَقِي) (١٢٢).

وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ كَلَّمَ سَالَ الدَّمَ عَلَى وَجْهِهِ الْمَبَارَكِ (ص) تَنَاوِلَهُ بِيَدِهِ فَرَمَى بِهِ فِي الْهَوَاءِ، فَلَا يَرْجِعُ مِنْهُ  
شَيْءٌ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (ع): وَاللَّهِ لَوْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى الْأَرْضِ لَنَزَلَ الْعَذَابُ.

وَقِيلَ لَهُ (ص): أَلَا تَدْعُو عَلَيْهِمْ؟

فَقَالَ (ص): (لَلَّهُمَّ اهْدِ قَوْمًا فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ).

ثُمَّ كَانَ يَقُولُ (ص): أَسْفًا عَلَيْهِمْ: (كَيْفَ يَفْلُحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُهُمْ إِلَى اللَّهِ؟)

## رجل من أهل الجنة

وَقَيْلٌ: إِنَّهُ لَمَا شَجَ (ص) فِي وِجْهِهِ وَاحْتَضَبَ وَجْنَتَاهُ بِالدَّمِ، أَقْبَلَ مَالِكُ بْنُ سَنَانَ وَالْأَبِي سَعِيدَ الْخُدْرِيَّ فَامْتَصَ الدَّمَ مِنْ وِجْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) فَاسْتَسْاغَهُ وَلَمْ يَمْجَهْ.

فَقَالَ (ص) لَهُ: مَجَهْ.

فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَمْجَهْ أَبْدًا حَتَّى يَمْتَزِجَ بِلَحْمِي وَدَمِي فَأَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْفَائِزِينَ بِكَ.

ثُمَّ أَدْبَرَ يَقْاتَلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ (ص): مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلِيَنْظُرْ إِلَى هَذَا، فَقَاتَلَ، فَقَتَلَ شَهِيدًا.

## ابليس ينتهز الفرصة

وَكَانَ مِنْ قَاتِلِ دُونِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) حَتَّى قُتِلَ: مَصْعُبُ بْنُ عَمِيرٍ، وَكَانَ الَّذِي قُتِلَهُ ابْنُ قَمَّةَ وَهُوَ يَظْنُهُ رَسُولَ اللَّهِ، فَصَاحَ ابْنُ قَمَّةَ: قُتِلَ مُحَمَّدًا.

وَصَرَخَ الشَّيْطَانُ: إِنَّ مُحَمَّدًا قُدِّمَ قُتْلًا، فَوْقَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَقْاتِلُ عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ حَتَّى تَلْحَقَ بِهِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: لَوْ كَانَ نَبِيًّا لَمَا قُتِلَ، وَارْتَدَ بَعْضُهُمْ، وَانْهَزَمَ بَعْضُهُمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَرْسَلْنَا إِلَى أَبْنِي سَفِيَّانَ مِنْ يَأْخُذُ لَنَا أَمَانًا مِنْهُ، وَبَعْضُهُمْ جَلَسُوا وَأَلْقَوُا بِأَيْدِيهِمْ.

فَمَرَّ أَنْسُ بْنُ الْنَّصْرِ بِقَوْمٍ قَدْ أَلْقَوُا بِأَيْدِيهِمْ فَقَالَ: يَا قَوْمَ مَا تَنْتَظِرُونَ؟

فَقَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص).

قَالَ: فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدِهِ، قَوْمُوا فَقَاتَلُوا عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ، وَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ.

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ، وَلَقِي سَعْدَ بْنَ مَعَاذَ فَقَالَ: يَا سَعْدَ اتَّقِنِي لَأَجْدِرَ حِلَّةَ الْجَنَّةِ مِنْ دُونِ أَهْدَ.

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذُ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتُ هُؤُلَاءِ يَعْنِي بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مَا جَاءَ بِهِ هُؤُلَاءِ يَعْنِي الْمَنَافِقِينَ.

ثُمَّ شَدَّ بِسِيفِهِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

وَذَهَبَتْ صِحَّةُ ابْلِيسِ حَتَّى دَخَلَتْ بَيْوَتَ الْمَدِينَةِ، فَبَكَتْ فَاطِمَةُ (ع) وَلَمْ تَبْقِ هَاشْمِيَّةً وَلَا قَرْشِيَّةً إِلَّا وَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا، وَخَرَجَتْ فَاطِمَةُ (ع) بِأَكِيَّةٍ حَتَّى انْتَهَتْ هِيَ وَصَفْيَةُ إِلَيْهِ (ص).

فَلَمَّا دَنَتْ فَاطِمَةُ (ع) وَرَأَتْ مَا بِأَبِيهَا (ص) مِنَ الْجَرَاحَاتِ خَنْقَتْهَا الْعُبَرَةُ، وَجَعَلَتْ تَمْسِحُ الدَّمِ وَتَقُولُ: اشْتَدَ غُصْبُ اللَّهِ عَلَى مَنْ أَدْمَى وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ (ص).

## المسلمون يتوبون

ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) نَحْوُ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكَ الشَّاعِرُ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا

معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله (ص).

فأشار إليه رسول الله (ص) أن اصمت، فانحازت إليه طانفة من أصحابه، فلامهم النبي (ص) على الفرار.  
قالوا: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتنا الخبر بأنك قلت، فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين، فأنزل الله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبُتْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقُلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (١٢٣).

وقيل: نزلت هذه الآية عندما رجع رسول الله (ص) من أحد إلى المدينة، فاستقبله أهلها بأجمعهم وهم يبكون ويطلبون التوبة ويقررون بالذنب، ونساء الأنصار قد خدشن الوجوه، ونشرن الشعور، وجززن النواصي، وخرقن الجيوب، وحزمن البطون على النبي (ص)، فلما رأينه قال لهنَّ خيراً وأمرهنَّ أن يتسترن ويدخلن منازلهنَّ، وقال: إن الله عزوجل وعدني أن يظهر دينه على الأديان كلها، ثم قال لهم رسول الله (ص): (أيها الناس انكم رغبتم بأنفسكم عَنِّي، ووازرنِي على وواساني، فمن اطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني وفارقني في الدنيا والآخرة) (١٢٤).

## صاحب المهراس

روي انه لما صاح ابنيس بالمدينة: قتل محمد لم يبق أحد من نساء المهاجرين والأنصار إلا وخرجت، كما وخرجت فاطمة بنت رسول الله (ص) تعدو على قدميها، حتى وافته وقعت بين يديه تبكي لما رأت ما أصاب أبيها رسول الله (ص) من الجراحات، وأقبل علي بن أبي طالب (ع) وقد ملا درقه بماء من المهراس (١٢٥) فجاء به رسول الله (ص) ليشرب منه، ثم غسل به عن وجهه الدم، وإليه يشير قول علي (ع) يوم الشورى: (نشدتم بالله هل فيكم أحد وقفت الملائكة معه يوم أحد حين ذهب الناس غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتم بالله هل فيكم أحد سقى رسول الله (ص) من المهراس غيري؟ قالوا لا).

وعن سهل: انه سئل عن جرح رسول الله (ص) فقال: والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله (ص) ومن كان يسكب الماء؟

كانت فاطمة ابنته تغسله وعلي بن أبي طالب يسكب الماء، فلما رأت فاطمة أن الماء لايزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها فاستمسك الدم.

## الصلوة في زوال أحد

وذكر مولى عفرة: ان النبي (ص) صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح، وكذلك صلى المسلمون خلفه قعوداً من شدة ما بهم، وقد انهزم قوم من المسلمين يومئذ بلغ بعضهم إلى الحلوب دون الأعوص.  
فلما قدموا بعد ثلاثة أيام من هزيمتهم قال لهم رسول الله (ص): إلى أين انتهيتم؟

١٢٣ - آل عمران: ٤٤.

١٢٤ - بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٠٦ ب ١٢ ح ٢٠.

١٢٥ - قيل هو صخرة منقرضة تقع كثيرة، وقيل: هو اسم ماء بأحد.

قالوا: إلى الأعوچ.

قال: لقد ذهبت فيها عريضة، أي: واسعة.

## دأب بنى أمية وأتباعهم

ولما انكشف المسلمون عن رسول الله (ص) اشتغل المشركون ونساؤهم بقتل المسلمين يمثّلون بهم ويقطعون الآذان والأنوف وغيرها، ويُبقرن البطنون، ويستخرون منها الأكباد والكلٰي.. فلما تتبع المسلمين قتلامهم لم يجدوا قتيلاً إلا وقد مثّلوا به، إلا حنظلة غسيل الملائكة، فإنَّ أباه وهو أبو عامر الراھب الذي سماه رسول الله (ص) أبو عامر الفاسق وهو صاحب مسجد ضرار، كان مع المشركين فترك له، وكان حمزة عم النبي (ص) أكثر من مثّل به من بين القتلى.

## خاتمة القتال

ولما قتل جمع من المسلمين وفرَّ آخرون، واضطربت الصفوف وتدخلت، جَمَعَ رسول الله (ص) من بقي معه من المسلمين ثم حمل هو (ص) وعلي (ع) والمسلمون معه حملة رجل واحد على القوم، فانهزم المشركون وتشرّت أمرهم وانصرفوا إلى مكة ولم يصلوا إلى ما أرادوا من قتل الرسول (ص) وابادة المسلمين، فكان النصر أخيراً للMuslimين وإن قتل منهم جمع كثير.

## هتافات متقابلة

ولما أراد أبوسفیان الانصراف أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته: انعمت فعال، ان الأيام دول، وان الحرب سجال، يوم بيوم بدر.

فقال رسول الله (ص): لا تجيئونه؟

قالوا: يا رسول الله ما نقول؟

قال (ص): قولوا: لا سواء، قاتلنا في الجنة وقتلنا في النار.

فقال أبوسفیان: لنا العزى ولا عزى لكم.

قال رسول الله (ص): لا تجيئونه؟

قالوا: يا رسول الله ما نقول؟

قال (ص): قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم.

قال أبوسفیان: اعل هبل.

قال رسول الله (ص): لا تجيئونه؟ قولوا: الله أعلى وأجل.

ولما انصرف أبوسفیان ومن معه نادى: أهي ابن أبي كبشة؟ فاما ابن أبي طالب فقد رأينا مکانه.

فقال له علي (ع): أي والذى بعثه بالحق انه (ص) ليس معكم.

قال أبوسفيان: لعن الله ابن قمنة زعم انه قتل محمدأ، ثم قال: انه قد كانت في قتلامك مثلة، وان موعدنا  
وموعدكم بدرأ في العام القابل.

قال رسول الله (ص) لعلي (ع): قل نعم، هو بيننا وبينكم موعد.

## استطلاع أخبار القوم

ثم بعث رسول الله (ص) علي بن أبي طالب (ع) وقال: اخرج في آثار القوم فانتظر ماذا يصنعون وماذا  
يريدون؟ فإن كانوا قد جنعوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن كانوا ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم  
يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرين إليهم فيها ثم لأنجزنهم.

قال علي (ع): فخرجت في أثرهم أنظر ما يصنعون، فجنعوا الخيل وامتطوا الإبل وتوجهوا إلى مكة، فلما وقع  
نظر أبي سفيان على علي (ع) قال له: يا علي ما تريد هو ذا نحن ذاهبون إلى مكة، فانصرف إلى صاحبك  
فأخبره.

فأتبعهم جبرائيل (ع)، فكلما سمعوا حافر فرسه جدوا في السير، وكان يتلوهم فإذا ارتحلوا قالوا: هو ذا  
عسكر محمد قد أقبل، ومازروا كذلك حتى دخلوا مكة منهزمين ومرعوبين.

## ان الله بالغ أمره

وروي: انه لما انصرف أبوسفيان ومن معه من غزاة أحد وبلغوا الروحاء، ندموا على انصرافهم عن  
المسلمين وتلاؤموا فقالوا: لا محمداً قتلتكم، ولا الكواعب أردفتم، قتلتموه حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموه،  
ارجعوا فاستأصلوهم.

بلغ ذلك الخبر رسول الله (ص) فأراد أن يرهب العدو ويريهم من نفسه وأصحابه قوة، فندب أصحابه  
للخروج في طلب أبي سفيان وقال: (الا عصابة تشدد لأمر الله تطلب عدوها، فإنها إنكاء للعدو وأبعد للسمع)  
فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من القرح والجرح الذي أصابهم يوم أحد وامتثلوا ما أمرهم به.

## مدفن الشهداء

ولما وضعت الحرب أوزارها يوم أحد، حمل كل واحد قتيله على جمل ليديفنوهم في المدينة، فكانوا كلما  
توجهوا بهم نحو المدينة بركت الجمال، وإذا توجهوا بهم نحو المعركة أسرعت.  
فسكوا ذلك إلى رسول الله (ص) فقال: ألم تسمعوا قول الله تعالى: (فَلْ تُوْكِنُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَّ الَّذِينَ كُتِبَ  
عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ) (١٢٦) فارجعهم (ص) إلى مكانهم ودفهم بثيابهم الملطخة بالدماء كل رجلين في

قبر - على رواية - الا حمزة (ع) فإنه دفن وحده.

## على مشارف المدينة

ثم انصرف المسلمون مع النبي (ص) إلى المدينة، فاستقبلته فاطمة (ع) ومعها اناناء فيه ماء، فغسل به وجهه، فلما رأته فاطمة (ع) <sup>(١٢٧)</sup> قد شج في وجهه وأدمي فوه ادماءً بكت (ع) وجعلت تمسح الدم وتقول: اشتد خضب الله على من أدمي وجه رسول الله (ص).

وكان معه (ص) علي (ع) وقد خضب الدم يده إلى كتفه، ومعه ذو الفقار، فناوله فاطمة (ع) وقال لها: خذى هذا السيف فقد صدقني اليوم، وأنشاً يقول:

أفاطم هاك السيف غير ذميم\*\* فاست بر عديد ولا بمليم  
لعمري لقد أذرت في نصر أحمد\*\* وطاعة رب بالعبد عليم  
اميطي دماء القوم عنه فإنه\*\* سقى آل عبدالدار كأس حميم  
وقال رسول الله (ص): خذيه يا فاطمة فقد أدى بعلك ما عليه، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش.

## مع ابنة جحش

ف لما ارتحل رسول الله (ص) ودخل المدينة، استقبلته النساء يولون ويبكين، فاستقبلته زينب بنت جحش،  
قال لها رسول الله (ص): احتسببي.

قالت: من يا رسول الله؟  
قال (ص): أخاك.

قالت: (إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) <sup>(١٢٨)</sup> هنئاً له الجنة.  
ثم قال (ص) لها: احتسببي.

قالت: من يا رسول الله؟  
قال (ص): حمزة بن عبد المطلب.

قالت: (إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) <sup>(١٢٩)</sup> هنئاً له الشهادة.  
ثم قال لها: احتسببي.

قالت: من يا رسول الله؟  
قال (ص): زوجك مصعب بن عمر.

قالت: واحزناه.

<sup>١٢٧</sup> - قد سبق أنها (صلوات الله عليها) خرجت إلى أحد بعدما سمعت النداء بقتل أبيها (ص) وذلك على رواية، أو أنها رجعت بعد ذلك ثم استقبلته (ص) عند رحوعه.

<sup>١٢٨</sup> - البقرة: ١٥٦.

<sup>١٢٩</sup> - البقرة: ١٥٦.

فقال رسول الله (ص): إن للزوج عند المرأة لحد ما لا حد مثله.  
فقيل لها: لم قلت ذلك في زوجك؟  
قالت: ذكرت يتم ولده.

## النساء المخلصات

وكانت امرأة من بنى النجار قتل أبوها وزوجها وأخوها مع رسول الله (ص)، فدنت من رسول الله (ص) وال المسلمين قيام على رأسه، فقالت لرجل متسللة بتلطف: أحي رسول الله (ص)؟  
قال: نعم.  
قالت وهي مستبشرة: أستطيع أن أنظر إليه؟  
قال: نعم.  
فأوسعوا لها، فدنت منه (ص) وقالت: كل مصيبة جل بعده يا رسول الله، ثم انصرفت.

## البكاء على حمزة

ولما انصرف رسول الله (ص) إلى المدينة بعد أن صلى على القتلى ودفهم بثيابهم ودمائهم، مر بدور في المدينة، فسمع بكاء النواح على قتلهم، فترقرقت عينا رسول الله (ص) بالدموع وبكي ثم قال: لكن حمزة لا يواكي له.  
فلما سمعها سعد بن معاذ واسيد بن حضير قالا: لا تبكي امرأة حميمها حتى تأتي فاطمة (ع) فتسعدها بالبكاء.  
فلمَا سمع رسول الله (ص) الوعية على حمزة وهو عند فاطمة (ع) على باب المسجد قال: ارجعن يرحمكم الله فقد آسيتن بأنفسكم.

## غزوة حمراء الأسد

ولما وافى اليوم الثاني من انتهاء معركة أحد، أدى مؤذن رسول الله (ص) في الطلب للعدو، وعهد رسول الله (ص) أن لا يخرج معه أحد إلا من حضر المعركة يوم أحد، حيث قال: ألا لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، ألا من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم تكن به جراحة فليقم.  
فخرج معه سبعون رجلاً من أثقلهم الجراح وهم يأملون أن لا تفوتهم غزوة مع رسول الله (ص).  
وقدم (ص) علياً (ع) بين يديه برأية المهاجرين، واستأذنه جابر بن عبد الله في أن يفسح له في الخروج معه، ففسح له في ذلك، فخرجوا على ما بهم من الجهد والجرح، وإنما خرج (ص) مرهباً للعدو ومتجلداً، وذلك بعد أن استخلف على المدينة ابن أم مكتوم، بلغ حمراء الأسد، وهي على ثمانية أميال من المدينة.

وهناك مر برسول الله (ص) معبد بن أبي معبد الخزاعي، وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله (ص)  
مسلمهم وكافرهم، لا يخفون عليه شيء، ومعبد يومئذ مشرك. فقال: يا محمد، أما والله لقد عز علينا ما أصابك  
في أصحابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم.

ثم خرج معبد من عند رسول الله (ص) حتى لقي أباسفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا على الرجعة إلى  
رسول الله (ص) وأصحابه وهم يقولون: أصبنا جل أصحابه وقادتهم وأشرافهم، ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم؟  
فلنكرن على بقائهم فلنفرغ عن منهم.

فلما رأى أباسفيان معبداً، قال: ما وراءك يا معبد؟

قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرّقون عليكم تحرقاً، وقد اجتمع معه من  
كان تختلف عنه في يومكم وندموا على ما ضيّعوا وفيهم من الحنق عليكم ما لم أر مثله قط.

قال: ويلك ما تقول؟

قال: والله ما أراك ترحل حتى ترى نوادي الخيل.

فساء ذلك أباسفيان ومن معه، وقع في قلوبهم الرعب مما دعاهم إلى الإنصراف عما عزموا عليه،  
والرجوع إلى مكة.

هذا ورسول الله (ص) لما نزل بحمراء الأسد أمر أصحابه في الليل بأن يوقدوا حولهم نيراناً كثيرة، فأوقدوا  
خمسة نار كانت ترى من بعيد.

فتصور المشركون ان النبي (ص) يقفوا أثراً في عدد عظيم من أصحابه، فتشاوروا فيما بينهم ثم عزموا  
على الإنصراف إلى مكة.

وأقام رسول الله (ص) بأصحابه هناك ثلاثة أيام، فلما اطمئنوا من انصراف المشركين عن الكراوة عليهم  
رجعوا إلى المدينة فوصلوها يوم الجمعة بعد أن غابوا عنها خمسة أيام.

## سرية الغنو<sup>١</sup> إلى الرجيع

والرجيع - بفتح الراء وكسر الجيم - اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان، وكانت الواقعة بالقرب منه.  
وذلك انه قم على رسول الله (ص) أوائل شهر صفر على رأس أربعة أشهر من أحد نفر من عضل والقارة،  
وقيل: من عضل والديش، وهما بطنان من العرب، ذكرروا للنبي (ص) أن فيهم إسلاماً، ورغبوا أن يبعث معهم  
نفراً من المسلمين يعلّمونهم القرآن ويفقهونهم في الدين.

بعث رسول الله (ص) ستة رجال من أصحابه، وقيل: سبعة، وقيل: عشرة، فيهم مرثد بن أبي مرثد الغنوبي،  
فجعله أميراً عليهم حتى إذا صاروا بالرجيع غدروا بهم، واستصرخوا عليهم هذيلاً، فوقع بين الجانبين قتال  
شديد أسفى عن غلبة المشركين لكثرتهم، واندحار المجموعة الصغيرة من المسلمين لقتلهم وعدم تهيئتهم للحرب  
والقتال.

## سرية منذر إلى بئر معونة

وبئر معونة - بضم العين - موضع ببلاد هذيل بين أرضبني عامر وحرةبني سليم، وهي إلى حرةبني سليم أقرب.

وذلك في أواسط شهر صفر على رأس أربعة أشهر من أحد أيضاً، ولكن قبل أن يصل إلى المدينة أنباء الغدر بسرية الغنوبي إلى الرجيع.

وكان سببها: أن أبا البراء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة قدم على رسول الله (ص)، فعرض (ص) عليه الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد، وقال: يا محمد: إنْ أمرك هذا الذي تدعو إليه حسن جميل، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك.

فقال رسول الله (ص): إنّى أخشى أهل نجد عليهم.

فقال أبوبراء: أنا لهم جار، فتابعهم.

فبعث (ص) المنذر بن عمرو في بضعة وعشرين رجلاً، وقيل: في أربعين رجلاً، وقيل: في سبعين، وكانوا من خيار المسلمين ومن القراء، يحتطبون بالنهار، ويصلون بالليل، ويتدارسون القرآن.

فساروا حتى إذا نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحن بكتابه (ص) إلى عامر بن الطفيلي، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله.

ثم استصرخ عليهمبني عامر فلم يجيبوه وقالوا: نحن لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً، فاستصرخ قبائل منبني سليم: عصيَّة ورعلاً وذكون، فأجابوه إلى ذلك.

ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوه أخذوا سيفهم وقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم، إلا كعب بن زيد، فإنهما تركوه وبه رقم، فارت من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً.

وأسر عمرو بن أمية الضمري، فلما أخبرهم أنه من مضر أخذه عامر بن الطفيلي وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمها.

فقد عمرو بن أمية الضمري إلى رسول الله (ص) وأخبره الخبر، فنعاهم إلى أصحابه وقال: إن أصحابكم قد أصيبوا وأنهم قد سألوا ربهم وقالوا: ربنا أبلغ عنا قومنا بأننا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه.

ولما بلغ ذلك أبا براء، شق عليه اخبار عامر إياه وما أصاب أصحاب رسول الله (ص) بسببه وجواره، ونزل به الموت، فحمل ربيعة بن أبي براء . لما وصله الخبر . على عامر بن الطفيلي وهو في نادي قومه فأخذ مقاتله فأصابه فخذ.

فقال عامر: هذا عمل عمي أبي براء، فلم يجرأ على الثأر منه.

وقيل: ان خبر بعث الرجيع، وخبر أصحاب بئر معونة أتى النبي (ص) في ليلة واحدة فحزن ذلك في قلبه وقلوب المسلمين، وعرف المسلمون ان الغدر والفتنة من عادة الجاهلية والجاهليين، ولا يمكن قلعه ولا اجتناث جذوره إلا بنشر الإسلام وابلاغ تعاليمه الأخلاقية إلى الناس كافة، فاندفعوا بكل قوّة إلى نشر الإسلام وتبلیغ أحكامه والإلتزام بإطاعة الله ورسوله (ص).

## غزوَةُ بَنِي النَّضِير

مضى فيما سبق: انه لما دخل رسول الله (ص) المدينة صالحه بنو النضير كبقية اليهود على أن لا يقاتلوه، ولا يقاتلوا معه، فقبل ذلك منهم.

فأذا غزا رسول الله (ص) بدرأ وظهر على المشركين قالوا: والله انه للنبي الذي وجدنا نعنه في التوراة لاترد له راية، فلما غزا أحد وانهزم المسلمون ارتابوا ونقضوا العهد وأتوا قريشاً وحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد (ص)، فنزل جبرئيل وأخبر النبي (ص) بالخبر.

ولكي يظهر النبي (ص) نوايا بنى النضير العدوانية التي أضمروها لل المسلمين، ويكشف واقعهم السيء للرأي العام، خرج (ص) إليهم يوم السبت في شهر ربیع الأول وصل إلى مسجد قبا ومعه نفر من أصحابه دون العشرة، ثم أتاهم فكلمهم أن يقرضوه في دية بعض القتلى - وكان الإستقرار جارياً بينهم - فقالوا: نفرضك ما أحبت.

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوه على مثل هذه الحال. وكان (ص) إلى جنب جدار من بيوتهم. فقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش، فقال: أنا لذلك.

فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليخبرن بما هممت به، وأنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه. فجاء جبرئيل وأخبر رسول الله (ص) الخبر، فخرج راجعاً إلى المدينة، وذلك بعد أن أوصى علياً (ع) بأن لا يربح من مكانه، وأن يخبر من سأله عنه من أصحابه بتوجهه إلى المدينة، ففعل ذلك، ثم لحقوا به فقالوا: قمت يا رسول الله ولم نشعر.

فقال: همَّت اليهود بالغدر فأخبرني الله بذلك فقمت. ثم أرسل (ص) إليهم من يأمرهم بالجلاء من منازلهم، وكانت منازلهم بناحية الفرع وما والاها بقرية يقال لها: زهرة، وأهلهم عشرة أيام. فوصل الخبر إلى ابن أبي فارسل إليهم من ينهاهم عن الخروج ويعدهم نصرة قومه لهم، وامداد قريظة وخلفائهم من خطfan، فطمعوا في ذلك.

فخرج إليهم رسول الله (ص) فصلَّى العصر بفناء بنى النضير وعلى (ع) يحمل رايته واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

فإنما رأوا رسول الله (ص) قاموا على حصونهم معهم النبل والجارة، فاعتزلتهم قريظة، وخفرهم ابن أبي، فحاصرهم رسول الله (ص) إحدى وعشرين ليلة، وقف الله الرعب في قلوبهم فعزموا على الخروج من المدينة من دون قتال.

فقال لهم رسول الله (ص): أخرجوا منها لكم دماءكم وما حملت الإبل إلا الحلقـة وهي السلاح. فخرجوا بالنساء والصبيان يزمرـون ويضربون بالدفوف، وتحمـلوا على ستمائة بعير حتى ان الرجل منهم يقلع بباب بيته ويضعه على بعيره، ثم يخربون بيوتهم بأيديهم ويخرجـون، فمنهم من صار إلى خبر، ومنهم من صار إلى الشام، ومنهم من صار إلى الحيرة.

## أموال بنى النضير

وقبض رسول الله (ص) السلاح والأموال صافية له، لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركب، وإنما قذف الله في قلوبهم الرعب، فسلموا بدون قتال ولا ارادة دماء، فكان ممّا أفاءه الله على رسوله.

فدعى رسول الله (ص) حينئذ الأنصار كلها الأوس والخزرج، فحمد الله وأثنى عليه وذكر الأنصار وما صنعوا بالمهاجرين، وانزل لهم إيمانهم في منازلهم، واثرتهم على أنفسهم، ثم قال (ص): إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليّ من بنى النضير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم.

فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: يا رسول الله بل تقسمه للمهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا.

ونادت الأنصار: رضينا وسلمنا يا رسول الله.

فقال رسول الله (ص): (اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار) وقسم ما أفاء الله عليه بين المهاجرين دون الأنصار إلا رجلين من الأنصار كانا محتاجين، ووسع (ص) في الناس في أموال بنى النضير، وأنزل الله تعالى في قصة بنى النضير سورة الحشر، ومدح الأنصار - على رواية - بقوله: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) (١٣٠).

وفي مجمع البيان عن أبي هريرة: ان الآية نزلت في شأن علي (ع) وفاطمة (ع) في ضيافة كانت لهما قد آثرا ضيفهما على أنفسهما.

وفي هذه الغزوة ألبى علي (ع) بلاءً حسناً حيث قتل اليهود العشرة بقيادة رئيسهم عازورا الدين خرجوا من الحصن في ظلام الليل لعمليات تخريبية واغتيال النبي (ص) وكفى الله المؤمنين به شرهم، وفيه يقول حسان بن ثابت:

الله أي كريهة أبليتها\*\*\*بني نضير والنفوس تطلع  
أردى رئيسهم وآب بتسعة\*\*\*طوراً يسلّهم وطوراً يدفع

## من أسلم من بنى النضير

ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان: يامين بن عمير، وهو ابن عم عمرو بن جحاش الذي انتدب للفاء الصخرة على رسول الله (ص)، وأبو سعد بن وهب.

أسلموا على أموالهما، واحرازها، وحسن اسلامهما، حتى أن يامين على ما قيل: جعل لرجل جعلاً على أن يقتل له ابن عمه عمرو بن جحاش على ما أراده من اغتيال رسول الله (ص) ففعل الرجل ذلك.

## غزوة بنى لحيان

ثم كانت بعد غزوة بنى النضير غزوة بنى لحيان، فقد خرج اليهم رسول الله (ص) يطلب بأصحاب الرجيع الذين غدر بهم بنو لحيان وقتلواهم عن آخرهم.

وأظهر (ص) عند خروجه إليهم انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة يفاجئهم بها فيستسلموا من دون حرب فيقل القتل وسفك الدماء، ولذلك خرج (ص) وأخذ في السير حتى نزل على منازل بنى لحيان بين أمّ عسفان، فوجدهم قد حذروا وتمتّعوا في رؤس الجبال، فتركهم.

عندما قال المسلمون: لو انا هبّطنا عسفان لرأى أهل مكة انا قد جئنا مكة، فسار (ص) وهو في مانتي راكب حتى نزل عسفان تخويفاً لمشركي مكة، وجاز على قبر امه فزارها، وأرسل فارسين من الصحابة حتى بلغا كراع الغميم، ثم عاد ولم يلق حرباً.

## غزوة ذات الرقاع

وبعد مضي شهرين من غزوة بنى النضير (١٣١) كانت غزوة ذات الرقاع، وسميت ذات الرقاع لأنّهم رقعوا رياطهم.

وقيل: لأنّهم كانوا بقرب جبل فيه بقعة بياض وسود وحمرة.

وقيل: لأنّ أقدامهم نبت فيها، فكانوا يلقون على أقدامهم الخرق.

وقيل: لوقوع صلاة الخوف فيها وصلاة الخوف ترقيع للصلوة.

وكان سببها: ان قادماً قدم المدينة بمداع له، فأخبر رسول الله (ص) بأن انماراً وثعلبة قد جمعوا له الجموع يريدون اجتياح المدينة.

فخرج (ص) إليهم ليلة السبت لعشر خلون من المحرم في أربعينية رجل، وقيل: في سبعينية، وقيل: في ثمانينية من أصحابه، فسار حتى نزل في محلّهم بذات الرقاع وهي جبل، فلقي المشركون ولم يقع بينهم حرب، ولكن خاف المسلمون أن يُغيّر المشركون عليهم، فنزلت صلاة الخوف، فصلّى رسول الله (ص) بأصحابه صلاة الخوف، وكان أول ما صلّاه.

## كرم رسول الله (ص) وحلمه

ونزل رسول الله (ص) في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير واد، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه، فرأه رجل من المشركين، فقال لقومه: أنا أقتل محمداً فجاء وشد على رسول الله (ص) بالسيف وقال: من ينجيك متى؟

قال (ص): ربّي وربّك، فنسفه جبريل عن فرسه فسقط، فقام رسول الله (ص) فأخذ السييف وجلس على

١٣١ - وقيل: بعد فتح بنى قريضة.

صدره وقال: من ينجيك متى؟

قال: جودك وكرمك، فتركه (ص)، وقام الرجل فجاء إلى قومه وقال: جئتم من عند خير الناس، فأسلم بسببه جماعة.

وفي رواية: انه عندما جلس (ص) على صدره قال له: تشهد أن لا إله إلا الله واني رسول الله؟ فقال الرجل: اعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى (ص) سبيله، فجاء الرجل إلى قومه وقال: جئتم من عند خير الناس...

## ثبات وصمود

ثم انصرف رسول الله (ص) بأصحابه راجعاً إلى المدينة، وذلك بعد أن أصابوا بعض الغائم، وفي الطريق باتوا في فم شعب، فانتدب عباد بن بشير وعمار بن ياسر للحراسة يتناوبانها بينهما.  
فnam عمّار وقام عباد للحراسة واشتغل بالصلوة، وفي الأثناء جاء رجل من الأعداء وهو يريد اصابة شيء أو ارقة دم، فلما رأى طليعتهم عباد أخذ يرميهم بالسهم نحو الآخر وعباد صامد لا يتحرك حتى إذا غلبه الدم رکع وسجد وأتّم صلاته ثم أيقظ صاحبه وأخبره الخبر.  
فقال له عمار: ألا أخبرتني أول ما رماك!

قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها، وأيم الله لولا خوفي أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله (ص)  
بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها.

## تفقد الرسول (ص) أصحابه

وكان رسول الله (ص) يسير في مؤخر القوم ليضعف الضعيف منهم، ويحمل معه من قدميه مركبه وعجز به عن حمله، وفي هذه المرة وفي طريق العودة من ذات الرقاع التقى بجابر بن عبد الله الأنصاري وقد تخلف عن القوم فقال له:

ما لك يا جابر؟

قال جابر وهو يشير إلى جمله: أبطأ بي هذا.

فدنى رسول الله (ص) إلى الجمل، ومسح يده عليه فقوى الجمل وأخذ يواهق ناقته موافقه، ثم قال لجابر: يا جابر أتبيني جملك هذا؟

قال: بل أحبه لك يا رسول الله.

قال (ص): لا، ولكن بعنيه.

قال: إذن فساومني عليه يا رسول الله.

قال (ص): قد أخذته بدرهم.

قال: إذن تعيني يا رسول الله.

قال (ص): فبدرهمين.

قال جابر: لا.

فلم يزل يرفع له رسول الله (ص) في ثمنه حتى بلغ الأوقية. فقال (ص): أرضيت يا جابر؟

قال جابر: نعم رضيت يا رسول الله فهو لك.

قال (ص): قد أخذته ولك ظهره إلى المدينة.

ثم قال له رسول الله (ص): هل تزوجت يا جابر؟

قال: نعم يا رسول الله (ص).

قال (ص): ثييأ أم بكر؟

قال: بل ثييأ، فابتسم رسول الله (ص) وقال: أفلأ جارية؟

قال جابر وقد تنفس الصعداء: يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك سبع بنات فنكت امرأة جامعه  
تجمع رؤسهن وتقوم عليهن.

وهنا تأثر رسول الله (ص) حتى ظهر على قسمات وجهه الشريف آثاره وقال مستحسناً عمل جابر: أحسنت  
وأصبت يا جابر.

ثم سأله عن دين أبيه فأخبره. فقال (ص) له: إذا دخلت المدينة وأردت أن تجذب ذلك وتأخذ تمراها فأخبرني.

قال جابر: فدخلت المدينة وحدثت زوجتي الحديث وما قال لي رسول الله (ص). فقالت مستبشرة: فدونك،  
سمع وطاعة.

قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل حتى أخذه على باب المسجد، ثم جلست في المسجد قريباً منه، فخرج  
رسول الله (ص) إلى المسجد فرأى الجمل فقال: ما هذا؟  
قالوا: يا رسول الله هذا جمل جابر.

قال (ص): وأين جابر هو؟ فدعى له، فلما مثل بين يديه قال (ص) له: يا ابن أخي خذ برأس جملك فهو لك،  
ثم دعا بلاً وقال له: اذهب بجابر فاعطيه أوقية.  
قال جابر: فذهبت معه فأعطياني أوقية وزادني.

## الله أرحم بكم

ومما يذكر وقوعه في غزوة ذات الرقاع: إن رجلاً جاء وفي يده فرخ طائر حتى إذا وصل إليهم رأوا أن  
أبويا هذا الفرخ يرفرفان فوق رأسه، فلما استقر الرجل بينهم طرحا أنفسهما على فرخهما ولم يعيما بالخطر  
شفقة ورحمة بفرخهما، فتعجب الناس من ذلك.

فالتفت إليهم رسول الله (ص) وقال: أتعجبون من هذا الطائر، أخذتم فرخه، فطرح نفسه رحمة بفرخه؟ والله  
لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه. ثم التفت (ص) بعد ذلك إلى الرجل وأمره بإطلاقه.

## غزوة بدر الأخيرة

ولما قدم رسول الله (ص) من غزوة ذات الرقاع إلى المدينة أقام بها جمادى الأولى إلى آخر رجب، ثم خرج في شعبان وقيل: أقام بها إلى آخر شوال، ثم خرج في هلال ذي القعدة في السنة الرابعة من الهجرة النبوية المباركة إلى بدر لميعاد أبي سفيان.

وذلك أنَّ أبي سفيان قال يوم أحد عند انصرافه منهزاً إلى مكة: الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل. فقال رسول الله (ص) لعلي (ع): قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد.

فخرج رسول الله (ص) وحمل لواهه على (ع) وسار معه ألف وخمسمائة من أصحابه، والخيل عشرة أفراس، وذلك بعد أن استعمل على المدينة عبدالله بن رواحة.

فلما وصلوا إلى بدر الصغرى - وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام - أقاموا عليها ينتظرون أبي سفيان.

وخرج أبو سفيان من مكة ومعه ألفان وخمسون فرساً حتى نزل مجنة من ناحية مَرَ الظهران ثم بدا له الرجوع، فبعث من يثبط المسلمين عن الخروج إليهم ووعده على ذلك عشرة من الإبل يضعها له على يدي سهيل بن عمرو إن هو فعل ذلك.

ثم التفت أبو سفيان إلى مَن معه وقال: يا معاشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصب، وإن عامكم هذا عام جدب، واني راجع فارجعوا، فرجع ورجع من كان معه.

فسماهم أهل مكة: جيش السوق يقولون: إنما خرجتم تشربون السوق.

وأقام رسول الله (ص) وأصحابه ببدر ثمانية أيام لم يلقو فيها أحداً من المشركين، ووافقوا السوق وكانت لهم تجارات فباعوها وأصابوا الدرهم درهمين، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غائمين.

## مع أشجع وبني ضمرة

وفي الطريق مرَ رسول الله (ص) ومعه أصحابه قريباً من بلاد أشجع وبني ضمرة، وكان قد هادن بني ضمرة ووادعهم من قبل.

قال أصحاب رسول الله (ص): يا رسول الله هذه بني ضمرة قريباً منا، ونخاف أن يخالفونا إلى المدينة، أو يعينوا علينا قريشاً، فلو بدأنا بهم؟

قال رسول الله (ص): كلا انهم أبْرَ العرب بالوالدين، وأوصلهم للرحم، وأوفاهم بالعهد.

وكانت (أشجع) بلادهم قريباً من بلاد بني ضمرة وهم بطن من كنانة، وكان بين أشجع وبني ضمرة حلف في المراعاة والأمان، فأجذبت بلاد أشجع، وأخصبت بلاد بني ضمرة، فصارت أشجع إلى بلاد بني ضمرة، فكان حالها البيضاء والجلب المستباح، وبذلك كانوا قد قربوا من رسول الله (ص) فهابوا لقربهم منه وخطرهم عليه، أن يبعث إليهم رسول الله (ص) من يغزوهم.

كما انَّ رسول الله (ص) خافهم بسبب قربهم أن يصيروا من أطرافه شيئاً، فهم بالمسير إليهم، فبينا هو على

ذلك، إذ جاءت أشجع ورئيسها مسعود بن رخيلة وهم سبعمائة فنزلوا شعب سلع، عندها دعى رسول الله (ص) أسد بن حضير وقال له: اذهب أنت ونفر من أصحابك حتى تنظر ما أقدم أشجع؟

فخرج أسد ومعه ثلاثة من أصحابه، فوقف عليهم وقال: ما أقدمكم؟

فقام إليه رئيس أشجع مسعود بن رخيلة وسلم على أسد وعلى أصحابه وقال: جئنا لنوادع محمداً، فرجع أسد إلى رسول الله (ص) وأخبره بالخبر.

قال رسول الله (ص): خاف القوم أن أغزوهم فأرادوا الصلح بيني وبينهم، ثم بعث إليهم عشرة أحمال تمر فقدمها أمامة ثم قال: (نعم الشيء الهدية أمام الحاجة) ثم أتاهم (ص) فقال: يا عشر أشجع ما أقدمكم؟

قالوا: قربت دارنا منك، وليس في قومنا أقل عدداً منا، فضقنا بحربك لقرب دارنا منك، وضقنا بحرب قومنا لافتتنا فيهم، فجئنا لنوادعك.

فقبل النبي (ص) ذلك منهم ووادعهم فأقاموا يومهم ثم رجعوا إلى بلادهم، وفيهم نزلت هذه الآية: (إِلَّا الَّذِينَ يَصْلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنُكُمْ وَبَيْنُهُمْ مِيثَاقٌ أُوْجَأُوكُمْ حَسِيرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أُوْيُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ) (١٣٢).

## غزوة دومة الجندل

و(دومة الجندل) مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال، وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة أو ست عشرة. وكان سببها أنه بلغه (ص) أن بها جماعة كثيراً يظلمون من مرّ بهم، من المسافرين والتجار، وانهم يريدون الإغارة على المدينة، فخرج لخمس ليال بقين من ربيع سنة خمس للهجرة النبوية المباركة، وذلك في ألف من أصحابه، فكان يسير الليل ويكتفي النهار، حتى إذا دنا من دومة الجندل بلغ أهلها خبره فتفرقوا من فورهم. فنزل (ص) بساحتهم فلم يلق بها أحداً، فاقام بها أياماً، وبث السرايا وفرقها، فرجعوا بعد يوم ولم يصادفوا منهم أحداً.

ثم عاد رسول الله (ص) إلى المدينة ولم يلق كيداً. وكان ذلك تمهدًا لما حدث بعد ذلك من فتح الشام.

## غزوة الخندق (الأحزاب)

وكانت في شوال سنة خمس من الهجرة النبوية المباركة.

وذلك ان نفراً من اليهود منهم: سلام بن أبي الحقيق النضريري، وحيي بن أخطب، وكناة بن الربيع، وهذه بن قيس الوالبي، وأبو عمارة الوالبي في نفر من بني النضرير، ونفر من بني وائل، خرجوا حتى قمموا على قريش بمكة فقالوا لهم: إنَّ مُحَمَّداً قد وترنا ووتركم، وأجلاتنا من المدينة من ديارنا وأموالنا، وأجلنا بني عمنا بني قينقاع، فسيروا في الأرض وأجمعوا حلفاءكم وغيرهم حتى نسير إليهم، فإنه قد بقي من قومنا ببئر بسبعمائة مقاتل وهم بنو قريظة وبينهم وبين محمد عهد وميثاق، وإنما نحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمد ويكونون معنا عليهم، فتأتونه أنت من فوق، وهم من أسفل، وكان موضع بنو قريظة من المدينة على قدر ميلين

وهو الموضع الذي يسمى ببئر بنى المطلب، وقالوا: إننا سنكون معكم عليه حتى نستأصله.  
فقالت لهم قريش: يا معاشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا مختلف فيه نحن ومحمد، أديتنا  
خير أم دينه؟

قالوا: بل دينكم خير من دينه، وانكم أولى بالحق منه.  
فأنزل الله تعالى فيهم - على رواية - : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نُصُبَيَا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالظَّاغُوتِ  
وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُوَلَاءُ أَهْدِي مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَيِّلًا) (١٣٣) إلى قوله: (وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا) (١٣٤).  
فما قالوا ذلك لقريش سرّهم ونشطوا لما دعوه إلينا من حرب رسول الله (ص).  
وجاءهم أبو سفيان فقال لهم: قد مكّنكم الله من عدوكم، هذه اليهود تقاتل معكم ولن تنفك عنكم حتى نأتي  
على جميعهم، أو نستأصلهم، فاجتمعوا بذلك واتعدوا له.  
ثم خرج ذلك النفر من اليهود حتى أتوا غطفان من قيس عيلان فدعوه إلى حرب رسول الله (ص)  
وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأنّ قريشاً قد تابعوهم على ذلك.  
فخرجت قريش وقادهم إذ ذاك أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقادها عيينة بن حصن فيبني  
قرارة، والحارث بن عوف فيبني مرة، ومسعر بن دخيلة فيمن تابعه من قومه من أشجع، وتوجهوا في عشرة  
آلاف، وقيل: في ثمانية عشر ألف رجل، نحو المدينة.

## المشورة تهدي إلى الظفر

فما سمع بهم رسول الله (ص) استشار أصحابه، فكان رأيهم على المقام في المدينة وحرب القوم إن جاءوا  
إليهم على أنقابها.

فأشار سلمان الفارسي بالخندق واستحسن القوم، ونزل جبرائيل على رسول الله (ص) بصواب رأي سلمان.  
فخرج رسول الله (ص) فحدّ حفر الخندق من ناحية أحد إلى راتج، حيث كان سائر أنحاء المدينة مشبك  
بالخيل والبنيان، وخطّ موضع الحفر بخط على الأرض، فضرب الخندق على المدينة فعمل فيه رسول الله (ص)  
ترغيباً للمسلمين في الأجر فحرف بنفسه في موضع المهاجرين، وعلى (ع) ينقل التراب من الحفرة، حتى عرق  
رسول الله (ص) وعيي وقال: (لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم اغفر لالنصار والمهاجرين).

قالوا مجيبين له:

(تحن الذين بايعوا محمداً \*\*\* على الجهاد ما بقينا أبداً)

وكان سلمان رجلاً قوياً، فقال المهاجرون: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال النبي (ص):  
(سلمان منا أهل البيت).

وكان لكل عشرة منهم أربعون ذراعاً يحفرونها، فبدأ رسول الله (ص) فعمل فيه وعمل فيه المسلمون، فدأب  
فيه فدأبوا.

.٥١ - النساء: ١٣٣

.٥٥ - النساء: ١٣٤

وأبطة عن رسول الله (ص) وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يورون بالضعف عن العمل، ويسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله (ص) ولا إذن.

وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتة نابة من الحاجة التي لابد منها ذكرها لرسول الله (ص) واستاذنه باللحوق بحاجته فإذا ذكر له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتساباً له، فأنزل الله في أولئك المؤمنين: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَاءُوكُمْ لَمْ يَتَهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوكُمْ) (١٣٥).

ثم قال تعالى في المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويدهبون بغير إذن: (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءَ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْلَلُونَ مِنْكُمْ لِوَادِي) (١٣٦).

وكان الذي أشار بالخندق سلمان فقال: يا رسول الله، إننا كنا بأرض فارس إذا حوصلنا خندقا علينا، ولم تكن تعرفه العرب قبل ذلك، ولذا قال المشركون لما رأوا الخندق: أنها مكيدة فارسية ما كانت العرب تكيداً.

## النبي (ص) يجوع ليشبع الآخرون

قال علي (ع): كنا مع النبي (ص) في حفر الخندق إذ جاءته فاطمة (ع) ومعها كسرة من خبز، فدفعتها إلى النبي (ص) فقال: يا فاطمة ما هذه؟

قالت (ص): قرص خبزته للحسن والحسين (عليه السلام) جنتك منه بهذه الكسرة.

فقال النبي (ص): أما إنه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاث.

## بوارق الفتح

وبينا المهاجرون والأنصار يحررون إذ عرض لهم جبل لم تعلم فيه المعاول، فبعثوا جابر بن عبد الله الأنصاري إلى رسول الله (ص) يعلمه بذلك.

قال جابر: فجئت إلى رسول الله (ص) وقد شد على بطنه حجر المجائعة، وأخبرته بالخبر.

فأقبل (ص) ودعا بماء في إناء، فشرب منه ثم مج ذلك الماء في فيه، ثم صبه على ذلك الحجر، ثم أخذ معولاً فقال: باسم الله، فضرب ضربة، فبرقت برقة، فنظرنا فيها إلى قصور الشام، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور المدائن، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة أخرى فنظرنا فيها إلى قصور اليمن.

فقال رسول الله (ص): أما انه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرقة، ثم انهال علينا الجبل كما ينهال الرمل.

١٣٥ - النور: ٦٢.

١٣٦ - النور: ٦٣.

## في ضيافة جابر

قال جابر: فلما رأيت رسول الله (ص) قد شد على بطنه حجراً علمت بأنه جائع، فقلت له: يا رسول الله هل لك في الغداء؟

قال (ص): ما عندك يا جابر؟

قلت: عنق وصاع من شعير.

قال (ص) تقدم وأصلح ما عندك.

قال جابر: فجئت إلى أهلي فأمرتها فطحنت الشعير، وذبحت العنز وسلختها، وأمرتها أن تخبز وتتطبخ وتشوي، فلما فرغت من ذلك، جئت إلى رسول الله (ص) فقلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله قد فرغنا، فاحضر مع من أحببت.

فقام رسول الله (ص) إلى شفير الخندق ثم قال: يا معاشر المهاجرين والأنصار أجيروا جابراً، وكان في الخندق سبعمائة رجل، فخرجوه كلهم! ثم لم يمر (ص) بأحد من المهاجرين والأنصار إلا قال: أجيروا جابراً!

قال جابر: فأسرعت إلى البيت وقلت لأهلي: قد والله أتاك رسول الله (ص) بما لا قبل لك به.

فقالت: هل أنت أعلمته بما عندنا؟

قال: نعم.

قالت: هو أعلم بما أتى.

قال جابر: فدخل رسول الله (ص) فنظر في القدر، ثم نظر في التنور، ثم دعى بصفحة فثرد فيها وغرف، فقال: يا جابر أدخل على عشرة، فدخلت عشرة، فأكلوا حتى نهلو، وما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم.

ثم قال: يا جابر على بالذراع، فأتيته بالذراع فأكلوه.

ثم قال: أدخل على عشرة، فدخلوا فأكلوا حتى نهلو وما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم.

ثم قال: يا جابر على بالذراع، فأتيته فأكلوا وخرجوا.

ثم قال: أدخل على عشرة، فأدخلتهم فأكلوا حتى نهلو ولم ير في القصعة إلا آثار أصابعهم.

ثم قال: يا جابر على بالذراع، فأتيته بالذراع فتعجبت وقلت: يا رسول الله كم للشاة من ذراع؟

قال (ص): ذراعان.

قلت: والذي بعثك بالحق نبياً لقد أتيتك بثلاثة.

فقال: أما لو سكت يا جابر لأكلوا كلهم من الذراع.

قال جابر: فأقبلت أدخل عليه عشرة فأكلون حتى أكلوا كلهم، وبقي والله لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أياماً.

## المشركون ومحاصرة المدينة

قال: وحفر رسول الله (ص) الخندق وأتمه قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، وقد طال حفره ما يقارب من شهر واحد، وذلك بعد أن جعل له ثمانية أبواب، وجعل على كل باب رجلاً من المهاجرين ورجالاً من الأنصار مع جماعة يحفظونه.

ثم ضرب (ص) عسکره هناك وكانوا ثلاثة آلاف، فجعل الخندق أمامه، وجعل ظهره إلى سلع وهو جبل بالمدينة، وأمر بالذاري والنساء فرفعوا في الآطم، وذلك بعد أن استعمل ابن أم مكتوم على المدينة. وقدمت الأحزاب وعلى رأسهم قريش ومعهم حبي بن أخطب، فلما نزلوا العقيق جاء حبي بن أخطب إلىبني قريظة في جوف الليل، وكانتوا في حصنهم وقد تمسكوا بما عاهدوا عليه رسول الله (ص) فدق باب الحصن، فسمعه كعب بن أسد صاحب عقدبني قريظة وعهدهم، وكان هو بنفسه الذي وادع رسول الله (ص) على قومه وعاقده على ذلك، فعرف انه حبي بن أخطب، فأغلق دونه باب حصنه، فاستأنف عليه، فأبى أن يفتح له. فناداه حبي: ويحك يا كعب افتح لي.

قال: ويحك يا حبي إنك أمرت مشؤوم، واني قد عاهدت محمدأ، وانك لست بناقض مابيني وبينه ولم أر منه إلا وفاءً وصدقأ.

قال: ويحك افتح لي أكلمك.

فقال: ما أنا بفاعل.

قال حبي، وقد فتر في كلام يثير به كعب: والله ما أغلقت الباب دوني إلا عن جشيشتك التي في التنور تخاف أن آكل منها.

فاحفظ الرجل ففتح له وقال: لعنك الله لقد دخلت علي من باب دقق.

فقال حبي: ويحك يا كعب جنتك بعز الدهر وببحر طام، جنتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسياح من دومة، وبغطfan على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بنصب نقمى إلى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدأ ومن معه.

قال كعب: جنتي والله بذل الدهر وبجهام قد هرق ماوه، فهو يرعد ويبرق وليس فيه شيء، ويحك يا حبي فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً.

فلم يزل حبي يفتله في الذروة والغارب ويقول له: بأن محمدأ لا يفلت من هذا الجمع أبداً، وان فاتك هذا الوقت لا تدرك مثله أبداً، حتى سمع له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لن رجعت قريش وغضfan ولم يصيروا محمدأ أن أدخل معك في حصنك حتى يصيرون ما أصابك.

وبهذا تمكّن حبي من اقتحام كعب، فلما اقتحم كعب بذلك أرسل إلى كل من كان في الحصن من رؤساء اليهود وقال لهم: ما ترون؟

قالوا: أنت سيدنا وصاحب عهتنا فإن نقضت نقضنا معك، وإن أقمت أو خرجت كنا معك.

فقال لهم (ابن باطا) وكان أحد رؤسائهم: انه قرأ في التوراة وصف هذا النبي وانه لو ناوته الجبال الرواسى لغلبها، فلا يهولنه هؤلاء وجمعهم، وحذرهم مغبة نقضهم العهد معه.

وهنا انبرى حبي و قال: ليس هذا ذاك، ذلك النبي منبني إسرائيل، وهذا من العرب، وما زال يقلبهم عن رأيهم حتى أجابوه، ثم طلب حبي الكتاب الذي كان بينهم وبين رسول الله (ص) فمزقه وقال: قد وقع الأمر فتجهزوا للقتال، فنقضوا عهدهم وعزموا على القتال.  
وجاء حبي بن أخطب إلى أبي سفيان والأحزاب فأخبرهم بنقض بنبي قريظة عهدهم ففرحوا بذلك.

## بني قريظة يعلنون خيانتهم

ثم بدأ بنو قريظة يظهرون خيانتهم ونقضهم للعهد، وحاولوا أن يغيروا على المدينة من منافذها المؤدية إلى مساكن النساء والأطفال فبعثوا أحدهم ليطلع على المنافذ ويخبرهم بها.  
وفي أثناء استطلاعه بصرت به صفية بنت عبدالمطلب وهي مع جماعة من النساء والأطفال وفيهم حسان بن ثابت كانوا في حصن فارع حصن حسان بن ثابت، فقالت لحسان: لو نزلت إلى هذا اليهودي لقتله، فإنه يريد أن يدلّ بنو قريظة على المنافذ المؤدية إلى الحصن.  
فقال حسان: يا بنت عبدالمطلب لقد علمت ما أنا بصاحب هذا.  
وهنا تحزّمت صفية ثم نزلت وأخذت عموداً وقتلته به، ثم عادت إلى الحصن وقالت لحسان: الآن فاخذ واسلبه.  
أجابها حسان: لاحاجة لي في سلبه.

## النبي (ص) وأخبار بني قريظة

ولما نقض بنو قريظة عهدهم، انتهى خبرهم إلى رسول الله (ص) فبعث إليهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبدالله بن رواحة وخوات بن جبير وقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس.  
فخرجوا حتى أتواهم فوجدوهم على أخت ما بلغهم عنهم، ونالوا من رسول الله (ص) وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد.  
فشتّتهم سعد بن معاذ وشاتموه وكان رجلاً فيه حدة.  
قال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة.  
ثم أقبل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومن معهما إلى رسول الله (ص) فسلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة.  
أي: كدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع.  
فقال رسول الله (ص): الله أكبر أبشروا بنصر الله يا معاشر المسلمين، وكان (ص) يبعث الحرس إلى المدينة خوفاً على الذراري من بنو قريظة.  
لكن عظم على المسلمين البلاء واشتد الخوف عندما أتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم وحاصرتهم حول الخندق حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال بعضهم: قد كان محمد يعذنا

أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب لقضاء حاجته. وأنزل الله تعالى: (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا عُزُورًا) (١٣٧).  
وقال رجال معه: (يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا).

وقال بعضهم: يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو، فانذن لنا فترجع إلى ديارنا فإنها خارج المدينة، فأنزل الله سبحانه: (وما هي بعورة ان يريدوا إلا فرارا).

## مفاوضات عسكرية

فَلَمَّا اشتدَّ الْبَلَاءُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُثْرَةِ الْأَحَزَابِ وَطُولِ مَحَاصِرَتِهِمْ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِلَى عَيْنَةَ بْنِ حَصْنٍ وَإِلَى الْحَارِثَ بْنِ عَوْفٍ وَهُمَا قَانِدَا غَطْفَانَ، فَمَا فَوَّهُمَا بِأَنْ يَعْطِيهِمَا ثَلَاثَ ثَمَارَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ يَرْجِعُوهَا مَبْعَثَهُمْ عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، وَذَلِكَ لِيَفْتَحَ فِي عَضْدِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمَا مَذَاقُرُ الصلحِ، وَلَمْ تَقْمِ الشَّهَادَةُ وَلَا عَزِيمَةُ الصلحِ، إِلَّا المَرَاوضَةُ فِي ذَلِكَ.

فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى سَعْدَ بْنِ مَعَاذَ وَسَعْدَ بْنِ عَبَادَةَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْرَا تَحْبَهُ فَنَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئًا أَمْرَكَ اللَّهُ بِهِ لَبْدَ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ فَافْعُلُهُ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا؟

قَالَ (ص): بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَمَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنِّي رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمْتُمُونَ قُوَّسَ وَاحِدَةً وَجَاؤُوكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شُوَكَتِهِمْ إِلَى أَمْرِهِمْ.

فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَنَا نَحْنُ وَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى الشُّرُكَ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأُوثَانِ وَلَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَطْعَمُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرَنَا تَمْرَةً إِلَّا قَرَى أَوْ بَيْعًا، أَفَهُمْ أَكْرَمُنَا اللَّهُ بِالإِسْلَامِ وَهُدَانَا بِهِ نَعْطِيهِمُ أَمْوَالَنَا؟ مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللَّهُ لَا نَعْطِيهِمُ إِلَّا السَّيْفَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): الْآنَ قَدْ عَرَفْتُمْ مَا عَنْكُمْ، فَكُونُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَنْ يَخْذُلْ نَبِيَّهُ وَلَنْ يَسْلِمَهُ حَتَّى يَنْجِزَ لَهُ مَا وَعَدَهُ.

وَكَانَ هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى الْفَتَّ فِي أَعْضَادِ الْمُشْرِكِينَ، وَاسْتَخْبَارِ مَعْنَوَيَاتِ الْمُسْلِمِينَ، تَعْلِيمًا مِنَ الرَّسُولِ (ص)

فِي اسْتِشَارَةِ الْحَكَامِ أَهْلِ الْخِبَرَةِ أَيْضًا.

## بدء القتال

وَلَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَزْمَ أَصْحَابِهِ وَعُلُوَّ مَعْنَوَيَاتِهِمْ رَغْمَ طُولِ الْمَحَاصِرَةِ حَيْثُ دَامَتْ بَضْعًا وَعَشْرِينَ لَيْلَةً وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ إِلَّا الرَّمِيُّ بِالنَّبْلِ وَالْحَصْنِ، قَامَ (ص) يُشَجِّعَ أُولَئِنَاءِ الَّذِينَ أَصَابُوهُمُ الْعَذَابُ وَالْوَهْنُ خَوْفًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَيُحَرِّضُهُمْ عَلَى جَهَادِهِمْ، وَيُعِدُّهُمُ النَّصْرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُحَثِّهِمْ بِذَلِكَ عَلَى الْمَجَابَةِ إِذَا نَشَبَ الْقَتَالُ.

وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ انتَدَبَتْ فَوَارِسُ مِنْ قَرِيشٍ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ فَارِسٌ يَلِيلٌ: عُمَرُ بْنُ عَبْدُو الدَّاعِمِيِّ، خَرَجَ

. ١٣٧ - الأحزاب: ١٢.

مُعْلِمًا لِيَرِى مشهده، وكان يَعْدَ بِأَلْف فَارس، فَأَقْبَلُوا عَلَى خَيْلِهِمْ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى الْخَنْدَقِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: وَاللهِ إِنَّ هَذِهِ لِمَكِيدَةِ مَا كَانَتِ الْعَرَبُ تَكِيَّهَا، ثُمَّ تَيَمَّمُوا مَكَانًا ضِيقًا مِنَ الْخَنْدَقِ فَضَرَبُوا خَيْلَهُمْ فَاقْتَحَمُوهُ مِنْهُ فَجَالَتْ بَهُمْ خَيْلَهُمْ فِي السُّبْخَةِ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَسَلْعَ، وَكَانَ عُمَرُ الْعَامِرِيُّ هَذَا وَمَنْ مَعَهُ أَوْلَى مِنْ عَبْرِ الْخَنْدَقِ. فَخَرَجَ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) فِي نَفْرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَخْذُوا عَلَيْهِمُ التَّغْرِيَةَ الَّتِي اقْتَحَمُوهُ مِنْهَا وَمَنَعُوا مِنْ عَبْرِ الْآخَرِينَ، وَأَقْبَلَتِ الْفَرَسَانُ تَعْنِقَ نَحْوَهُمْ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدُوْدُ يَنْادِي تَارَةً: أَلَا رَجُلٌ يَبَارِزُنِي؟

وَيَصْرَخُ أَخْرَى: أَيْنَ جَنَّتُكُمُ الَّتِي تَزْعَمُونَ أَنَّ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ دَخْلَهَا؟ وَيَرْتَجِزُ ثَالِثَةً وَيَقُولُ:

وَلَقَدْ بُحِّتَ مِنَ النَّدَاءِ \*\*\* بِجَمِيعِكُمْ هَلْ مِنْ مَبَارِزٍ؟

وَوَقَتْتَ إِذْ جَبَنَ الشَّجَاعَ \*\*\* مَوَاقِفَ الْبَطْلِ الْمَنَاجِزِ

أَنِي كَذَلِكَ لَمْ أَزَلْ \*\*\* مَتَسْرِرًا نَحْوَ الْهَرَاهِزِ

إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْفَتَىِ \*\*\* وَالْجَوْدُ مِنْ خَيْرِ الْغَرَائِزِ

## الإيمان كله مع الشرك كله

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَطْلُبُ عُمَرُ الْمَبَارِزَةَ، كَانَ رَسُولُ اللهِ (ص) يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَيْمَمْ يَبْرُزُ إِلَى عُمَرٍ؟ وَأَضْمَنْ لَهُ عَلَى اللهِ الْجَنَّةَ؟

وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَقُولُ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) وَيَقُولُ: أَنَا لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَيَأْمُرُهُ بِالْجُلوْسِ انتِظارًا مِنْهُ لِيَتَحَرَّكَ غَيْرُهُ، وَالْمُسْلِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسَهُمْ كَانُوا عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ، لِمَكَانِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِوْدٍ فَلَمَّا طَالَ نَدَاءُ عُمَرَ بِالْبَرَازِ وَتَتَابَعَ قِيَامُ عَلَيِّ (ع) قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ (ص): يَا عَلِيُّ هَذَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِوْدٍ فَارِسٌ يَلِيلٌ.

قَالَ: وَأَنَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

فَقَالَ (ص): إِذْنُ أَذْنِ مَنِيْ يَا عَلِيُّ، فَدَنَى مِنْهُ، فَنَزَعَ (ص) عَمَامَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ وَعَمَّمَهُ بِهَا، وَأَعْطَاهُ سِيفَهُ ذَالْفَقَارَ وَقَالَ لَهُ: (اَذْهَبْ وَقَاتِلْ بِهِذَا).

ثُمَّ رَفَعَ (ص) يَدِيهِ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: (لِلَّهِمَّ أَنِّي أَخْذَتْ مَنِيْ عَبِيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَحَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ يَوْمَ أَحَدٍ، وَهَذَا أَخِي عَلِيُّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، رَبَّ لَاتَّذَرْنِي فَرِدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثَيْنَ، اللَّهُمَّ أَعْنِهِ، اللَّهُمَّ احْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شَمَالِهِ وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ).

فَلَمَّا بَرَزَ عَلِيُّ (ع) قَالَ (ص): (بَرَزَ الْإِيمَانُ كُلُّهُ إِلَى الشَّرْكِ كُلُّهُ) (١٣٨).

وَلَمَّا بَرَزَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع) إِلَى عُمَرٍ، بَرَزَ وَهُوَ يَهْرُولُ فِي مَشِيَّتِهِ وَيَرْتَجِزُ وَيَقُولُ مجِيبًا لِعُمَرِ:

لَا تَعْجَلْنَ فَقَدْ أَتَيْكَ \*\*\* مَجِيبٌ صَوْتُكَ غَيْرُ عَاجِزٍ

ذُو نِيَّةٍ وَبِصَيْرَةٍ \*\*\* وَالصَّدَقَ مَنْجِي كَلَّ فَانِزٍ

أَنِي لَأَرْجُو أَنْ أَقِيمَ \*\*\* عَلَيْكَ نَاحِيَةَ الْجَنَّائزِ

١٣٨ - راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج ١٣ ص ٢٦١ ط دار إحياء التراث العربي.

من ضربة نجلاء يبقى \*\*\*ذكرها عند الهزاهز

## على أعتاب المساولة

ولما اقترب علي (ع) من عمرو، قال له عمرو: من أنت؟

قال: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله (ص) وختنه.

قال: والله إن أباك كان لي صديقاً، واني أكره أن أقتلك، ما أمن ابن عمك حين بعثك إليَّ أن اخطفك برمحي هذا، فاترك بين السماء والأرض لا حياً ولا ميتاً؟

فأجابه علي (ع) قائلاً: قد علم ابن عمِّي إن قتلتني دخلت الجنة وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة.

فقال عمرو: كلتا هما لك يا علي، تلك إذن قسمة ضيزي.

فقال علي (ع): دع هذا يا عمرو، اني سمعتك تقول: لا يعرض على أحد في الحرب ثلث خصال إلا أجنته إلى واحدة منها، وأنا أعرض عليك ثلث خصال فأجبني إلى واحدة.

قال عمرو: هات يا علي.

قال (ع): تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله.

قال: نحْ عَنِي هَذَا، فَأَيْنَ مَا أَنْفَقْتُ فِيهِ مَالًا لَبَدًا؟ وَكَانَ قَدْ أَنْفَقَ مَالًا فِي الصَّدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: (يَقُولُ أَنْهَكْتُ مَالًا لَبَدًا) (١٣٩).

قال (ع): فالثانية: أن ترجع من حيث جئت وتترد هذا الجيش عن رسول الله (ص)، فإن يك صادقاً فائتم أعلى به عيناً، وإن يك كاذباً كفلكم ذوبان العرب أمره.

قال: إذن تتحدى نساء قريش بأنني جبنت ورجعت.

قال (ع): فالثالثة: أن تنزل إليَّ وتقاتلي، فإني راجل وأنت راكب.

فنزل عمرو عن فرسه وعرقه وقال: هذه خصلة ما كنت أظن ان أحداً من العرب يسومني عليها، واني لأكره أن أقتل رجلاً كريماً مثلك، وقد كان أبوك لي صديقاً.

قال علي (ع): لكنني أحب أن أقتلك.

فغضب عنها عمرو وبدأ بالقتال فضرب علياً (ع) بالسيف على رأسه، فاتقاه بالدرقة فقطعها، وثبت السيف على رأسه (ع).

ثم بدره علي (ع) فضربه على ساقيه فقطعهما جميعاً، وارتفعت بينهما عجاجة، وكبر علي (ع).

فانكشف من كان مع عمرو حتى عبروا الخندق منهزمين، فوقع نوفل بن عبد العزى في الخندق، فطعنه علي (ع) في ترقوته فمات في الخندق.

## ضربة على (ع) يوم الخندق

ولما انكشفت العجاجة نظروا فإذا بعلي (ع) على صدر عمرو قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فلما هم أن يذبحه تركه وقام خطأ خطوات ثم رجع إليه وأخذ بلحيته ثانية ليذبحه وهو يكبر الله ويمجده، فقال له عمرو: يا علي إذا قلتني فلا تسلبني حتى.

قال (ع): هي أهون على من ذلك، فذبحه وتركه، ثم أخذ رأسه وأقبل نحو رسول الله (ص) والدماء تسيل على رأس علي (ع) من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم، وهو يقول والرأس بيده:  
أنا علي وابن عبدالمطلب\*\*الموت خير للفتى من الهرب  
يقول ذلك وهو يخطر في مشيه.

قال بعض: ألا ترى يا رسول الله إلى عليّ كيف يتختر في مشيه؟  
قال رسول الله (ص): إنها لمشية لا يمقتها الله في هذا المقام.

ثم استقبله رسول الله (ص) ومسح الغبار عن عينيه وقال له: أبشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل أمّة محمد لرجح عملك بعملهم، وذاك انه لم يبق بيت من المشركين إلا وقد دخله ذل بقتل عمرو، ولم يبق بيت من المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو.

ثم قال (ص): ضربة على (ع) يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين.  
وسمع منادياً ينادي - ولا يرى شخصه - يقول:  
قتل علي عمرًا\*\*قصنم على ظهرأ  
ابرم علي أمرأ

ووقدت الهزيمة بالمربيين وتفرق الأحزاب خائفين مرعوبين.  
قال رسول الله (ص): الآن نغزوهم ولا يغزونا، فكان كما قال (ص) فلم يغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو يغزوهم حتى فتح الله عليهم مكة.  
ولما سألوا علياً (ع) عن سبب قيامه عن صدر عمرو ثم العود إليه ثانية، وعن تركه سلبه؟  
قال (ع): ان عمروأ تجاسر عليه مما أثار غضبه، فقام خطأ خطوات يطفيء بها غضبه ليكون قتله إيمانه  
خالصاً لوجه الله تعالى لا يشوبه شيء من التشفي والإنتقام لنفسه، كما انه ترك سلبه، لأن عمروأ قد سأله ذلك  
وطلب منه أن لايسليه بعد قتله.

## ضربتان: أعز وأشأم

روى الأودي قال: سمعت ابن عياش يقول: لقد ضرب على (ع) ضربة ما كان في الإسلام ضربة أعز منها، يعني بها ضربة عمرو بن عبد العماري، ولقد ضرب على (ع) ضربة ما كان في الإسلام أشأم منها، يعني بها ضربة ابن ملجم المرادي، وفي قتل عمرو بن عبدود يقول حسان بن ثابت:  
أشأم الفتى عمرو بن عبد يبتغي\*\*تجنوب يشرب غارة لم تنظر

ولقد وجدت سيفونا مشهورة\*\*\*ولقد وجدت جيادانا لم تقص  
ولقد رأيت غداة بدر عصبة\*\*ضربوك ضربا غير ضرب المخسر  
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة\*\*يا عمرو أو لجسيم أمر منكر  
فسمعه أحد بنى عامر فأجابه وهو يرد عليه افتخاره بالأنصار قائلًا:  
كذبتم وبيت الله لم تقتلوننا\*\*ولكن بسيف الهاشميين فافخرموا  
بسيف ابن عبدالله أحمد في الوغاء\*\*\*بكف على نلت ذاك فاقصرروا  
فلم تقتلوا عمرو بن عبد يباسكم\*\*ولكنه الكفو المهزير الغضنفر  
علي الذي في الفخر طال بناؤه\*\*ولا تكثروا الدعوى علينا فتحقروا

## مع ابنة عبدود

وروي انه لما قتل علي (ع) عمرو بن عبدود نعي إلى أخته عمرة بنت عبدود، فلما جاءت إليه ورأته على  
حاتمه لم يسلبه قاتله، قالت: من ذا الذي اجترأ عليه؟  
قالوا لها: علي بن أبي طالب.

قالت: لم يعد موته إلا على يد كفو كريم، لا رقات دمعتي ان هرقتها عليه، قتل الأبطال، وبارز الأقران،  
وكان منيته على يد كفو كريم من قومه، ما سمعت بأفخر من هذا يا بنى عامر، ثم أنشأت تقول:  
لو كان قاتل عمرو غير قاتله\*\*\*لكنت أبكي عليه آخر الأبد  
لكن قاتل عمرو لا يعب به\*\*من كان يدعى قدیماً بپضة البلد  
ثم قالت: والله لا ثارت قريش بأخي ما حلت النبي - والنبي جمع ناب وهي المسنة من النوق - كنایة عن انها  
لاتستطيع ذلك أبداً.

## في الحرب ومع المشركين فقط

كان نعيم بن مسعود الأشعري من يجيد فن الشغب والفتنة، فأتى رسول الله (ص) في جوف الليل وكان قد  
أسلم قبل قوم قريش بثلاثة أيام، فقال: يا رسول الله اني قد آمنت بالله وصدقتك، وكتبت إيماني عن الكفرة، فإن  
أمرتني أن آتيك وأنصرك بنفسك فعلت، وإن أمرتني أن أدخل بين اليهود وبين قريش فعلت حتى لا يخرجوا من  
حصنهم.

قال رسول الله (ص): خذل بين اليهود وبين قريش، فإنه أوقع عندي.  
فجاء إلى أبي سفيان وقال له: إنك تعرف مودتي لكم ونصحي، وقد بلغني أنَّ محمداً قد وافق اليهود على أن  
يأخذوا رهائن من أشرافكم ليسُموهم إلى محمد يضرب أعناقهم، ثم يدخلوا بين عسكركم ويميلوا عليكم،  
ووعدهم إذا فعلوا ذلك أن يرد عليهم جناحهم الذي قطعهبني النمير وقينقاع، فلا أرى أن تدعوه هم يدخلوا  
عسكركم حتى تأخذوا منهم رهناً تبعثوا بهم إلى مكة، فتأمنوا مكرهم وغدرهم.

فقال له أبو سفيان: وفقك الله وأحسن جزاعك، مثلك من أهدي النصائح.

ثم جاء نعيم من فوره ذلك إلى بني قريظة وقال لكتاب نحر محمد، فإن ظفروا كان الغر لكم ونصحى، وقد بلغني أن أبيا سفيان قال: نخرج هؤلاء اليهود فنضعهم في نحر محمد، فإن ظفروا كان الغر لنا، وإن خسروا كانوا هؤلاء مقاديم الحرب، فلا أرى لكم أن تدعوه يدخلوا عسكركم حتى تأخذوا منهم عشرة من أشرافهم يكونون في حصنكم، فإنهم إن لم يظفروا بمحمد رجعوا إلى مكة وغزاكم محمد فقتلهم، لكن إن أخذتم رهانن منهم، لم يذهبوا حتى يرددوا عليكم عهدم الذي جعلتموه بينكم وبين محمد.

فقال له كعب: أحسنت وأبلغت في النصيحة لاتخرج من حصننا حتى تأخذ منهم رهناً يكونون في حصننا. وكان كذلك، فإنهم طلبوها رهناً حينما طلب منهم أبو سفيان أن يبدأوا القتال، فقال أبو سفيان: صدق نعيم، فاختلت كلمتهم.

## الأحزاب ينهزمون

لما قتل علي (ع) عمرو بن عبدود دخل الوهن والذلَّ معسكر الأحزاب، واضطربوا أشدَّ اضطراب، فلما جنَّ الليل قام رسول الله (ص) على التلِّ الذي عليه مسجد الفتح، وكانت ليلة ظلماء قرةٌ فقال: من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنة؟ أعادها فلم يقم أحد، ثم قال: من هذا؟ وكان حذيفة قريباً منه، فقال: أنا حذيفة يا رسول الله.

فقال: اقترب يا حذيفة أما تسمع كلامي؟

فقام حذيفة وهو يقول: القرَّ والضرَّ جعلني الله فداك منعاني أن أجبيك.

فقال رسول الله (ص): انطلق حتى تسمع كلامهم وتتأتي بي بخبرهم.

فقال حذيفة: نعم يا رسول الله، ثم قام فأخذ سيفه وقوسه وترسه، وليس به ضرَّ ولا قرَّ واتجه نحوهم.

فقال له رسول الله (ص) بعد أن دعا له: يا حذيفة لا تحدث شيئاً حتى تأتيني، فلما ذهب حذيفة رفع رسول الله (ص) يديه إلى السماء ودعا قائلاً: (يا صريح المكروبين، ويما مجيب دعوة المضطرين، ويما مغيث المهمومين، اكشف همي وغمي وكربي، فقد ترى حالي وحال أصحابي) وما أن تمَّ دعاؤه حتى نزل جبريل وهو يقول: يا رسول الله إن الله عزَّ ذكره قد سمع مقالتك ودعائك وقد أجبك وكفاك هول عدوك، فجأةً رسول الله (ص) على ركبتيه، وبسط يديه، وأرسل عينيه، ثم قال: (شكراً شكرأ، كما رحمتني ورحمت أصحابي).

ثم قال: إن الله عزوجل قد بعث عليهم ريحًا من السماء الدنيا فيها حسى وأرسل عليهم ريحًا من السماء الرابعة فيها جندل.

## حذيفة ودعاء الرسول (ص)

قال حذيفة: خرجت فلما وصلت إليهم، أقبل جند الله الأول ريح فيها حسى، فما تركت لهم ناراً إلا أذرتها، ولا خباءً إلا طرحته، ولا رحى إلا ألقته، حتى جعلوا يتترسون من الحسى.

فجلست بين رجلين من المشركين، فقام أبو سفيان وقال: إن كنا نقاتل أهل الأرض فنحن بالقدرة عليه، وإن

كنا نقاتل أهل السماء كما يقول محمد فلا طاقة لنا بأهل السماء، انظروا بينكم لا يكون محمد عين بيننا، فليسأل بعضكم بعضاً.

قال حذيفة: فبادرت إلى الذي عن يميني وقلت له: من أنت؟  
قال معاوية.

وقلت للذي عن يساري: من أنت؟

فقال: عمرو بن سهيل، ولم يسألني عن اسمي.

ثم أقبل جند الله الأعظم. ريح فيها جند، فقام أبو سفيان إلى راحته، ثم صاح في قريش: النجاء النجاء، ولما أراد أن يركب راحته أمكنني قتله، فلما هممت بذلك تذكرت قول رسول الله (ص): (لا تحدثن حدثاً حتى ترجع إلى) ففكفت ورجعت بعد أن انهزم المشركون وذهب الأحزاب.

فأخبرت رسول الله (ص) الخبر وقد طلع الفجر، فتهياً وتهيئنا معه للصلوة، فصلّى بنا الفجر ثم نادى مناديه: لا يبرح أحد مكانه إلى أن تطلع الشمس، فلما طلعت الشمس انصرفنا مع رسول الله (ص) إلى داخل المدينة وهو يقول على رواية: (لا إله إلا الله وحده وحده، أجز وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فله الملك وله الحمد، يحيي ويميت، ويحيي ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير).

## القرآن وغزوة الأحزاب

ثم إن الله تعالى أوحى إلى نبيه (ص) سورة الأحزاب يذكر المسلمين فيها بما أصابهم ذلك اليوم من ضر، وبما من عليهم من الفتح وبما أنزل عليهم من النصر، اضافة إلى ما في تسمية السورة بالأحزاب من اشاره إلى أهمية الأمر وعظم الواقعه حيث يقول تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِحْاً وَجَنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا، إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَاجَرَ وَتَظَاهَرُوا بِالظُّنُونَا، هُنَّاكِ ابْتِلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزَلَّلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا) (١٤٠) إلى قوله تعالى: (وَرَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنْلَوْهَا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا) (١٤١).

ثم بشرهم بفتح حصن اليهود حيث يقول تعالى: (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قَلْوَبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتَلُونَ وَتَأْسِرُونَ فُرِيقًا (٢٦) وَأُورْتُكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ يَطْوُهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) (١٤٢).

## غزوة بني قريظة

لما انصرفس رسول الله (ص) من الخندق ودخل المدينة واللواء معقود، أراد أن يغسل من الغبار، فناداه

١٤٠ - الأحزاء: ٩ - ١١.

١٤١ - الأحزاب: ٢٥.

١٤٢ - الأحزاب: ٢٦ - ٢٧.

جبرئيل: عذيرك من محارب، والله ما وضعت الملائكة لامتها، فكيف تضع لامتك؟ ان الله يأمرك أن لا تصلي العصر إلا ببني قريظة، فإني متقدمك ومزلزل بهم حصنهم.

فخرج رسول الله (ص) وقال: ادعوا لي علياً، فجاء علي (ع) فقال له: ناد في الناس أن لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فنادى فيهم، فخرج الناس، فبادروا إلى بني قريظة، وخرج رسول الله (ص) وعلي (ع) بين يديه مع الراية العظمى في ثلاثة آلاف رجل وثلاثين فرساً، وذلك يوم الأربعاء لسبعين بقين من ذي القعدة. وكان حبي بن أخطب لما انهزم الأحزاب جاء فدخل حصن بني قريظة، فجاء علي (ع) فأحاط بحصنهم، فأشرف عليهم كعب بن أسد من الحصن يشتمهم ويستم نبيهم.

فأقبل رسول الله (ص) وأنزل العسكر حول حصنهم فحاصرهم ثلاثة أيام، فنزل بعدها أحدهم إليه وقال: يا محمد تعطينا ما أعطيت إخواننا من بني النضير؟  
قال: لا، أو تنزلون على حكمي.

فرجع، واستمر الحصار خمساً وعشرين ليلة.

فلما اشتد عليهم ذلك وأيقنوا أن رسول الله (ص) غير منصرف عنهم، قام سيدهم كعب بن أسد وعرض عليهم ثلات خصال: اما الإسلام، وإما قتل ذرائهم ونسائهم ثم القتال حتى يموتوا، وإما تبییت النبي (ص)  
و أصحابه ليلة السبت، فإن المسلمين قد أمنوا منهم.

فأبوا كل ذلك، فأرسلوا إلى رسول الله (ص) أن يبعث إليهم أبو لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف،  
وكانوا حلفاء الأوس، ليستشوروه في أمرهم، فأرسله إليهم.

## زلة أبي لبابة وتوبته

فلا جاء أبو لبابة إلى بني قريظة أحاطوا به وقالوا له: يا أبو لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟  
قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح.

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله.  
ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله (ص) حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدہ وقال: لا  
أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي ما صنعت، وعاهد الله أن لا يطأ بني قريظة أبداً، ولا يراه الله في بلد  
خان الله ورسوله فيه أبداً.

فلا سمع رسول الله (ص) خبره وكان قد استبطأه قال: أما لو جاعني لاستغفرت له، وأما إذ فعل ما فعل فما  
أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه.  
فنزلت توبة أبي لبابة على رسول الله (ص)، فتولى رسول الله (ص) إطلاقه بيده الكريمة، فنزلت بنو قريظة  
على حكم رسول الله (ص).

## حكمية سعد بن معاذ

فَلَمَّا نَزَلَتْ بَنُو قَرِيظَةَ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) قَالَتِ الْأُوْسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ فَعَلْتَ فِي بَنِي قَيْنَاقٍ مَا فَعَلْتَ وَهُمْ حَلَفاءُ إِخْوَانَنَا الْخَرْجَ، وَهُؤُلَاءِ مَوَالِينَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): أَلَا تَرْضُونَ يَا مَعْشِرَ الْأُوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِّنْكُمْ؟

قَالُوا: بَلِّي فَمَنْ هُوَ؟

قَالَ (ص): فَذَلِكَ سَعْدُ بْنُ مَعاذَ.

قَالُوا: قَدْ رَضِيَّنَا بِحُكْمِهِ.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) قَدْ جَعَلَ سَعْدَ بْنَ مَعاذَ لِمَا بَهُ مِنَ الْجَرَاجِ الَّذِي أَصَابَهُ مِنْ وَقْعَةِ الْأَحْزَابِ فِي خِيمَةِ فِي الْمَسْجِدِ تَسْكِنَهَا رَفِيدَةُ امْرَأَةِ صَالِحةٍ تَقْوَمُ عَلَى الْمَرْضِ وَتَدَاوِي الْجَرْحِ تَحْتَسِبُ بِذَلِكَ الْأَجْرَ، لِيُعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) إِلَى سَعْدٍ لِيُؤْتِيَ بَهُ لِيَحْكُمَ فِي بَنِي قَرِيظَةَ، فَاتَّيَ بَهُ فِي مَحْقَةٍ وَهُوَ سَرِيرٌ يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْمَرْيِضَ، وَاحْاطَ بَهُ قَوْمَهُ وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا أَبَاعُمْرُو، أَحْسَنَ فِي مَوَالِيْكَ، فَإِنَّمَا وَلَاكَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) ذَلِكَ لِتَحْسِنَ فِيهِمْ.

فَقَالَ: لَقَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَّا تَمُ، فَأَحْسَنَ قَوْمَهُ مِنْ كَلَامِهِ هَذَا، إِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا حُكِمَ بِهِ الْيَهُودَ أَنفُسَهُمْ؛ مِنَ الْحُكْمِ بِقَتْلِ الْمَحَارِبِينَ وَسَبِيلِ ذَرَارِيْهِمْ وَنَسَانِيْهِمْ وَمَصَادِرَةِ أَمْوَالِهِمْ إِذَا كَانَ الْفَتْحُ لَهُمْ، وَبِمَا عَاهَدَ الْيَهُودَ أَنفُسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ (ص): مِنْ أَنْهُمْ لَوْ نَقْضُوا عَهْدَهُمْ مَعَهُ كَانَ لَهُ الْحَقُّ فِي قَتْلِهِمْ وَمَصَادِرَةِ أَمْوَالِهِمْ وَسَبِيلِ ذَرَارِيْهِمْ وَنَسَانِيْهِمْ، وَلَذِكَرِيْهِمْ قَالُوا: وَاقْوَمَاهُ ذَهْبٌ وَاللَّهُ بَنُو قَرِيظَةَ.

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بَسْعَدُ الْمَجْلِسِ، تَفَتَّ إِلَى الْيَهُودَ وَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشِرَ الْيَهُودِ أَرْضِيْتُ بِحُكْمِيْكُمْ؟

قَالُوا: بَلِّي قَدْ رَضِيَّنَا بِحُكْمِكَ، فَأَعْدَدْنَا عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ.

فَقَالُوا: بَلِّي يَا أَبَا عُمَرَ.

عَنْهَا التَّفَتَ سَعْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَقَالَ اجْلَالًا لَهُ: يَا أَبَيِّ أَنْتَ وَأَمَّيْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَرَى؟

قَالَ (ص): أَحْكَمْتُ فِيهِمْ يَا سَعْدٍ، فَقَدْ رَضِيَتْ بِحُكْمِكَ فِيهِمْ.

فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ حَكَمْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَقْتُلَ رِجَالَهُمْ، وَتَسْبِي نِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيْهِمْ، وَتَقْسِمَ غَنَائِمَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

فَنَفَذَ الْمُسْلِمُونَ حُكْمَ سَعْدٍ فِيهِمْ فَسَاقُوا الْأَسْلَارِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) بِأَنْ يَحْفَرُوا حَفْرًا فِي الْبَقِيعِ، فَلَمَّا أَمْسَى أَمْرٌ بِإِخْرَاجِ رَجُلٍ، فَأَخْرَجَ كَعْبَ بْنَ أَسْدَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (ص) قَالَ لَهُ: يَا كَعْبَ أَمَا نَفْعَكَ وَصَيْهَ أَبْنَ حَوَّاشَ الْحِبْرِ الَّذِي أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ وَقَالَ: تَرَكْتُ الْخَمْرَ وَالْخَمِيرَ، وَجَنَتْ إِلَى الْبَوْسِ وَالْتَّمُورِ، لَنْبَيِّ يَبْعَثُ، هَذَا أَوَانُ خَرْوَجَهُ، يَكُونُ مَخْرَجَهُ بِمَكَّةَ، وَهَذِهِ دَارُ هَجْرَتِهِ، وَهُوَ الضَّحْوُكُ الَّذِي يَجْتَزِئُ بِالْكَسْرَةِ وَالْتَّمِيرَاتِ، وَيَرْكِبُ الْحَمَارَ الْعَارِيَّ، فِي عَيْنِيهِ حَمْرَةٌ، وَبَيْنَ كَتْفَيْهِ خَاتَمُ النَّبُوَّةِ، يَضْعُ سَيْفَهُ عَلَى عَانِقِهِ لَا يَبْالِي مِنْ لَاقِيْهِ مِنْكُمْ، يَبْلُغُ سُلْطَانَهُ مِنْقَطَعَ الْخَفَّ وَالْحَافَرَ؟

فَقَالَ كَعْبٌ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا مُحَمَّدًا، وَلَوْلَا أَنَّ الْيَهُودَ يَعْرُونِي أَنِّي جَزَعْتُ عَنِ الْقَتْلِ لَأَمْتَ بِكَ وَصَدَقْتُكَ، وَلَكِنِي عَلَى دِينِ الْيَهُودِ عَلَيْهِ أَحْيَا وَعَلَيْهِ أَمْوَاتٌ.

فأمر رسول الله (ص) بضرب عنقه، فضربت.  
ثم قدم حبي بن أخطب فضربت عنقه، ثم ضربت أعناق الباقيين، وكانوا قليلين جداً.  
ويؤيد ذلك سيرة الرسول (ص) في التقليل من القتل حسب الإمكان.  
واصطفى (ص) لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو ثم قسم رسول الله (ص) بين المسلمين الأموال  
والنساء والذراري، وذلك بعد أن أخرج خمسها.

## شهادة الخندق وقريظة

وكان قد استشهد من المسلمين يوم الخندق وقريظة: سعد بن معاذ، فإنه بعد أن حكم في بني قريظة، انفجر جرمه بالدم فارجعوا إلى خيمته الذي ضربت عليه في المسجد، فما لبث أن نزل جبرئيل على رسول الله (ص)  
وقال: من هذا العبد الصالح الذي مات، فقد فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش.  
فخرج رسول الله (ص) إلى المسجد فإذا بسعد بن معاذ قد قُبض.

وممن استشهد يوم الخندق وقريظة: الطفيلي بن النعمان، وأنس به اوس، وعبد الله بن سهل، وثعلبة بن غنم، وكعب بن زيد، وخالد بن سويد الذي طرحت عليه امرأة من بني قريظة رحى فقتلته به، ومات في الحصار أبوسنان بن محسن أخو عكاشة بن محسن.

## مع ابن باطا

وكان لابن باطا وهو من رؤساء بني قريظة يد عند ثابت بن قيس، فأتى ثابت رسول الله (ص) وقال: يا رسول الله كان لابن باطا عندي يد وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه.  
فقال رسول الله (ص): هو لك.  
فأتاه فأخبره بذلك.

فقال ابن باطا: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة؟  
فأتى ثابت إلى رسول الله (ص) وقال: يا رسول الله أهله وولده.  
قال (ص): هم لك.  
فأتاه فأخبره بذلك.

فقال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما يقاومهم على ذلك؟  
فأتى ثابت إلى رسول الله (ص) وقال: ماله يا رسول الله.  
قال (ص): هو لك.

فأتاه فأخبره بأن ماله له وفاءاً.  
عند ذلك قال ابن باطا لثابت: أين كعب بن أسد؟  
قال ثابت: قتل.

قال: فما فعل حبي بن أخطب؟

قال: قتل.

قال: وما هي حال غزال بن شمول؟

قال: قتل.

فأيما سمع ابن باطا بقتل هؤلاء قال لثابت: أسألك بيدي عندي يا ثابت إلا ما أحقنتي بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر حتى ألقى الأحبة، فلما رأى ثابت هذه الحاجة من ابن باطا مع ما من عليه رسول الله(ص) من العفو عنه وعن أهله وأولاده وما له غضب وقال: لا بأس، ثم قدمه وضرب عنقه.

## سرية ابن مسلمة إلى نجد

ثم بعث رسول الله (ص) خيلاً قبل نجد وجعل عليهم محمد بن مسلمة، فظفروا برجل من بنى حنيفة يقال له: ثمامنة بن أثال، وكان قد قتل من المسلمين، فأسروه وجاءوا به إلى المدينة فربطوه بسارية من سور المسجد، وقيل: أودعوه في غرفة على باب المسجد.

فخرج إليه رسول الله (ص) وقال له: ما عندك يا ثمامنة؟

فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فاسأله منه ما شئت.

فتركه حتى كان الغد، ثم قال (ص) له: ما عندك يا ثمامنة؟

قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر إلى آخره.

فتركه حتى كان بعد الغد فقال (ص) له: ما عندك يا ثمامنة؟

قال: عندي ما قلت.

قال (ص): أطلقوا ثمامنة.

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلى من وجهك، وأما الآن فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلى، والله ما كان من دين أبغض إلى من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلى، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلى، وإن خلاك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟

فبشره رسول الله (ص) وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟

قال: لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله (ص)، ولا والله لا تأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي (ص)، وكانت اليمامة ريف مكة، فانصرف إلى بلاده ومنع الحمل إلى مكة حتى جهت قريش، فكتبوا إلى رسول الله (ص) يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامنة يخلي لهم حمل الطعام، ففعل رسول الله(ص) ذلك.

## غزوَةُ الْغَابَةِ

وتعْرَفُ بِذِي قَرْدَ بفتح القاف والراء، وهو ماء على بريد من المدينة بطريق الشام، وكانت هذه الغزوة في ربيع الأول سنة ست من الهجرة النبوية المباركة.

وسببها: أنه كان لرسول الله (ص) عشرون لقحة - وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة - ترعى بالغابة فأغار عليها عبيدة بن حصن الفزارى ليلة الأربعاء في أربعين فارساً فاستاقواها وقتلوا الراعي، وكان فيهم رجل من غفار وامرأته، قتلوا الرجل وسبوا المرأة.

ونوادي: يا خيل الله اركبي، وكان أول ما نودي بها، كما انه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع السلمي، كان ناهضاً إلى الغابة، فلما علا شبة الوداع نظر إلى خيل الكفار فصاح، فأنذر المسلمين، ثم نهض في آثارهم فأبلى بلاء حسناً عظيماً، ورمأهم بالنبل حتى استنقذ ما كان بأيديهم من اللقاح، واستخلاص المرأة، واستلب منهم ثلاثة بردة.

فلما وقعت الصيحة بالمدينة كان أول من أتى إلى رسول الله (ص) من الفرسان المقداد بن عمرو، ثم عباد بن بشير الأشهلي، وأسيد بن حضير أخوبني حارثة، وعكاشة بن محسن، ومحرز بن نضلة الأسد الأخرم، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، وأبو عياش عبيد بن زيد بن صامت الزرقى.

فلما اجتمعوا خرج رسول الله (ص) حتى أدرك ابن الأكوع.

فلما رأى ابن الأكوع رسول الله (ص) قال: يا رسول الله قد حميت القوم الماء فابعث إليهم الساعة.

فقال (ص): يابن الأكوع إذا ملكت فاسبح، أي: سهل وحسن العفو.

ثم ان أول من لحق بهم محرز بن نضلة الأخرم، فأخذ ابن الأكوع بعنان فرسه، وقال: يا أخرم ان القوم قليل فاحذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق بنا أصحابنا.

فقال الأخرم: يابن الأكوع لا تحل بيني وبين الشهادة، فخلّى سبيله، فالتقى هو والفزارى فعقر الأخرم فرسه، فطعنه الفزارى فقتل رحمه الله، ولحق أبو قتادة فقتل قاتل الأخرم، وولى المشركون منهزمين. وبلغ رسول الله (ص) ماء يقال له ذو قرد، ونحر ناقة من لقاوه المسترجعة، وأقام (ص) يوماً وليلة ثم رجع إلى المدينة، وأقبلت امرأة الغفارى على ناقة رسول الله (ص)، فلما أتت المدينة نذرت أن تنحرها، فأخبرها رسول الله (ص) انه لا نذر لأحد فيما لا يملك، كما لا نذر في معصية.

## سَرِيَّةُ عَكَاشَةِ إِلَى الْغَمَرَةِ

والغمرة: ماء لبني أسد، على ليلتين من فيد، أرسل إليهم رسول الله (ص) حين سمع بأنهم يريدون الإغارة على المدينة عكاشة بن محسن في أربعين رجلاً، وذلك في آخر شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة النبوية المباركة.

فلما أحسَّ القوم بهم بـ**كروا** في الهروب وتركوا مكانهم مائتي بعير، فساقها عكاشة إلى المدينة.

## سرية زيد إلى العيص

والعصى هي: منطقة على أربعة أميال من المدينة، خرج إليها في جمادى الأولى زيد بن حارثة في مائة وسبعين راكباً ليأخذوا عيراً لقريش قد أخذت طريق العراق.

فالتقوا بأبي العاص ابن الربيع زوج زينب بنت رسول الله (ص)، وذلك عند مرجعه من الشام، وكان رجلاً مأموناً، وكانت معه بضائع لقريش، فاستاقوا عيراً وأفاقت، وقدموا على رسول الله (ص) بما أصابوا، فقسمه بينهم.

وأتى أبو العاص المدينة فدخل على زينب بنت رسول الله (ص) مستجيراً بها وسألها أن تطلب من رسول الله (ص) ردّ ماله عليه، وما كان معه من أموال الناس.

فدعى رسول الله (ص) السرية وقال: إنَّ هذا الرجل مما بحيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً ولغيره، وهو في إله الذي أفاء عليكم، فإن رأيتم أن تردوه عليه فافعلوا، وإن كرهتم فانت لهم حقكم.

قالوا: بل نرد عليه يا رسول الله، فردوه عليه ما أصابوا، حتى إن الرجل يأتي بالشيء والرجل يأتي بالإداوة والرجل بالحبل، فما تركوا قليلاً مما أصابوا ولا كثيراً إلا ردوه عليه.

ثم خرج أبو العاص بالبضائع حتى قدم مكة فأدى إلى الناس بضائعهم، حتى إذا فرغ قال: يا عشر قريش، هل بقي لأحد منكم مال لم أرده عليه؟

قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، قد وجدناك وفيأً كريماً.

قال: والله ما منعني أن أسلم قبل أن أقدم عليكم إلا توقياً أن تظنواني أسلمت لأذهب بأموالكم، ثم قال معلناً: أني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله.

## سرية ابن حارثة إلىبني فزاره

وفي شهر رجب سنة ست من الهجرة النبوية المباركة بعث رسول الله (ص) زيد بن حارثة على رأس جماعة إلى وادي القرى وذلك لأن زيداً كان يذهب إلى الشام في تجارة ومعه بضائع من أصحاب النبي (ص)، فلما قربوا من وادي القرى أغارت عليهم قوم من فزاره، فقتلوا المسلمين، ونجى زيد بنفسه، فلما قدم زيد المدينة وقد خلس بنفسه، بعثه رسول الله (ص) مع جماعة إلىبني فزاره، فلقيهم بوادي القرى فأصاب منهم أموالاً وقتل منهم رجالاً ورجع إلى المدينة بعد أن وطد الأمان في الطريق.

## غزوة بنى المصطلق

ثم كانت غزوة بنى المصطلق وهو بطن من خزاعة، ورأسهم الحارث بن أبي ضرار، وقد تهياً للزحف على المدينة حيث سار الحارث في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاه إلى حرب رسول الله (ص) فأجابوه. فلما سمع بهم رسول الله (ص) خرج إليهم في بشر كثير لليلين خلتا من شعبان سنة ست من الهجرة

النبوية المباركة، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى وقيل: نميلة بن عبد الله الليثى، ففقيهم على ماء من مياهم يقال له: المريسيع، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر رسول الله (ص) أصحابه أن يحملوا عليهم حملة رجل واحد، فما أفلت منهم انسان، وقتل عشرة منهم وأسر سائرهم، وسبى رسول الله (ص) النساء والذراري، وغنم الأموال والشاء والنعم.

وكان من السبى أم المؤمنين (جويرية) بنت الحارث بن أبي ضرار سيد بنى المصطلق، فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكتابها، فأدى رسول الله (ص) عنها وأعتقها فتزوجها وسمّاها برة، فلما بلغ المسلمون ذلك أعتقدوا إجلالاً لرسول الله (ص) ما كان في أيديهم من السباباً و كانوا مائة أهل بيت من بنى المصطلق وقالوا: أصهار رسول الله (ص)، فما علم امرأة أعظم بركة على قومها منها.

## في طريق المدينة

وفي رجوع رسول الله (ص) من هذه الغزوة قال عبدالله بن أبي: لنن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزَّ منها الأذلَّ، وذلك لشَّرَّ وقع بين جهاده بن مسعود الغفارى من المهاجرين وبين سنان بن وبر الجهنى من الأنصار.

فنادى الغفارى: يا للمهاجرين.

ونادى الجهنى: يا للأنصار.

فقال رسول الله (ص): أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟

وبلغ زيد بن أرقم رسول الله (ص) مقالة عبدالله بن أبي فنزل في ذلك من عند الله سورة المنافقين، وتبرا عبدالله بن عبدالله بن أبي من أبيه، وأتى رسول الله (ص) فقال له: يا رسول الله أنت والله الأعزَّ وهو الأذلَّ، والله لن شئت لنخرجه يا رسول الله، ووقف لأبيه قرب المدينة فقال: لا تدخلها حتى ياذن لك رسول الله (ص) في الدخول.

فشكى الأب ابنه إلى رسول الله (ص) فأرسل إليه: أن خل عنده يدخل.

فقال: الآن وقد جاء الإذن فنعم.

وقال أيضاً: بلقني أنك يا رسول الله ت يريد قتل أبي واني أخشى ان أمرت بذلك غيري الا تدعوني نفسي ارى قاتل عبدالله يمشي على الأرض فاقتله وأدخل النار إذا قتلت مؤمناً بكافر، وقد علمت الأنصار أني من أبرها لأبيه، ولكن يا رسول الله إن أردت قتيله فمرني بذلك فانا والله أحمل إليك رأسه.

فقال له رسول الله (ص) خيراً، وأخبره أنه يحسن صحبة أبيه مادام هو معهم.

## سرية الفهرى إلى عرينة

وفي شهر شوال سنة ست من الهجرة النبوية المباركة كانت قصة العرينين، وذلك انه قدم على رسول الله (ص) عرينة وكانوا ثمانية أشخاص فأسلموا، فاستوياوا بالمدينة واستوخلوها.

فأمر رسول الله (ص) بهم إلى لقاوه وكانت خمس عشرة لقة - وللقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة -

وقال: (لو خرجمت إلى ذود لنا فشربت من ألبانها).

فلما خرجوا إليها قتلوا الراعي وقطعوا يده ورجله، وغرسوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات، واستافقوا الإبل.

بلغ ذلك إلى رسول الله (ص) فبعث في أثرهم عشرين فارسياً واستعمل عليهم ابن جابر الفهري، ففقوهم حتى أدركوهم، فلما أدركوهم أحاطوا بهم وأسروه واستردوا الإبل وقدموا بهم المدينة.

قال جابر بن عبد الله إن رسول الله (ص) كان قد دعا لما بعث إليهم وقال: (اللهم اعم عليهم الطريق) فعمى عليهم الطريق، فلما أتي بهم، أمر (ص) بقتلهم.